عبد المنعم الجلياني

ديوان المبشرات والقدسيات

تحقيق:

د. عبد الجليل حسن عبد الله

وزارة الثقافة




رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ديوان المبشرات والقدسيات

العنــوان: ديوان المبشرات و القدسيات .
المؤلف:عبد المنعم الجلياني.
جمع و تحقيق و دراسة: د. عبد الجليل حسن عبد المهدي
الناشر: وزارة الثقافة.
الايداع القانوني: 2010/387
ردمـــك: 0-757-24-9947-978
الغلاف والإخراج: Simple Production



جمع وتحقيق ودراسة

د. عبد الجليل حسن عبد المهدي



صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة
بمناسبة القدس عاصمة للثقافة العربية ـ 2009

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

ترك الشاعر الحكيم عبدالمنعم الجلياني الأندلسي مصنفات عديدة في فنون شتى، فهو يذكر أنه قد أنشأ أصنافاً وفنوناً من جوامع الكلم، في منظوم ومطلق، كما يصفها الشاعر نفسه. ويذكر أن كل صنف منها جاء في ديوان، يقول: و «هي عشرة دواوين».

أولها: ديوان «الحِكَم وميدان الكَلِم»، وهو نظم.

وثانيها: كتاب «أدب السلوك»، وهو كلام مطلق.

وثالثها: «كتاب «تحرير النظر»، وهو كلام مطلق.

ورابعها: ديوان «المبشرات والقدسيات»، وهو نظم، وتدبيج، وكلام مطلق.

وخامسها: ديوان «المُشوِّقات الرقائق»، وهو نظم.

وسادسها: ديوان «التدبيج» أو «منادح الممادح وروضة المآثر والمفاخر من خصائص الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب».

وسابعها: ديوان «الغزل، والتشبيب، والموشحات، والدوبيت، وما يتصل بها»، وهو نظم.

وثامنها: ديوان «تشبيهات، وألغاز، وأوصاف، وأغراض شتى»، وهو نظم.

وتاسعها: ديوان «ترسيل، وفنون من المخاطبات، وأنواع من الخطب، والصدور، والأدعية، ونحو ذلك».

وعاشرها: كتاب «أسرار البلاغة»، وهو كلام مطلق[1].

---

(١) انظر: ديوان التدبيج: م/ ٢، ٣، س/٣، ب/٢، ٣، أدب السلوك/ ٢، ٣.

ومن الملاحظ أن الشاعر يذكر مصنفاته من الدواوين والكتب تحت كلمة «دواوين». ولكنه يعود فيذكر تلك المصنفات قائلاً: «. . . وأن جميع هذه الدواوين والكتب. . .»[1].

إن ستة من دواوينه التي ذكرها جاءت نظماً، وأربعة منها جاءت نثراً، وصف أحدها بأنه ديوان، وهو كتاب نثري، وهو كتابه المسمى ديوان «ترسيل، وفنون من المخاطبات، وأنواع من الخطب، والصدور، والأدعية»، ونحو ذلك.

ووصف الثلاثة الأخرى بأنها كتب، وهي: كتاب أدب السلوك، وكتاب تحرير النظر، وكتاب أسرار البلاغة.

وتجدر الإشارة إلى أن ديوانه الآنف ذكره، هو مجموعة من الخطب، والأدعية، وما إليها. إن تسمية كتاب في النثر ديواناً ليس جديداً، فقد سبقت تسمية مشابهة في القرن الرابع الهجري، ومن ذلك «ديوان خطب ابن نباتة».

ويُذكر لعبدالمنعم الجلياني مصنفان آخران، وهما: «كتاب نوادر الوحي» وكتاب «جامع أنماط المسائل في القريض، والخطب، والرسائل»[2].

★ ★ ★

لقد ضاعت جُلّ هذه الدواوين والكتب، ولم تصل إلينا للأسف الشديد، ولم ير النور واحد منها حتى يومنا هذا، باستثناء «ديوان الحكم وميدان الكلم» فقد حققه «فخري كتاني»، وقدمه رسالة للحصول على (الماجستير)، في جامعة القاهرة ولكنه لم يُنشر حتى الآن.

ثم حقق الديوان نفسه «عبدالله علي ثقفان»، وقدمه رسالة للحصول على

(١) انظر: ديوان التدبيج: م/٣، س/٣، ب/٣، أدب السلوك/ ٢، ٣.
(٢) انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ ٦٣٥، فوات الوفيات ٢/٤٠٨، الذيل والتكملة ٥ ق ١/٥٧، ايضاح المكنون ١/٣٥١، هدية العارفين ١/٦٢٩، ٦٣٠.

(الماجستير). في جامعة القاهرة وقد اختلط أمر هذا الديوان مع ديوان ثان للجلياني، وهو ديوان أدب السلوك على المحقق «عبدالله علي ثقفان»، إذ جعل ديوان أدب السلوك عنواناً لديوان الجلياني «ديوان الحكم وميدان الكلم»، ونجد هذا الديوان الأخير، نسخة أحمد الثالث، قد وُضع له عنوان «أدب السلوك، وهذا أمر غير صحيح. إن الفرق بين الديوانين: ديوان الحكم وميدان الكلم، وديوان أدب السلوك، واضح جداً، فالأول منهما ديوان شعري، والثاني منهما ديوان نثري صوفي. وقد أحضرت نسخة من ديوان أدب السلوك من «برلين». وقارنت بين المخطوطتين، وتأكدت أن موضوع الرسالة التي تقدم بها المحقق الآنف ذكره للحصول على الماجستير، هو «ديوان الحكم وميدان الكلم»، وليس «ديوان أدب السلوك».

وديوان ثان وصل إلينا من دواوين الجلياني، وهو «ديوان التدبيج»، ولكنه لم ير النور أيضاً، وكلي أمل أن يخرج إلى النور قريباً، فقد قمت بتحقيقه.

وديوان ثالث وصل إلينا من دواوينه، وهو ديوان أدب السلوك الآنف ذكره.

وأما ديوانه موضوع البحث، وهو «ديوان المبشرات والقدسيات»، فقد ضاع، ولم يصل إلينا. ولأهميته، ولصلته ببيت المقدس، جهدت في البحث عنه، ولكن دون طائل، فلم أتمكن من الحصول على مخطوطة له، مما دعاني إلى جمع ما يمكن جمعه من قصائد هذا الديوان من المصادر الأساسية المختلفة. وقد لفت نظري ما يذكره أبوشامة المقدسي من أشعار للجلياني، يصفها بالمبشرات، أو بالقدسيات، مما جعلني أتتبع المصادر المختلفة سعياً وراء جمع تلك المبشرات والقدسيات. وكان عمادي في هذا دواوين الشاعر عبدالمنعم الجلياني نفسه، وأخص بالذكر منها: ديوان التدبيج، وديوان الحكم وميدان الكلم، كما كان عمادي مصادر أخرى أهمها: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة المقدسي، وعقود الجمان لابن الشعَّار الموصلي، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أُصيبعة، وغيرها.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنني وصفت هذا العمل بالعنوان: «ديوان

المبشرات والقدسيات»، جرياً على ما وصفه به صاحبه، على الرغم مما في ذلك من تجوز، وذلك لأنني لم أعثر على مخطوطة كاملة للديوان هذا، وكلي أمل أن أعثر على تلك المخطوطة في المستقبل، إن وُجدت. وأقول: إن تسمية هذا العمل «شعر عبدالمنعم الجلياني» غير دقيقة، وذلك لأن له أشعاراً كثيرة في غير هذا الديوان، بل له دواوين شعرية عديدة. وتسميته «من ديوان المبشرات والقدسيات» قد تكون ملبسة. ولهذا تجوزت في عنوان هذا العمل بقولي «ديوان المبشرات والقدسيات».



لقد جمعت ما جمعته من مبشرات عبدالمنعم الجلياني، وقدسياته. ومدبجاته، إن المبشرات هي القصائد التي بشر فيها الشاعر بتحرير بيت المقدس، وهي قصائد عديدة أنشأها في عدد من السنوات: ٥٦٤ هـ، و ٥٦٧ هـ، و ٥٦٨ هـ، و ٥٦٩ هـ، و ٥٨٢ هـ.

والقدسيات هي القصائد التي قالها في الفتح القدسي في سنة ٥٨٣ هـ، وللشاعر الجلياني أربع قدسيات منها، قالها في سنة الفتح تلك.

والمدبجة القدسية هي قصيدته المسماة «رهان الأذهان في مدى ذكر الملك الناصر على مر الأزمان». وقد أنشأها بعد الفتح القدسي، وذلك في غرة سنة ٥٨٩ هـ. وتقع هذه المدبجة في أربع من القصائد القدسيات.

وتجدر الإشارة إلى مدبجات أخرى أنشأها الشاعر الجلياني يمدح فيها عدداً من الملوك الأيوبيين مثل: الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين، والملك الظاهر بن صلاح الدين.



وقد ألحقت بهذه القصائد المبشرات والقدسيات عدداً من القصائد والمقطوعات التي يذكر الشاعر فيها بيت المقدس.

وكانت أولاها مناجاة، كما يصفها الشاعر نفسه، وقد أنشأها في سنة ٥٦٢ هـ. وكانت ثانيتها «نفحة عُلوية» كما يصفها الشاعر نفسه، وقد أنشأها في سنة ٥٩٦ هـ، ويذكر فيها القدس، وسلوان. وكانت ثالثتها مناجاة أنشأها الشاعر في سنة ٥٩٧ هـ، ويتحدث فيها عن بيت المقدس.



وفي هذا العمل، قمت بـ:

- ضبط النصوص الشعرية، والنصوص غير الشعرية التي جاءت مقدمات للنصوص الشعرية، وتصويب ما وقع فيها من أخطاء، وإثبات ذلك في المتن، والإشارة إليه في الحاشية، معتمداً في ذلك على المصادر المخطوطة والمطبوعة.
- مقارنة الروايات المختلفة للنصوص الشعرية في المصادر، مخطوطها ومطبوعها، وإثبات الفروق بين الروايات في الحاشية.

وقد اتخذت عدداً من دواوين الجلياني مصادر أساسية في القصائد التي وجدتها في تلك الدواوين. كما اتخذت المصدر الأقدم من المصادر الأخرى، أساساً، أُثبت منه النص الشعري، وأوازن بين هذا المصدر الأساسي، والمصادر الأخرى.

- ضبط الأعلام، والأماكن، والتعريف بما ينبغي التعريف به، مما ورد منها في النصوص الشعرية، مستعيناً بالمصادر الأدبية، والتاريخية، والجغرافية.
- تخريج القصائد والمقطوعات من المبشرات، والقدسيات، والمدبجات.



وقمت في هذا العمل بالحديث عن حياة الشاعر متتبعاً إياها بين مغرب العالم الإسلامي ومشرقه، بين جليانة، والمغرب، ومصر، والشام، والحجاز، وغيرها من بلدان المشرق الإسلامي. كما قمت بالحديث عن آثاره،

وخصصت ديوان المبشرات والقدسيات بالعناية والتفصيل.

ورتبت القصائد والمقطوعات التي جمعتها من هذا الديوان ترتيباً تاريخياً كما ستتبينه في القسم الأول (الدراسة).

وقمت بصنع فهارس فنية مختلفة للأعلام، والأماكن، والأشعار، وغيرها.

لقد اعتمدت في بعض قصائد هذا الديوان على ديوان التدبيج، وأخص بالذكر المدبجة القدسية، في مخطوطات الديوان المختلفة. وقد رمزت إلى تلك المخطوطات هكذا:

- مخطوطة مانشستر: (م).
- مخطوطة أبسالا بالسويد: (س).
- مخطوطة الأهلية بباريس: (ب).
- مخطوطة أحمد الثالث باستانبول (أ).
- مخطوطة الظاهرية (منقولة عن نسخة بيت المقدس): (ظ).

وقد اتخذت نسخة مخطوطة مانشستر أصلاً، بل أُمّاً. ودعاني إلى ذلك ما ورد في آخر هذه النسخة، وهو: «قال ولد المصنف، رحمه الله: هذا ما وجدته من المدبجات من إنشاء والدي عبدالمنعم بن عمر بن حسان، رضي الله عنه. وقد بلغني أن له في بعض البلاد مدبجات أُخر، فما حضرني منها ألحقته بهذا الكتاب إن شاء الله تعالى. الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما».

«نقلت هذه النسخة من نسخة مكتوبة بخط ابن المصنف، رحمه الله، وكان الفراغ منها في سابع عشر شهر رمضان المعظم سنة خمس وثلاثين وسبعمائة»[1].

---

(١) انظر: ديوان التدبيج: م/١١٦، س/١١٢، ب/٦٨.

ومن هذا يتبين أن هذه النسخة منقولة عن نسخة لابن الشاعر عبدالمنعم الجلياني، وأن تاريخ نسخها لا يبعد كثيراً عن تاريخ وفاة منشيء الديوان، فقد توفي الشاعر نحو سنة ٦٠٢ هـ.

وتجدر الإشارة إلى أن نسخة مخطوطة الديوان (س)، ونسخة مخطوطته (ب) لم تثبتا التاريخ الذي كتبت فيه كل منهما[1].

وما توفيقي إلا بالله.

عبدالجليل عبدالمهدي
عمان في ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م

(١) انظر: المصدر نفسه: س/ ١١٢، ب/٦٨.

القسم الأول

الدراسة

السيرة

اسمه، ونسبه، وكنيته

وهو أبوالفضل، حكيم الزمان، عبدالمنعم بن عمر بن عبدالله بن أحمد بن خضر بن مالك بن حسان، الجلياني، الغساني، الأندلسي[1]. ويضاف إلى هذه السلسلة: السندي[2]، الوادي آشي[3].

ويذكر المَقَّري أنه «محمد عبدالمنعم. . .» مضيفاً اسم «محمد» قبل عبدالمنعم، يقول: «أبوالفضل محمد عبدالمنعم الغساني الجلياني[4]. ويبدو المقري متفرداً في إضافته اسم محمد قبل عبدالمنعم، ولكنه يعود ليقول: «وهو عبدالمنعم بن عمر بن عبدالله بن أحمد بن خضر بن مالك بن حسان»[5]، وهو بهذا يحذف اسم «محمد». ويذكر المقري في مواضع أخرى أنه «أبوالفضل عبدالمنعم بن عمر بن عبدالله بن حسان الغساني، من أهل جليانة[6]، من عمل

---

(١) انظر: ذيل تاريخ بغداد ١٥/١٧٤، فوات الوفيات ٢/٤٠٧، معجم البلدان ٢/١٥٧.

(٢): عقود الجمان لابن الشعار الموصلي/ ق ٦٤، ٦٥.
صلة الصلة/ ١٦.
نفح الطيب ٢/٦١٤، ٤/٣٢٩.

(٣) انظر: صلة الصلة/ ١٦، نفح الطيب ٢/٦١٤، هدية العارفين ١/٦٢٩.

(٤) نفح الطيب ٢/٦٣٥.

(٥) المصدر نفسه ٢/٦٣٥.

(٦) جليانة: (بكسر الجيم، وتسكين اللام): حصن من أعمال وادي آش. وهو حصن كبير يضاهي المدن. وهو مشهور بالتفاح الجلياني الذي يُضرب به المثل. ويذكر ابن سعيد أن بني البَرّاق هم أعيانها، ومنهم أبوعمرو محمد بن علي بن البراق. وهي دائرة اليوم، ولا أثر لها، في خرائط أعمال وادي آش أو غرناطة.
(انظر: معجم البلدان ٢/١٥٧، المغرب ٢/١٤٠، ١٤٨، ١٤٩، المقتضب من تحفة القادم/ ١٤٣، نفح الطيب ١/١٤٩، ١٥٠ الإحاطة ٣/٥٧٧ ـ حاشية).

وادي آشي»[1] وأنه «عبدالمنعم بن عمر الغساني الوادي آشي»[2]. ويقول في موضع آخر: إنه «عبدالمنعم بن عمر بن حسان المالقي»[3].

ويذكر الجلياني نفسه أنه عبدالمنعم، ولم يذكر اسم «محمد»، يقول[4]:

قالوا: مفاخِرُ عبدالمنعم اشتملتْ أصلاً وفرعاً، فما يَسْمُوه إنسانُ

ويقول[5]:

وقالوا إنما هي معجزاتٌ بعبدالمنعم اختُصَّتْ لِسِرّ

وجاء في أول «ديوان التدبيج» لعبدالمنعم الجلياني: «قال الشيخ الإمام، العالم، الأوحد، الصدر، الكامل، الفاضل، الورع، الزاهد، حكيم الزمان، أبوالفضل عبدالمنعم بن عمر بن حسان الغساني الأندلسي الجلياني[6]. ويرد مثل هذا القول في مواضع عديدة من ديوانه المذكور[7]. ويذكر ولده «عبدالمؤمن» في آخر مخطوطة ديوان التدبيج أن والده هو «عبدالمنعم بن عمر بن حسان»[8].

---

(١) وادي آش: من أعمال غرناطة، ويقال: وادي الأشات. «وهي مدينة جليلة قد أحدقت بها البساتين والأنهار. وقد خص الله أهلها بالأدب وحب الشعر...». وفي أعمال وادي آش، يقع حصن جليانة المذكور. وبين هذا الحصن ووادي آش اثنا عشر ميلاً. ويتحدث ابن سعيد عن وادي آش، ويذكر العديد من وزرائها، وعلمائها، وشعرائها، وشاعراتها. ويتحدث في الكتاب الثاني من «الكتب التي يشتمل عليها كتاب: عمل وادي آش»، عن حصن جليانة، وهو «كتاب الجمانة في حلى حصن جليانة». ويذكر عدداً من أعيانه وعلمائه. (انظر: المغرب ٢/١٤٠ ـ ١٥٣، المقتضب من تحفة القادم/ ١٦٨ ـ ١٧٠، ٢١٤، ٢٥٨، رايات المبرزين/ ٦٢، ٦٣، نفح الطيب ١/١٤٩، ١٥٠، ٤/٣٢٩).

(٢) نفح الطيب ٤/٣٢٩.

(٣) المصدر نفسه ٢/٦١٤.

(٤) ديوان الحكم (تحقيق الثقفان/ ١٦٩).

(٥) المصدر نفسه.

(٦) انظر: ديوان التدبيج: س/٢، ١٥١، ب/٢، ٣، ١٣، ٧٦ ديوان الحكم (تحقيق كتاني)/ ٣، (تحقيق الثقفان)/ ٩٥.

(٧) انظر: المصدر نفسه: س/ ٣، ١٥، ٢١، ٣١، ٩٨، ١٠٣، ١٠٨، ١١٢، ظ/٩٢، ٩٥، ١٠٦، ١١٨، ١٣١، ١٣٧، ٤/أ.

(٨) ديوان التدبيج ب/٨٨.

وورد في ديوانه هذا (نسخة أُبسالا) أنه «عبدالمنعم بن عمر بن عبدالله بن حسان الغساني الأندلسي الجلياني»(١). واسم «عبدالله» تتضمنه سلسلة نسب الشاعر، كما تقدم. ولم يرد اسم «عبدالله» في مواضع أخرى، في ديوان التدبيج (نسخة أُبسالا أيضاً)، فقيل: «عبدالمنعم بن حسان الغساني الأندلسي الجلياني»(٢).

وورد في أول ديوانه «ديوان الحكم وميدان الكلم» أنه «الشيخ الفقيه الإمام حكيم الزمان أبوالفضل عبدالمنعم بن عمر بن عبدالله بن حسان الغساني الأندلسي الجلياني»(٣).

وجاء في آخره مثل ذلك، وأُضيفت بعض الصفات، فقد ذُكر أنه «الشيخ الإمام العالم الورع الزاهد عبدالمنعم بن عمر بن عبدالله بن حسان الغساني الأندلسي الجلياني»(٤).

يتحدث العديد من المؤرخين عن الجلياني: اسمه ونسبه، فيذكر ابن أبي أُصيبعة المتوفى سنة ٦٦٨ هـ(٥) أنه «عبدالمنعم بن عمر بن عبدالله بن حسان الغساني الأندلسي الجلياني»(٦). وهو بذلك يسقط من سلسلة نسب عبدالمنعم الجلياني «أحمد بن خضر بن مالك»، ولعله أسقط ذلك اختصاراً.

ويذكر ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ(٧) أنه «عبدالمنعم بن عمر بن حسان»(٨)، ويكون بذلك قد أسقط «عبدالله بن أحمد بن خضر بن مالك». ولعله أسقط هذه الأسماء من سلسلة النسب اختصاراً أيضاً.

---

(١) ديوان التدبيج: س/ ٣٩.

(٢) نفسه س/ ٨٧.

(٣) نفسه: أ/ ٤.

(٤) نفسه: أ.

(٥) انظر: النجوم الزاهرة ٧/ ٢٢٩، البداية والنهاية ١٣/ ٢٥٧، الدارس ٢/ ١٣٧.

(٦) عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ ٦٣٠، وانظر: الذيل والتكملة ـ السفر الخامس ـ القسم الأول/ ٥٧.

(٧) انظر: وفيات الأعيان ٦/ ١٢٧ ـ ١٣٩، التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد/ ٤٢٦ ـ ٤٢٨.

(٨) معجم البلدان ٢/ ١٥٧.

ويذكر ابن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ[١] سلسلة النسب كلها فيقول: وهو «عبدالمنعم بن عمر بن عبدالله بن أحمد بن خضر بن مالك بن حسان، أبوالفضل، حكيم الزمان، الجلياني، الغساني، الأندلسي»[٢].

ويذكر أبوجعفر أحمد بن ابراهيم بن الزبير المتوفى سنة ٧٠٨ هـ[٣] أنه «عبدالمنعم بن عمر بن حسان الغساني[٤]، وهو بذلك يسقط من سلسلة النسب «عبدالله بن أحمد بن خضر بن مالك» كما ورد عند ياقوت الحموي. ويضيف ابن الزبير قائلاً: وهو، أي عبدالمنعم الجلياني، «من أهل قرية جِلْيانة، من سَنَد وادي آش»[٥].

ويتفرد ابن سعيد المتوفى سنة ٦٨٥ هـ[٦]، بذكر اسم «مُظَفَّر» في سلسلة نسب الشاعر عبدالمنعم الجلياني، يقول: «عبدالمنعم بن مظفر الغساني الجلياني»[٧].

ويخلط ابن سعيد بين الشاعر عبدالمنعم الجلياني، والشاعر أبي الحكم عبيدالله بن مظفر الباهلي»[٨]، وينسب إليه كتاباً لأبي الحكم، وهو كتاب «نهج الوضاعة لأولي الخلاعة»[٩]. ومن المؤكد أن هذا الكتاب لأبي

---

(١) انظر: فوات الوفيات (المقدمة) ١/٣ ـ ٨، البداية والنهاية ١٤/٣٠٢ ـ ٣٠٣.

(٢) فوات الوفيات ٢/٤٠٧.

(٣) انظر: الإحاطة ١/١٨٨ ـ ١٩٣، الدرر الكامنة ١/٨٩ ـ ٩١، شذرات الذهب ٦/١٦.

(٤) صلة الصلة/ ١٥.

(٥) المصدر نفسه/ ١٥، ١٦.

(٦) انظر: فوات الوفيات ٣/١٠٣ ـ ١٠٦، نفح الطيب ٢/٢٧٢ ـ ٣٧٠.

(٧) الغصون اليانعة/ ١٠٤.

(٨، ٩) ولد بالمرية سنة ٤٨٦ هـ. كان فاضلاً في العلوم الحكمية، متقناً الصناعة الطبية، وكان مشهوراً بالشعر. ويُذكر أنه كان طبيب البيمارستان في معسكر السلطان محمود السلجوقي. سافر إلى بغداد والبصرة. وكان قدم إلى دمشق في سنة ٥٣٠ هـ. وأقام فيها إلى أن توفي سنة ٥٤٩ هـ.

له ديوان شعر رواه ابن أبي أُصيبعة، وله قصائد في المديح، وفي رثاء الأحياء قاصداً بذلك اللعب والمجون. وله مهاجاة مع عرقلة الدمشقي. كان كثير الهزل والمداعبة، وغلب عليه المجون، سمى ديوانه «نهج الوضاعة لأولي الخلاعة».

توفي بدمشق سنة ٥٤٩ هـ.

الحكم الباهلي، وليس للشاعر عبدالمنعم الجلياني.

ويتفرد لسان الدين بن الخطيب بالقول: إنه «عبدالعظيم بن عمر بن عبدالله بن حسان الغساني». ولعل هذا جاء من قبيل التصحيف بين «عبدالمنعم» و«عبدالعظيم»[(1)].

واضح من كل ما تقدم أن الشاعر عبدالمنعم ينسب إلى جليانة بالأندلس، فيقال: الجلياني الأندلسي، كما ورد في حديث الشاعر نفسه، وفي أحاديث المؤرخين وغيرهم.

وقيل: السندي، الوادي آشي، لأن بلدة «جليانة» من سند وادي آش» كما تقدم في قول ابن الزبير، ويذكر المقري «سند وادي آش» أيضاً[(2)].

وأما نسبته إلى مالَقَة[(3)]، كما ورد في قول المقري، فلعله يُفسَّر بأن جليانة من أعمال وادي آش، وهذا غير بعيد عن مالقة[(4)].

وينسب الجلياني إلى المغرب فيقال: المغربي. يذكر الذهبي أنه «عبدالمنعم بن عمر بن عبدالله الغساني المغربي»[(5)]. وقد جاءت هذه النسبة من إقامته بالمغرب فترة من الزمن.

= (انظر: الغصون اليانعة/ ١٠٤ ـ ١٠٨، فوات الوفيات ٢/ ٤٠٧، عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ ٦١٤ ـ ٦٢٧، ذيل تاريخ بغداد ١٦/ ١٤٨ ـ ١٤٩، خريدة القصر ـ قسم المغرب ـ (ط مصر) ١/ ٣٦٩ ـ ٣٨٢، (ط المغرب) ١/ ٢٨٩ ـ ٢٩٩، الروضتين ج ١ ق ١/ ١١٨، ملخص تاريخ الإسلام م ٨/ ١٠٢، ديوان الحكم (تحقيق فخري كتاني)/ ٣.

وانظر «المرية» في: نفح الطيب ١/ ١٦٢ ـ ١٦٣، الروض المعطار/ ٥٣٧ ـ ٥٣٨).

(١) الإحاطة ٣/ ٥٧٧.

(٢) نفح الطيب ٤/ ٣٢٩.

(٣) (بفتح اللام والقاف). مدينة بالأندلس. وهي إحدى قواعدها، وبلادها الحسان. جامعة بين مرافق البر والبحر، كثيرة الخيرات والفواكة. وينسب إليها العديد من العلماء.

(انظر: معجم البلدان ٥/ ٤٣، نفح الطيب ١/ ١٥١، ١٥٢، الروض المعطار/ ٥١٧ ـ ٥١٨).

(٤) انظر: فوات الوفيات ٢/ ٤٠٧ (حاشية).

(٥) سير اعلام النبلاء ٢١/ ٤٧٧.

يُكنَّى الشاعر الجلياني بأبي الفضل[1]، وقيل بأبي محمد[2].

وينتسب عبدالمنعم الجلياني إلى غسان، فيقال: الغساني. ويتحدث هو نفسه عن نسبه مفتخراً، كما يبدو في قوله متحدثاً عن «حسان» و«غسان»[3]:

سَرَى النَّظْمُ من جليانةٍ وركابُهُ علومٌ وإعجازُ الأفاضلِ زادُهُ
كذا فَرْعُ حَسّانٍ سَمَا مُسْتَجَادُه وفي جَذْمِ غَسّانٍ نَما مُسْتَفادُهُ

ومثله قوله مفتخراً بأصله الغساني، وبلده الأندلسي[4]:

قالوا: مفاخرُ عبدالمنعم اشتملتْ أصلاً وفَرْعاً فَما يسموه إنسانُ
مَغْنَاهُ أندلس أكرم بها بلداً وَرَهْطُهُ مَعْدِنُ الأَقْيال غَسّانُ
وقد حوى العلمَ في ذاتٍ وفي عرضٍ فما تُجاريه حيثُ استنَّ فُرْسانُ
وقد سَما بسماء الجودِ نائلة كما سَما جَدُّه الفيّاضُ حَسّانُ

ولكنه يعود في القصيدة ذاتها إلى القول بأن الفخر لا يكون بأرض ولا نسب، ولكنه يكون بتحلي النفس بالخصال الحميدة، من حلم، وصبر، وزهد، وعلم، وجود. ومن تحلى بتلك الخصال جاءت وفود غسان تخدمه، كما يبدو في قوله[5]:

فقلتُ ما الفخرُ في أرضٍ ولا نسبِ الفخرُ إنْ مُلِكَتْ للنفسِ أَرْسَانُ

إلى أن يقول:

تلك الخصالُ التي مَنْ يَحْوِهِنَّ معاً أَتَتْهُ تخدمُ غَسانٌ وساسانُ

ويجعل الجلياني «أقيال غسان» تسمو به، بعد أن جمع خصال السيف والقلم ناهجاً بذلك نهج أبي الطيب المتنبي، في افتخاره بنفسه، يقول[6]:

أقيال غسان تسمو بي فلا عجب أن قد جمعت خصال السيف والقلم

---

(١) انظر: ديوان التدبيج: س/٢، ١٥١، ب/٢، ٣، ١٣، ٧٦، ذيل تاريخ بغداد/ ١٧٤، المقتضب من تحفة القادم/ ١٤٣، فوات الوفيات ٢/٤٠٧، نفح الطيب ٢/٦٣٥.

(٢) صلة الصلة/ ١٦.

(٣) ديوان التدبيج / س/٣٠، م/٣٠، ظ/١١٦.

(٤) ديوان الحكم (تحقيق النقصان/ ١٦٩، ١٧٠).

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

ويتحدث في «الرسالة المحبوكة» التي كتبها استجابة لرجل أندلسي، عن لقائه «برجل لفظه لفظ أندلسي النجار». ويصور نفسه يحن إليه «حنين الجار» ويسأله عن مناهجه، فينتسب ذلك الرجل «إلى الرهط الغساني». ويعقب الجلياني على ذلك بقوله: «فأذكرني ما كان الوقت أنساني، من انتزاح قبيل، ما إليهم من سبيل، ونأي عشيرة وأقارب، صرنا بمشارق وهم بمغارب»[1].

في جليانة:

ولد عبدالمنعم الجلياني في جليانة بالأندلس، وكان ذلك في سنة ٥٣١ هـ. يذكر الحافظ ابن النجار[2]: «سألت عبدالمنعم عن مولده، فقال: «في يوم الثلاثاء، سابع المحرم، سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة، بالأندلس»[3]. ويذهب إلى مثل ذلك ابن الشَعَّار[4] الموصلي[5]، والمَقَّري[6].

---

(١) ديوان التدبيج: س/٥١، ظ/٢٨، ٢٩.

(٢) الحافظ محب الدين محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن، المعروف بابن النجار البغدادي ولد في بغداد سنة ٥٧٨ هـ. نشأ فيها، واشتغل بالعلم، وأخذ عن العديد من العلماء. ثم رحل طالباً العلم إلى الشام، ومصر، والحجاز، وأصبهان، وخراسان ومرو، وهراة، ونيسابور. وقد ذُكر أن مشيخته بلغت ثلاثة آلاف شيخ. وكان قد رحل لمدة سبع وعشرين سنة. وله مصنفات كثيرة منها: «ذيل تاريخ بغداد»، و «الكمال في معرفة الرجال»، وغيرهما.

توفي في بغداد سنة ٦٤٣ هـ.

(انظر: فوات الوفيات ٤/٣٦ ـ ٣٧، طبقات الشافعية الكبرى ٨/٩٨ ـ ٩٩، الوافي بالوفيات ٥/٣٩٨، ٣٩٩، ذيل مرآة الزمان ٤/٣٢٩، معجم البلدان ١٩/٤٩ ـ ٥١، الحوادث الجامعة/ ٢٠٥، ٢٠٦، تذكرة الحفاظ ٤/١٤٢٨، ١٤٢٩، مرآة الجنان ٤/١١١، النجوم الزاهرة ٦/٣٥٥، البداية والنهاية ١٣/١٦٩، شذرات الذهب ٥/٢٢٦، ٢٢٧، الأعلام ٧/٨٦).

(٣) ذيل تاريخ بغداد ١٥/١٧٦.

(٤) كمال الدين أبوالبركات المبارك بن أبي بكر احمد بن حمدان بن احمد بن علوان بن ماجد. . الموصلي، المعروف بابن الشعار (بفتح الشين، وتشديد العين المفتوحة)، يذكر أنه كان شعاراً يعمل آلة الجمال وغيرها.

ولد في الموصل في مستهل صفر سنة ٥٩٥ هـ، ونشأ فيها. سافر إلى اربل في سنة ٦٢٥ هـ، وأقام فيها ست سنوات. وتتلمذ على ابن المستوفي.

وله مصنفات عديدة، ومنها: «عقود الجمان في شعراء هذا الزمان»، وهو في الشعراء الذين دخلوا المائة السابعة للهجرة وأدركوها، وهو في عشرة مجلدات توجد ثمانية منها في المكتبة السليمانية في =

ويذكر ابن سعيد ان مولده كان بجليانة في سنة ٥٣١ هـ[1]. وهو بهذا لم يكتف بتحديد مكان الولادة بشكل عام، ولكنه حدده بجليانة.

ولا يضيف الكتبي جديداً عندما يذكر أن مولده كان في سنة ٥٣١ هـ[2].

إن المصادر التي تحدثت عن عبدالمنعم الجلياني لم تحدثنا عن أجداده، وأبيه، وأسرته.

ولا تفصل تلك المصادر في الحديث عن طفولة الجلياني ونشأته. ولا تعرفنا بأساتذته وشيوخه الذين تلقى العلم على أيديهم.

ومن المرجح أنه قد اشتغل بالعلم على العديد من الشيوخ في جليانة، وفي وادي آش.

يتحدث الجلياني، في الشذرة السادسة من ديوان التدبيج، عن نشأته في بلده وأرضه، في مرحلتي الطفولة والصبا، يقول: «فمن قرارة منشئها ومَسْقَطها بترابها، رستْ عُروق الطفولية والصبا، وبمائها نمت فروع الجسم منتصباً»[3]. وهذا يبين أنه قضى هناك طفولته وشبابه، وفيها نما جسمه وانتصب.

ويذكر بلده، ويبدي تعلقه بها، كما يبدو في مدبجته «نظم الجواهر بالثناء

= استانبول. وينقص المجلد الثاني، والمجلد الثالث. ومن مصنفاته الأخرى: «تحفة الوزراء» المذيل على معجم الشعراء للمرزباني.

توفي في حلب سنة ٦٥٤ هـ، وقيل ٦٥٥ هـ، و ٦٥٦ هـ.

(انظر: تاريخ إربل ق ١/٣٨٤ ـ ٣٨٥، ق ٢/٥٩٧ ـ ٥٩٩، ٤٠٠، ٤٢١، ٤٤٧ ـ ٤٤٨، تكملة إكمال الاكمال في الأنساب والأسماء والألقاب/ ١٠٤، ١٥٣، ٢٥٤، العبر ٥/٢١٩، مرآة الجنان ٤/١٣٦، ذيل مرآة الزمان ١/٣٣، كشف الظنون ١/٣٣٨، ٢/١١٥٤، ١٧٣٤، ١٧٣٥، هدية العارفين ٢/٣، تاريخ الأدب العربي ـ بروكلمان ٦/٤٧ ـ ٤٨، الأعلام ٥/٢٦٩).

(٥) عقود الجمان ٤/٦٤.

(٦) نفح الطيب ٢/٦٣٥.

(١) الغصون اليانعة/ ١٠٥.

(٢) فوات الوفيات ٢/٤٠٧.

(٣) ديوان التدبيج: س/٥١، م/٥٣، ٥٤، ظ/٢٩.

الزاهر» التي أنشأها في سنة ٦٠٢ هـ، يمدح الملك الأشرف موسى بن الملك العادل، يقول[١]:

وَرَوْحُ رُبَا جليانةٍ جالَ دارَنَا أم ازدارَنَا رُوحُ الشباب المُفَارِقِ

ويذكرها، ويذكر جده «حسان» في مدبجته العزيزية «بهر الأحلام بسحر الكلام» التي أنشأها في سنة ٥٩٠ هـ. يقول مشيداً بصلاح الدين، معترفاً بآلاته وأياديه، ويصوره مبدداً غربته، وكأن بلده وأهله قد أُحضروا جميعاً إليه[٢]:

قَدْ كانَ لي من صلاحِ الدين كَهْفُ حِمىً ومِنْ أياديه أُلَّافٌ وإخوانُ

ألفيت مغترباً أهلي به، فكأنْ جليانةٌ حضرت عندي وحَسَّانُ

وإذا كانت الأندلس ديباج سحر، فجليانة منارة بين البلاد، كما يبدو في مدبجته القدسية التي أنشأها يمدح صلاح الدين، يقول[٣]:

وديباجُ سِحرٍ رقمُ أندلُسٍ سَمَا وجليانةٌ بين البلادِ مَنَارُهُ

ويصور نفسه فتى جليانة فيقول[٤]:

سَبا لُبَّ ذي الإدراك ديباجُ حِكْمةٍ نَسيجُ فتى جليانةٍ بافتكاره

ويتحدث عن أيام جليانه، فيقول[٥]:

أيا صاحِبيْ أيام جليانة قِفا نُسائِلْ عن الحيِّ الذي لاحَ واخْتَفى

وقد أظْهروا حُسناً به وَجَبَ الهوى وغابوا ولكن مُوجب الحُبِّ ما اخْتَفَى

وقد أزْهَروا أعلى الهوادجِ زينةً وقد شهّروا مُرخَى الجلابيبِ زُخْرفا

ويبقى الجلياني متعلقاً ببلاده وعهوده فيها، ولم تنسه إياها مصر أو الشام، يقول[٦]:

(١) ديوان التدبيج: س/١٦، م/١٦، ب/١٩أ، ظ/٩٥، ٩٧.

(٢) المصدر نفسه/ س/٢٣، م/٢٣، ظ/١١٠.

(٣) المصدر نفسه/ س/٥، ١٢، م/٥، ١٣، ب/٩أ، ظ/١٤٥.

(٤) المصدر نفسه/ س/٩٧، م/١٠١، ظ/١٦٦.

(٥) ديوان الحكم (تحقيق الثقفان)/ ٣٥٨.

(٦) ديوان الحكم (تحقيق كتاني)/ ١٠٢، (تحقيق الثقفان)/ ٣٧٦.

تُذكِّرُني الأعيادُ عهدَكمُ عندي فيسبقني دمعي ويغلبني وجدي
وأبكيكمُ مهما حَلَلْتُ جماعة وأندبكم مهما خلا مجلسي وحدي
فهذا وعهد الله حالي بعدكم فياليت شعري كيف حالكم بعدي
تُرى نلتقي يوماً فترقى مدامعي وأشكو إليكم ما لقيت على البعد
وأشفي فؤاداً حشوه الشوق والأسى
مُعنّى بما يخفيه فيكم وما يبدي
فما مصر تنسيني ولا الشام عهدكم وكيف وذكراكم أنيسي في اللحد

ويتساءل عن فراقه الأندلس، ، ويشيد بها وبأهلها، يقول(١):

وقائلٍ لي لِمْ فارقتَ أنْدَلُسَا وقد لبثْتَ بضاحي مصر مُحْتبسا
تَرعى أشائب مثل البَهْم سائبةٌ لا يشعرون بما يستنكر الجُلَسا

إلى أن يقول:

بلادُ أنْدَلُسٍ للفاضلين بها رَسْعٌ من المجدِ لم يُقفرْ فيندَرسا(٢)
لم تخلُ من عالمٍ يُجلى بها عَلَماً أو سَيِّدٍ سَنَدٍ يُدعى بها نَدُسا(٣)
الفضلُ منهمْ طباعٌ ليس مكتسباً والفهمُ فيهمْ شُعاعٌ ليس مُقتبسا
لا ينطقون خلافاً من ضمائرهمْ عذراً ولا يختلون الخصمَ مُفترسَا

في المغرب:

ثم رحل عبدالمنعم الجلياني إلى المغرب. بعد أن قضى مرحلتي الطفولة والصبا في بلده، كما تقدم. وفي المغرب اشتهر ذكره، كما يقول ابن سعيد(٤).

ولكن، متى قدم الجلياني إلى المغرب، وقد كانت هذه هي المرة الأولى التي غادر فيها بلده جليانه؟ وكيف اشتهر ذكره في المغرب، ومتى كان ذلك؟

(١) ديوان الحكم/ (تحقيق الثقفان) ١٨٩، ١٩٠.
(٢) رسع: الرَّسع: ما شدَّ به، ورَسِعَ به الشيء لزق، ورسَّع الرجل: أقام فلم يبرح من منزله.
(٣) ندس: رجل ندس ونَدُس (بفتح النون وتسكين الدال أو ضمها): فطن، وقيل هو العالم بالأمور والأخبار (اللسان مادة ندس).
(٤) الغصون اليانعة/ ١٠٥.

إن المظان المختلفة، لم تتحدث عن رحيله إلى المغرب بشكل مفصل، وقد كانت نزرة المعلومات في هذا المجال، فلم تذكر السنة التي غادر فيها بلده، وقدم إلى المغرب، ولم تتحدث عن عمله هناك، وهو العمل الذي أدى به إلى الشهرة. هل كان الجلياني يتحلى بالنضج الأدبي عند قدومه؟ وللإجابة عن هذا التساؤل، يمكن أن يقال: لعله كان يتحلى بالنضج، فقد قضى مرحلتي الطفولة والصبا في بلده، قبل قدومه إلى المغرب، وإذا افتُرِض أنه كان يتحلى بالنضج حقاً، فإن هذا يعني قدومه رجلاً فارق مرحلة الصبا. ومما يقوى هذا الافتراض تصويره فروع جسمه وقد نمت منتصبة بماء بلده، كما تقدم. وهذا يوحي باشتداد عوده، واستكمال مظاهر الرجولة[1]. ويبين الجلياني في رسالته المحبوكة أنه رحل في سبيل الحج، ومعه أهله، يقول: «إنا رحلنا بالأهل يوم الحج»[2]. وهذا القول، يقوى الافتراض أيضاً، ويدل على أنه قد رحل وهو في سن الرجولة. وإذا افتُرِض أنه كان في منتصف العقد الثالث من سني حياته، أي في حدود الخامسة والعشرين من عمره، وهو افتراض يتلاءم مع الحديث عن نضجه، وقدومه مع أهله، واستكماله مظاهر الرجولة، فإن هذا الافتراض يعني أنه قد قدم إلى المغرب في أوائل النصف الثاني من القرن السادس الهجري، وربما كان في حدود ٥٥٦ هـ[3]، علماً بأن مولده كان في سنة ٥٣١ هـ، كما تقدم.

يذكر ابن الشَّعَّار الموصلي أن الجلياني «كان كاتباً في بلاد المغرب، للوزير عمر»[4]. ولم يفصل ابن الشعار في حديثه. ويبدو أن العلاقة كانت بين الجلياني والوزير الآنف ذكره، جيدة، ولكنها ساءت، وعاقب الوزيرُ الشاعر، مما كان سبباً في رحيله إلى مشرق العالم الإسلامي.

(١) انظر: ديوان التدبيج: م/٥٣، ٥٤، س/٥١، ظ/٢٩، ديوان الحكم (تحقيق كتاني)/ ٢٥.
(٢) ديوان التدبيج س/٥١، م/٥٤، ظ/٢٨، ٣٠.
(٣) انظر: ديوان الحكم (تحقيق كتاني)/ ٢٦، ٢٧.
(٤) عقود الجمان ٤/ ٧٠.

وتجدر الإشارة إلى أن ابن الشعار قد تفرد بذكر هذا الأمر، دون أن يحدد معالم العلاقة بين الطرفين، أو يحدد المدة التي قضاها عبدالمنعم كاتباً في المغرب لدى الوزير عمر، أو يحدد الأسباب التي أدت إلى سوء العلاقة بين الطرفين.

ويتحدث عبدالمنعم الجلياني عن توجهه إلى مشرق العالم الإسلامي، إذ نراه يتحدث في شعره عن سفره، شاكياً ممن لا يتحلى بالوفاء من الرجال الذين كانت تربطه صلات بهم في المواطن التي أقام فيها في مغرب العالم الإسلامي. ويبين أنه لم يرحل إلى مشرق العالم الإسلامي سعياً وراء المال، كما يبدو في قوله[1]

سَفَري لم يكن لمكسب مالٍ ... أو لعلم أرتاده في ارتحال
إنَّما نخوتي أبَتْ لي مقاماً ... مع من لا يفي بحق الرجال

وهو قول يعكس لوناً من عدم الرضى عن بعض من كان الشاعر يتعامل معهم قبل رحيله. ومما تجدر الإشارة إليه هنا أنه لم يرحل طالباً العلم في المشرق، علماً بأن الكثير من طالبي العلم في الأندلس والمغرب كانوا يرحلون سعياً وراء العلم في مشرق العالم الإسلامي.

ويبدو أن الشاعر لم يكن راضياً عن عيشه مما دفعه إلى الرحيل، كما يبدو في قوله[2]:

عجبتُ لإنسان يرى نَقْصَ حاله ... بأرضٍ ولا يسعى إلى غيرها أرْضا
فإما رضىً بالعيش أولا فحاله ... بنقص ولا يدري به شامت أرْضا

وقوله[3]:

إذا أُلفيتَ في قومٍ غريباً ... وقد جهلوك لا تنزل قريبا

(١) ديوان الحكم (تحقيق الثقفان)/ ٣٣٠.
(٢) المصدر نفسه/ ٣٢١.
(٣) المصدر نفسه (تحقيق الثقفان)/ ١٢٢.

وقوله(1):

لا تَرْكَنَنَّ إلى خصبٍ ولا وطنٍ
وانهض فما المجد إلا في جنى التعب
كم آهِلٍ سيمَ خسفاً في مواطنه
ونائلٍ باغتراب رفعة الرُّتَبِ

وقوله مصوراً الجفاء بينه وبين بعض من تعامل معهم(2):

لِمَ يا ابنَ حسان جفوك وعنَّفوا
لمباينات بيننا بالذَّات
عابوا اضطرابك في الأمور تيقظاً
وأعينهم بزمانةٍ وسُبات

يذكر ابن الشعّار الموصلي أن القاضي أباالقاسم عمر بن أحمد بن أبي جرادة، المعروف بابن العديم، المتوفي سنة ٦٦٠ هـ(3)، قال: «سألت السديد عمر عن حاله، فوصفه بالفضل والعلم. قال لي: وكان يميل إلى الحكمة». ويضيف ابن الشعار قائلاً: «... وَجد عليه (الوزير عمر الآنف ذكره)، فضربه ثمانين سوطاً، فكان ذلك سبب خروجه إلى هذه البلاد» في مشرق العالم الإسلامي(4).

ولم يزل عبدالمنعم الجلياني يمدح السلطان الناصر صلاح الدين، منذ تلك السنة. يقول الجلياني نفسه: «لم أزل من أول ما ولي الملك الناصر الأمر في مصر، أعلم أنه مؤيد بعناية الله، سبحانه، فامتدحته في سنة ٥٦٥ هـ، بقصيدة تنيف على مائة بيت». ويذكر أبوشامة المقدسي أبياتاً منها تبشر بتحرير بيت المقدس(5).

ويذكر الجلياني أنه قال قصيدة يمدح بها صلاح الدين «عند قفوله من غزاة غزة. في شهر ربيع الآخرة سنة ٥٦٦ هـ»(6). ويذكر أبوشامة المقدسي أن

(1) ديوان الحكم/ ٣٠٢. (2) المصدر نفسه/ ٣٠٤.

(3) انظر: معجم الأدباء ٥/١٦ ـ ٥٧، فوات الوفيات ١٢٦/٣ ـ ١٢٩، شذرات الذهب ٣٠٣/٥.

(4) عقود الجمان ٦٩/٤، ٧٠.

(5) انظر: الروضتين ١١٥/٢.

(6) ديوان التدبيج ـ س/٤٥، م/ ٤٦، ٤٧، ظ/١٦.

الجلياني أنشأ قصيدته هذه في سنة ٥٦٧ هـ[1].

وفي السنـة التـالية، ٥٦٨ هـ، قال الجلياني قصيدة مبشرة أخرى يمدح صلاح الدين[2].

ومن هذا يتبين استمرار اتصال الشاعر بصلاح الدين منذ تلك السنة التي اتصل فيها به.

في مصر:

وصل الجلياني إلى مصر، قادماً من المغرب، قبل سنة ٥٦٤ هـ، ففي تلك السنة أنشأ قصيدته اللامية التي أولها: «لا تسأل الدار عن ظعن قد احتملوا». وهي أول ديوان المبشـرات والقـدسيات. ويذكـر الجلياني نفسـه أنـه وصف تصـرفات أمر السلطان صلاح الدين، «من لدن ولي الديار المصرية في سنة ٥٦٤ هـ»، وهي السنة التي أنشأ فيها القصيدة اللامية المشار إليها[3]

ويتضح من هذا أنه قد اتصل بصلاح الدين منذ سنة ٥٦٤ هـ، وقال فيه شعراً يصور الأحداث في عهده، في مصر.

ويبين الجلياني، في الرسالة المحبوكة التي كتبها استجابة لرجل أندلسي، الحالة التي وجد عليها مصر عند وصوله إليها. يقول: «فألفينا هذا الصقع قد ارتـج، وقـام خطيب الفتنـة فيه واحتـج». ويصـور الـزمان قد حمل، «وأزف مخـاضـه. . .، فولد الدرة اليتيمة، والندرة العظيمة، عمدة المهتدين، وعدة الموحدين، صلاح الدنيا والدين»[4].

ويبين هذا القـول أن الجلياني قد قدم مصر قبل أن يتولى صلاح الدين الوزارة فيها، وأنه قدمها والفتنة مطلة برأسها، كما تقدم. ولعله يشير إلى التنافس

(١) انظر: الروضتين ٢/١١٥.

(٢) انظر: المصدر نفسه ٢/١١٦.

(٣) انظر: ديوان التدبيج/ س/٤، م/٣، الروضتين ٢/١١٥.

(٤) انظر: ديوان التدبيج/ س/٥١، م/٥٤، ظ/٣٠.

على الحكم بين الـوزراء من أمثـال شاور، وضـرغـام، وعـدم تورعهم عن الاستنجاد بالفرنج.

وسادت تلك الحالة في مصر منذ سنة ٥٥٨ هـ، وحتى سنة ٥٦٤ هـ[1]. ولعل هذا يمكن أن يبين أن الجلياني قد قدم مصر نحو سنة ٥٥٨ هـ، وكانت الفتنة قائمة فيها كما تقدم.

وإذا كان الجلياني قد قدم في تلك السنة، ثم مدح صلاح الدين في سنة ٥٦٤ هـ، وأنشأ قصيدته اللامية في السنة المذكورة، فهل يعني هذا أنه استمر مقيماً في مصر كل تلك السنوات، بين سنتي ٥٥٨ هـ و ٥٦٤ هـ؟ وللإجابة عن هذا التساؤل، يمكن القول: إن الجلياني قد رحل بالأهل في سبيل الحج؛ ولكنه ألفى مصر لما قدمها مائجة بالفتن، كما تقدم. ولعل هذا الوضع القلق، دعاه إلى زيارة الأماكن المقدسة، وأداء فريضة الحج، فيكون بذلك قد حقق غايته التي كان يرغب في تحقيقها منذ خروجه من المغرب[2]. وبهذا يكون قد سافر إلى الحجاز، والشام، في الفترة بين السنتين المذكورتين، ولكننا لانستطيع تحديد السنة التي سافر فيها. ومما يرجح هذا ان الجلياني يتحدث في الشذرة الثانية عشرة، من ديوان التدبيج، عن غوطة دمشق، وحياته فيها، ويشيد بمدينة جلق، وجامعها، وقبة النسر فيه، وأسوارها، وأنهارها، ومنازلها، وميادينها وينشىء قصيدة يتحدث فيها عن حياته في الغوطة، يقول فيها[3]:

جُلْنا بأعطافها نَرْعى نواظِرَنا ... مَنادحاً يَزَعُ الأوصابَ زاهيها
حتى استقلَّتْ بنا وَخّادةٌ رُسُمٌ ... مُضمَّراتٌ غليظٌ قلب حاديها

إلى أن يقول:

(١) انظر: الكامل ١١/ ٢٩٠، وما بعدها ـ حوادث ٥٥٨ ـ ٥٦٤ هـ، النجوم الزاهرة ٥/٣٤٧ ـ ٣٥٤، النكت العصرية ٧٨ ـ ٨١، مفرج الكروب ١/١٣٧ ـ ١٦٣، الروضتين ج ١ ق ٢/٣٣١ ـ ٣٣٨، ٣٦٤، ٣٦٨، أو ١/١٢٩ وما بعدها، ديوان الحكم (تحقيق كتاني)/ ٢٦، ٢٧.

(٢) انظر: ديوان التدبيج س/٥١، م/٥٤، ظ/٣٠، ديوان الحكم (تحقيق كتاني)/ ٢٨.

(٣) المصدر نفسه: س/٨٤، م/٨٩، ظ/٨٤، ٨٥.

وَرَدْنَ مِصْرَ فأبقتْ مِن تَذكُّرِها دِمَشْقَ ناراً نُواريها فَنُوريها

وهذه الأبيات تبين أن الجلياني قد سافر إلى دمشق، ثم عاد إلى مصر. وأنه يبدي تعلقاً بدمشق، كما يبدو في قوله في القصيدة ذاتها[1].

لولا أمور وأرزاق مُقدرةٌ لم يرتحل عن دمشق حاصرٌ فيها

وهذه القصيدة التي أنشأها الجلياني، وأوردها في الشذرة الثانية عشرة، وأنشدها في ذلك المجلس الذي ضمه بالجامع العتيق، كان قد نظمها من قبل، يقول مخاطباً «راجح بن حسان»، وكان قد طلب من الجلياني كتابة رسالة في وصف الشام: «. . . فتشدو عند مطافها ما كنت نظمته في أوصافها، ووسمتها بالقصيدة الشماء في نعت الغوطة الدهماء»[2]. ولعله بهذا يمكن القول: إنه أقام مدة في مصر، ثم تركها والفتنة قائمة فيها، فحج، وزار بيت المقدس، ودمشق، وغيرها، ثم عاد إلى مصر.

ويصور عبدالمنعم الجلياني تشوقه إلى زيارة الأماكن المقدسة في الحجاز، وتأدية فريضة الحج، فيقول[3]:

يا زائرَ المصطفى من الأُممِ وخير هادٍ في العُرْب والعَجَمِ
أبْلغْهُ مني السَّلام أبْلغَهُ وَقُلْ فتىً قلبه مع الحَرَمِ
قد شَفَّهُ الشوق نحو كعبتكم فسُؤلُهُ لو سَعىَ على القدمِ
يبكي إذا سَرَت الركابُ ولم يَسِر بدمعٍ كالقطر مُنسجمِ
وما ثناهُ عن قصْدكُمْ غَرضٌ فما عداكم إلا يراهُ كالعَدَمِ
يا ليت شعري متى أفوزُ بأنْ أجد سيري في الأشهر الحُرُمِ

وهل أرى الكعبة الحرامَ وقد مددتُ فيها وسائل الحرم

(١) ديوان التدبيج/ س/٥٠، م/١٠، ظ/٨٧.

(٢) المصدر نفسه/ س/٨٤، م/٨٨، ظ/٨٤.

(٣) ديوان الحكم (تحقيق الثقفان)/ ٢١٤، ٢١٥.

إلى أن يقول[1]:

يا حسنها إذْ نزلت ساحتها ... ملبياً للحبيب من أَمَمِ
وَطُفْتُ سبعاً وجئتُ ملتثماً ... للركن منها التثامَ ملتزمِ
ونلتُ من زمزمٍ على ظمأي ... بعد استلامي للركن ملء فمي
أكرِمْ بها شربة أتتك من ... الماء الإلهي مُذهب السَّقمِ
يا بردها والفؤاد ملتهبٌ ... شوقاً إلى ورد حوضها الشَّبِمِ

ويقول مصوراً طوافه بالبيت العتيق[2]:

تطوفتُ بالبيت العتيق لكي أرى ... أقام به الركبُ اليماني أم سَرَى
فنادتني الأستارُ دوني فالتمس ... فإن وراء الستر للحسن منظرا

---

(1) ديوان الحكم (تحقيق الثقفان)/ ٢١٤، ٢١٥.

(2) المصدر نفسه/ ١٨١.

في الجامع الطولوني:[1]

يذكر عبدالمنعم الجلياني أنه رأى في المنام «ليلة الخميس لتسع خلون من ربيع الأول سنة ٥٦٩ هـ»، وكأنه «في بهو بين مجالس، والملك الناصر جالس فيه، وهو ماثل بين يديه ينشر لألئه ويواقيته من الشعر، ويلقى الاستحسان من السلطان صلاح الدين. ويذكر أن السلطان قد دخل عليهم، في الغد، بجامع ابن طولون، وأنه قد مثل بين يدي صلاح الدين يقرأ له، ويشرح «ما ورد في خط الكتاب مما يخالف هجاء الكتاب»، ثم خرج بصحبته إلى الباب، وإذ ذاك، سأله صلاح الدين عن الاسم والوطن[2]. وهذا يوحي بأنه لم يكن معروفاً لدى صلاح الدين، مما جعله يقول: «فأذكرته بالمدبجة الباهرة الفطن»[3].

ويتحدث الجلياني، في الشذرة الثالثة من ديوان التدبيج، عن «صنائع الملك الناصر للمغاربة وايوائه، واشتمال فضله عليهم واحتوائه»[4]. ويفصل القول عن قدوم صلاح الدين إلى الجامع الطولوني، وتفقده المغاربة، ووصله الحجاج، ورأفته بالمساكين الغرباء[5]. ويصور المغاربة القادمين إلى مصر، وهو واحد منهم، فيقول: «... فكم متوجه من أقاصي الغرب، وارد أرض مصر في سربال من الكرب». وهم «من ذي مال قد عال، أو ذي جاه قد حال، أو مقتني علم قد جال، أو متزهد قد ضعفت قوته...». ويذكر أن الملك الناصر قد بنى المنازل للمغاربة حيال جامع ابن طولون، وأنه وقف عليهم أوقافاً للمقيمين والراحلين منهم، ولطالبي العلم، والضعفاء، والغرباء، والعلماء، والأدباء. كما يتحدث عن رعايته لهم بثغر الاسكندرية[6].

---

(١) انظر: خطط المقريزي ٢/٢٦٥ ـ ٢٦٩.

(٢) ديوان التدبيج/ س/٤٠، م/٤٠، ظ/٤.

(٣) المصدر نفسه/ س/٤٠، م/٤٠، ظ/٤، ٥.

(٤) انظر: المصدر نفسه/ س/ ٤٢ ـ ٤٤، م/٤٣ ـ ٤٥، ظ/٦، ٧، ١٠.

(٥) المصدر نفسه/ س/٤٢، م/٤٣، ظ/١٠، ١١.

(٦) المصدر نفسه/ س/٤٣، م/٤٤، ظ/١١، ١٢.

ويصور الجلياني المغاربة، وهو واحد منهم، يشرّقون «سبقـا إلى المسجد الحـرام، وتـوقـاً إلى روضة بين منبر وقبر عظيم الاحترام، ولما آنسوه بالملك النـاصـر من يسير المـرام، وبسط رداء الاحتفـاء بهـم والإكرام، وقبض إزراء الاعتداء عليهم والاجترام»[1].

ويتحدث، في الشذرة الخامسة من ديوان التدبيج، عن ذلك الرجل الذي قدم من المغرب، واشادته بالشاعر الجلياني، وإشادة المغاربة به في بلادهم، وكأنهم كانوا ينظرون إليه فيما كان سبباً فيه، إزاء معاملة السلطان صلاح الدين للجلياني خاصة، والمغاربة القادمين إلى مصر عامة. يقول الجلياني: قال ذاك الرجل: إن المغاربة «زمر يتنورون معارج» أعلام الجلياني، «ويتبصرون نتائج» أقلامه، «وقد استفاض فيهم ما أوتيت من وفور الحظ، في بلاغة جمعت نصاعة المعاني، وصناعة اللفظ»[2]. وهكذا كانت أخبار الجلياني في مصر، وفي المغرب.

لقد شملت صنائع صلاح الدين تلك عبدالمنعم الجلياني، يقول[3]:

وَسَـل مَكْـرُمـاتِ الناصرِ المَلْكِ إنه   لَهُم كالأب الحـاني يبـرُّ ويَسْمَـحُ

(١) ديوان التدبيج/ س/٤٩، م/٥١، ظ/٢٤.

(٢) المصدر نفسه/ س/٤٦، م/٤٨، ظ/١٨.

(٣) المصدر نفسه/ س/٤٧، م/٤٩، ظ/٢٠.

في الجامع الأقمر[1]:

وفي الشذرة الرابعة من ديوان التدبيج، يتحدث عبدالمنعم الجلياني عن لقائه بالقاهرة «رجلاً من ذوي الأسنان والأحلام»، ويصف ذلك الرجل بأنه من أهل الدين والأدب، وأنه كان يجول في البلاد، مشرقها ومغربها، وجنوبها وشمالها. ويبدو أن علاقته به كانت وطيدة، إذ يذكر أنه قد أوحشه ارتحاله. وقد سأله الجلياني عن حاله في ظل السلطان صلاح الدين، فقال: «حال من يرى أنه في خلافة عمر بن الخطاب القويمة النهج، أو في دولة كسرى أنوشروان الملك المتوج، بزمان مُرخى الأطناب، رحب الجناب، نشر فيه الكرم والكرامة، والعدل والاستقامة...». ويبين أن ذلك الرجل طلب منه أن ينشىء خطبة في هذا المعنى[2]. ومن هذا يتضح مدى إشادة الجلياني بصلاح الدين، ودولته وفعاله فيها.

ويحدثنا الجلياني كيف كان «الجامع الأقمر» يضمه مع ذاك الرجل، وقد استجاب الجلياني للطلب، وأنشأ الخطبة.

وفي خطبته تلك، يسترسل في الإشادة بدولة صلاح الدين، فيتحدث عن محوه البدع الظاهرة، ونشره السنن الباهرة، في مصر، والشام، والحجاز، واليمن. كما يتحدث عن «فتح القلاع من معاقل الكفار، وإذعان الملوك من جميع الأقطار[3]. ويشيد بصلاح الدين في خشيته، وورعه، وخوفه من الله، واتباعه، وعدله، ومراعاة الحق، ورعايته للخلق، وتقواه، وهيبته في النفوس. ثم يصور الاستقرار وشيوع الأمن، وازدهار التجارة، في ظل صلاح الدين. ويتحدث عن بنائه المدارس، والرباطات، وإحياء ربوع العلم الدوارس[4].

وبعد أن انتهى الجلياني من خطبته تلك، استجاب لطلب من ذلك

---

(١) انظر: خطط المقريزي ٢/٢٩٠.
(٢) انظر: ديوان التدبيج/ س/٤٤، م/٤٥، ظ/١٣ ـ ١٦.
(٣) انظر: المصدر نفسه: س/٤٤، م/٤٥، ظ/١٤.
(٤) المصدر نفسه/ س/٤٤، ٤٥، م/٤٥، ٤٦، ظ/١٣ ـ ١٥.

الرجل، وأسمعه قصيدة قالها في صلاح الدين، قال: «لما قفل، تقبل الله غزواته، من غزة غازيا بالغز غزوته المشهورة شهر ربيع الآخر سنة **٥٦٦** هـ، أنشأت ذاكرا فتحه»[١]، قصيدة من المبشرات بالفتح القدسي[٢].

ويحدد هذا القول التاريخ الذي أنشئت فيه الخطبة، والقصيدة.

في الجامع الحاكمي[٣]:

وفي الشذرة الخامسة، من ديوان التدبيج، يتحدث الجلياني، عن مجلس ضمه بالمشهد الحاكمي، وفيه يصور الحاضرين ينصتون إلى الكلام الحكمي كما يقول. ويتحدث فيه عن طلب مغربي، ممن كان يضمهم ذلك المجلس، أن ينشىء الجلياني شذرة في وصف بلادهم، فاستجاب له، وأنشأ الشذرة الخامسة. وقد أطال في الحديث عن المغرب وأهلها. ويتحدث فيها عن رعاية صلاح الدين للوافدين المغاربة، كما تقدم[٤]. ويشيد فيها بمراكش. ويبدي حنينه إليها، فيقول شعراً:

رِدْ بلداً تمتلى فرحاً ... وتلقَ فيه ما شئت مقترحا
كَمْ راحلٍ منه لم يجد عوضاً ... فضاق صدراً قد كان منشرحا
لو عرفَ المرءُ سَوْق رحلته ... لغير ما يرتضيه ما بَرِحا

ويبين أن من شَرَّق من المغرب، فعل ذلك في سبيل الوصول إلى المسجد الحرام، والروضة الفيحاء[٥].

ويتحدث الجلياني عن علماء الأندلسيين وأدبائهم، ويصورهم أعلام المعارف «الذين تأرَّجَ نشر مآثرهم»، وهم من أصحاب التصانيف المعلمات، وهم «نقلة للأثر ثقات»[٦].

---

(١) ديوان التدبيج/ س/٤٥، م/٤٦، ٤٧، ظ/١٦.

(٢) انظر: القصيدة ذات الرقم (٢) في هذا المجموع الشعري.

(٣) انظر: خطط المقريزي ٢/٢٧٧ - ٢٨٢.

(٤) انظر: ديوان التدبيج/ س/٤٦ - ٥١، م/٤٧ - ٥٣، ظ/١٨ - ٢٧.

(٥) المصدر نفسه/ س/٤٩، م/٥١، ظ/٢٤.

(٦) المصدر نفسه/ س/٥٠، م/٥٢، ظ/٢٥، ٢٧.

في مسجد الباب الأخضر بالإسكندرية :

أنشأ الجلياني الرسالة المحبوكة، في الشذرة السادسة، استجابة لطلب رجل أندلسي، ويذكر أنه كان ذات يوم يجول بساحل الاسكندرية، ويصور وفود العرب والعجم والروم إليها للتجارة. وبينما كان يجول هناك «إذا برجل لفظه لفظ أندلسي النجار»، ويصور حنينه إليه حنين الجار. ولما سأله عن مناهجه، انتسب إلى الرهط الغساني، ثم طلب منه ذلك الرجل الأندلسي أن ينشىء رسالة في فضائل الملك الناصر. ويبين أنه كان والرجل الأندلسي بمسجد الباب الأخضر، في الاسكندرية[1].

ولعل الجلياني كان، في تردده إلى الاسكندرية، يحضر المجالس التي كان السِّلفي، أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، المتوفى سنة **٥٧٦** هـ[2]، يعقدها بالمدرسة السلفية، بالباب الأخضر، في الإسكندرية[3].

ثم يتحدث الجلياني عن تردده بين القاهرة والإسكندرية، ويبدو ذلك جلياً من قوله، بعد لقائه بذلك الرجل الأندلسي: «ثم اني يممت القاهرة آثباً»[4].

ويبين أن الرجل الأندلسي ارتاد نُجعَه، وذلك لما بلغه ما صاغه الجلياني من نظم مدبج للملك الناصر، وقد طلب منه الأندلسي ما أبدعه في هذا المجال، ليُتلى بالأندلس كالسور، ويُروى هنالك رواية الأثر[5]. والإشادة بالجلياني وأدبه، واضحة في هذا القول.

---

(١) انظر: ديوان التدبيج: س/٥١، ٥٣، م/٥٣، ٥٤، ظ/٢٨ ـ ٣١.

(٢) انظر: وفيات الأعيان ١/١٠٥ ـ ١٠٧، طبقات الشافعية الكبرى ٦/٣٢ ـ ٤٥، الوافي بالوفيات ٧/٣٥١ ـ ٣٥٦، تهذيب تاريخ دمشق ١/٤٥٠ ـ ٤٥١، الحافظ أبوطاهر السفلي.

(٣) بناها له العادل أبوالحسن علي بن السلار، في حوالي سنة ٥٤٦ هـ، وهي معروفة بالحفاظ السلفي. (انظر: وفيات الأعيان ١/١٠٥، طبقات الشافعية الكبرى ٦/٣٧، الوافي بالوفيات ٧/٣٥٤، تهذيب تاريخ دمشق ١/٤٥٠، الحافظ أبوطاهر السلفي/ ١٠٢ ـ ١١٢.

(٤) ديوان التدبيج: س/٥٣، م/٥٤، ٥٦.

(٥) المصدر نفسه: س/٥٣، م/٥٦.

في الجامع العتيق (جامع عمرو بن العاص)[1]:

ويتحدث عبدالمنعم الجلياني، في الشذرة العاشرة من ديوان التدبيج، عن مجالسه وحضوره في جامع عمرو بن العاص، ويذكر أن من كان يضمهم ذلك المجلس قد أشادوا بمدبجته التي وردت في الشذرة السابعة[2]. يقول: «ثم شهدت بمصر، في جامع عمرو، ملأ يتناجون في هذا الأمر، ويقولون: إنما كانت تلك المدبجة نَدْرة مَعْدِنها، وبِدْعة مُحْسِنها»[3].

ويتحدث عن مجالس ضمته بالجامع العتيق بالفسطاط مع أُناس من مصر، والعراق، والشام، يقول: «وعندنا أناس كالمسك الفتيق، مصريون ذوو احتشام، وعراقيون مروا بالشام». ثم يقول: «وتبارينا في ذلك الميدان، إلى أن قال أحد من معنا من المصريين...، وقال آخر من السالكين بالشام...»[4]. وكانوا يتبادلون المُلَح في ذلك المجلس، وفيه قضوا ليلتهم ينشدون، ويخطبون، يقول: «فانتهبنا أنفاس ليلتنا أناشيد وخطباً»[5]. ثم يصور من كانوا في المجلس، يضمهم «سطوح الجامع، يقيدون النوم بالجوامع»، ويتناقشون حول «الأقاليم المشهورة، والكور العامرة...، وتباين أخلاق الأمم والأجيال، ووقائع الحروب بينهم والصيال، واخبار الملوك المستقلة والأقيال». وكانت محاورات تدور بينهم حول محاسن البلدان، واللغة، والأدب[6]. ثم يبين كيف طلب منه الحاضرون أن ينشىء رسالتين تتحدثان عن الصعقين، مصر والشام، ليحدثوا «بشأنهما عشياً وأبكاراً» كما يقول[7].

ومن هذا يتبين لنا الدور الذي كان الجلياني يقوم به في تلك المجالس.

---

(١) انظر: خطط المقريزي ٢/٢٤٦ ـ ٢٥٦.
(٢) انظر: ديوان التدبيج / س/٥٣ ـ ٦١، م/٥٦ ـ ٦٢.
(٣) المصدر نفسه/ س/٦١، م/٦٢.
(٤) المصدر نفسه: س/٧٦، م/٨٠، ظ/٦٩.
(٥) المصدر نفسه: س/٧٥، م/٧٩، ظ/٦٥ ـ ٦٦.
(٦) المصدر نفسه: س/٧٦، ٧٧، م/٨٠، ظ/٦٨، ٦٩.
(٧) المصدر نفسه: س/٧٦، ٧٧، م/٨٠.

ويبدو مثل ذلك جليا أيضاً في حديث الجلياني عن طلب حازم بن نبيه، وإصراره أن يملأوا أوراقهم من إنشاء عبدالمنعم الجلياني، حول مصر. ثم يذكر أن أولئك المصريين خطفوا ما جاء في الألواح، «وأجروها في قلوبهم مجرى الأرواح»[1]. ويصور حازم ذلك قائلاً: «والذي أنطق البَكم بالحِكَم، وعلَّم خلق الظُّلم بالقلم، لَتُمليِّن من كلامك الذي قد راقنا، ولتملأن من إنشائك أوراقنا، ممتعاً أسماعنا». وكان حازم هذا ممن ضمهم المجلس بالجامع العتيق، وهو الذي أملى عليه الجلياني الشذرة الحادية عشرة. ويذكر الجلياني أنه طلب من حازم أن يروي عنه ما كتبه، يقول: «قلت: ارو عني ما اكتتبت يا حازم. قال: ما استمليتها منك، إلا وأنا روايتها عنك»[2].

★★★

ولم تكن حياة الجلياني في مصر، كلها على هذه الوتيرة، فقد كان يقضي بعض أوقاته في البساتين مع صحبه. يقول: «وقد دخل بستاناً بظاهر الاسكندرية، مع بعض أصحابه: أيها الجائل في البستان، بين شجراته، المتعجب من صيغ ثمراته، قد كتب لك يد الحكمة عليها سطور العبرة، فاقرأ إن كنت من ذوي الخبرة، واسمع إنشادها لك في كل نظرة:

أيها الناظر الذي في سطوري تحيّرا
لو تأملت باطني نلت ما قد تَستَّرا
فارع لبي ولا تكن في قشوري مفكِّرا
عجباً منك كلما رُمْتَ أكلاً مُقَشَّرا
ولذي العلم لا تجاوز قشري مُقصِّرا
فدع الجسم والحظ السِّرَّ تُدْركه مُبْصِرا[3]

«وكتب إليه رجل من أهل «فُوَّة»[4]، وكان مقيماً بها، أبياتاً يشكو فيها علاقة

(١) انظر: ديوان التدبيج: س/٧٧ - ٨٠، م/٨٠ - ٨٤، ظ/٧٠ - ٧٦.

(٢) انظر: المصدر نفسه س/٧٦، ٧٧، ٧٨، م/٨٠، ٨١، ٨٢، ظ/٦٩، ٧٠، ٧٢.

(٣) ديوان الحكم (تحقيق كتاني)/ ٦٨، ٦٩، (تحقيق الثقفان)/ ٢٨٨.

(٤) فوة (بالضم ثم التشديد): تقع على شاطىء النيل، من نواحي مصر، قرب رشيد. وهي ذات أسواق ونخل كثير.

قلبه بامرأة افتتن بها»، ويسأل جواباً. وكان يسمى ذلك الرجل محمداً الأعمى. ويبدو أن الرجل كان يجل الجلياني إجلالاً كبيراً، إذ يصفه بالحبر المرشد إلى الخير. يقول[1]:

ألا أيُّها الحَبْرُ الذي أرشدَ الورى
إلى الخير واستعلى على كلِّ عالم
شكوتُ إليك الحالَ في غير رقعة
وتبّاً لمن يشكو إلى غير راحم

إلى أن يقول[2]:

فصف لي دواء سيدي أهتدي به ... فقد هاج شوقي للحبيب المصارم

فأجابه بقوله[3]:

دواؤك يا ممراضُ صدق العزائم ... ونهضة وقاد البصيرة حازم
إذا أنت أعملت التفكّر أشرقت ... دُجاك فلاحتْ مبهمات المعالم
وأبصرت حسناء المآثر والعُلى ... فأنستك شوهاء الدُّنى والمآتم

وكان يخرج مع صحبه في مركب يمخر عباب النيل. يقول، «وهو في مركب ببحر النيل، وقد ثارت سمكة كالسهم»[4]:

تأمَّل الفعلَ إذْ تُومي وتَختلِسُ ... وحرِّر الأمرَ إذ تَنوي وتَلْتَمِسُ
ولا تكونَنَّ مثلَ الحوتِ أعْجَبَهُ ... خوضُ المياه فيَسْتعلي ويَنغمِسُ
ظنَّ السفينةَ موجاً فاستطارَ لها ... إذا به وَسْطَ قَعْرِ الخِنِّ مُحْتَبَسُ[5]

= (انظر: معجم البلدان ٤/ ٢٨٠).

(١) ديوان الحكم (تحقيق كتاني)/ ٦٦، (تحقيق الثقفان)/ ٢٨٠، ٢٨١.

(٢) المصدر نفسه (تحقيق كتاني)/ ٦٦، (تحقيق الثقفان)/ ٢٨٠، ٢٨١.

(٣) المصدر نفسه (تحقيق كتاني)/ ٦٦، (تحقيق الثقفان)/ ٢٨١، ٢٨٢.

★★★

(٤) ديوان الحكم (تحقيق كتاني)/ ٥٦، (تحقيق الثقفان)/ ٢٤٩.

(٥) الخِن: (بكسر الخاء): السفينة الفارغة.

(اللسان: مادة «خنن»).

رجـا خروجـاً ولا كفٌ ولا قدمُ ... ورام عيشـاً ولا قلبٌ ولا نَفَسُ
ما كانَ أغنـاهُ لو كانتْ له فِكَـرٌ ... عن أُنسـه بمكـان منـه يُحتـرسُ
من لَمْ يكنْ بقيودِ العقـلِ مرتبطاً ... فإنَّـهُ بحبـالِ الجهـلِ مُفْتَـرَسُ

في الشام:

تقدم القول ان عبدالمنعم الجلياني توجه إلى بلاد الشام، وزار بيت المقدس، ودمشق، في الفترة بين سنتي ٥٥٨ هـ، و ٥٦٤ هـ، وذلك خلال إقامته في مصر، في تلك الفترة. ولكن دون تحديد السنة التي سافر فيها إلى بلاد الشام، والمدة التي قضاها فيها قبل عودته إلى مصر.

في الشذرة الثانية عشرة، من ديوان التدبيج، وهي رسالة من انشاء الجلياني، اكتتبها «راجح بن حسان»، «في بهجة الشام وأوصافه الحسان»، يصور الشام لُبّ الأرض وقلبها، «وعقدها المنظم وقُلْبها»، وهي «مباعث الأنبياء، ومهاجر الأولياء، وموارد الصالحين». ويتساءل قائلاً: «وكيف يُحصى فضلها أو يُستقصى، وبعض محجوجاتها المسجد الأقصى»[1]. وهو بهذا يتحدث عن قدسية بلاد الشام عامة، وبيت المقدس خاصة. وهذا مظهر من مظاهر تعلقه بها. ثم نجده يصور أرض الشام قد خُصَّتْ «بطيب المقام، والخصب المستدام، والنِعم الجسام، والنعمة للأجسام غذاء طبيعي، وهواء ربيعي...»[2]. إن وصف الجلياني المفصل لبلاد الشام، يدل على إقامته فيها مدة من الزمن لم أستطع تحديدها، خلال السنتين الآنفتي الذكر. إنه يصفها ربيعاً، ويصف مدينة جلق بأنها «من أبدع ما خُلق، قد جَلَّل ظاهرها الزاهران، الخصب والايناس». ويصف أنهارها، وقنواتها، وبركها، وجامعها، يقول[3]:

دمشقُ بالجامـع الفَـرْد مفخـر ... مواطـن مبنـاه طرازٌ مُنَجَّـدُ

(١) ديوان التدبيج/ س/ ٨٠، م/ ٨٤، ظ/ ٧٦، ٧٧.
(٢) المصدر نفسه/ س/ ٨٢، م/ ٨٦، ظ/ ٨٠.
(٣) المصدر نفسه/ س/ ٨٢، ٨٣، م/ ٨٦، ٨٧، ظ/ ٨١، ٨٢، ٨٣.

وظــاهــرُ مغنــــاه مواردُ سائــحٍ تَمُــدّ مَداه بالـينــابـيـع أنْـجُــدُ
وفــوارة تـسـمــو وتـهــوي كأنـهــا تُعـــاين آيات الـسـمـــاء فَتسْجُــدُ

ويصف غوطتها، وميادينها، ومنازلها، وربوتها، وينشئ قصيدة سماها «القصيدة الشماء في الغوطة الدهماء» كما تقدم. وهي قصيدة طويلة تزيد على خمسين بيتاً. وفيها يتحدث عن «أيام جلَّق» فيقول[1]:

أيام جلَّقَ والأهــواءُ مُســعــدةٌ ونَضْــرة العَيْش تُنهيهـا مَبـاديهـا
في الغوطة الغبطةُ الممدودُ نعمتُها أرواحُ جنــة عَدْنٍ في نواحــيهــا
جُلْنـا بأعــطافهــا نَرْعى نواظـرنـا منــادحــاً يَزَعُ الأوصــابَ زاهيهـا

إلى أن يقول:

وَيوْمَنـــا والـمُنَى تُعْــطى أعنَّتهــا طَوْعَ القيادِ وتَجْنى حَسْبَ جَانيهــا
والمَــرْجُ كالعين والأنهــارُ أدْمُعهــا وَظِــلُّ شَجْــرائهــا جَفْنٌ يُغشّيهــا

ويذكر النَّيْر بيْن[2]، ويصور ما يشعر به هناك فيقول[3]:

ومــا نسـيتُ فلا أنْـسَـى عَشـيَّتنــا بالـنـير بين وقــد رَقَّــتْ حواشيهــا

---

(١) ديوان التدبيج: س/٨٤، م/٨٨.

(٢) النيربان: محلة في سفح قاسيون بدمشق. يقال النيرب، والنيربان، وهما النيرب الأعلى، والنيرب الأسفل، والنيرب كلمة سريانية معناها الوادي، ويراد بها سفح قاسيون مما يلي الربوة. وقيل: متنزه النيربين، ومحلة النيربين، وكانت أعظم المحلات، وأنضرها، حسنة الثمار، كثيرة الأزهار، وكان بها سويقة، وحمام، وجامع، وكانت مسكن الرؤساء والأعيان. وقد كانت عامرة في القرن الثامن الهجري، ثم أخذت بالخراب.

ولا يزال النيرب معروفاً مشهوراً، ولكن لم يبق فيه من الآثار إلا القليل.

(انظر: الأعلاق الخطيرة، تاريخ مدينة دمشق/ ١٨١، معجم البلدان ٥/ ٣٣٠، القلائد الجوهرية ١/ ٥٥ ـ ٥٨، نزهة الأنام في محاسن الشام/٤٧، ٤٨، الدارس ١/ ٢٧١، ٢/ ٤٣٨، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال/٤٠٣، غوطة دمشق/١٨١، في رحاب دمشق/ ٢٧ ـ ٣١).

(٣) ديوان التدبيج: س/٨٤، م/٨٩، ظ/٨٥.

ويصور ليلة الرَبوة[1]، والمِزَّة[2]، وبردى[3].

إن أوصاف الجلياني هذه ناطقة بأنه كان قضى شطراً من حياته في هذه الربوع.

يذكر الحافظ ابن النجار البغدادي، أن عبدالمنعم الجلياني دخل دمشق، وسكنها مدة[4]. ويذكر ابن الزبير، أبوجعفر أحمد، أنه رحل إلى المشرق، ونزل دمشق، وانقطع بها خبره»[5].

ويذكر المراكشي، أبوعبدالله محمد بن محمد بن محمد بن عبدالملك الأنصاري الأوسي، المتوفى سنة ٧٠٣ هـ[6]، أنه «تجول ببلاد المشرق سائحاً، وحج»[7].

---

(١) محلة من محاسن الشام، وكان لها شأن كبير، يقول البدري: وهي من أجمل متنزهات الدنيا، وبها القصور المشيدة، والبساتين البديعة. وقيل ربوة لأنها مرتفعة مشرفة على الغوطة، وما يسمى اليوم (في أيام البدري) الربوة ليست كذلك، وإنما هي واد كان فيه محل يقصده الناس للزيارة والتبرك، وقد زال اليوم ولم يبق له أثر إلا كتابة كوفية. وبقيت التسمية شائعة على الوادي، الذي كانت فيه الربوة. كانت فيها آثار، وقصور. وكان بها عدد من المساجد، والمدارس، والحوانيت، والأسواق، وغيرها. وكانت لها أوقاف كثيرة يصرف منها للبائتين من الزوار، والأكسية، والطعام، وينتسب إليها شيخ الربوة، صاحب «نخبة الدهر في عجائب البر والبحر». وصفها الشعراء. خربت، ودثرت قصورها، وتهدمت مساجدها، لم يبق فيها اليوم إلا آثار تدل على عمرانها القديم، وهي اليوم من أحياء دمشق.

(انظر: معجم البلدان/ ٤/ ٢٢٤، نزهة الأنام في محاسن الشام/٤٨ ـ ٦٠، القلائد الجوهرية ١/٤٨ ـ ٥٥، الدارس ٢/ ٤٤٠، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال/ ٤٠٣ ـ ٤٠٧، غوطة دمشق/ ١٧١، في رحاب دمشق/ ٢٠ ـ ٢٧).

(٢) من محاسن الشام. كانت قرية من أجمل قُرى الغوطة. ذات بساتين كثيرة. ولم يبق من المزة القديمة سوى بيوتات قليلة. وهي أحد أحياء دمشق اليوم.

(انظر: تاريخ المزة وآثارها (المعزة فيما قيل في المزة)، الأعلاق الخطيرة ـ دمشق/ ١٨١، معجم البلدان ٥/١٢٢، الدارس ١/٤٣٢، غوطة دمشق/ ١٨٠.

(٣) انظر: ديوان التدبيج: م/٨٩، ٩٠، س/٨٥، ظ/٨٦، ٨٧.

(٤) ذيل تاريخ بغداد ١٥/١٧٤، وانظر: عيون الأنباء/ ٦٣٠، سير أعلام النبلاء ٢١/٤٧٧.

(٥) صلة الصلة/١٦.

(٦) انظر: تاريخ قضاة الأندلس/ ١٣٠ ـ ١٣٢

(٧) الذيل والتكملة، السفر الخامس، القسم الأول/ ٥٧.

ويذكر ابن الشعار الموصلي أن الجلياني «طاف البلدان، واخترق الآفاق، ثم سكن بأخرة في دمشق، أيام الملك الناصر صلاح الدين أبي المظفر يوسف بن أيوب»[١].

ويذكر ابن أبي أُصيبعة أنه أقام بدمشق، إلى حين وفاته[٢].

ومن هذه الأقوال يتبين أنها تجمع على دخول الجلياني دمشق، وإقامته فيها مدة. وعند النظر في هذه الأقوال، وفيما تقدم، يمكن القول: إن الجلياني قد زار دمشق، وأقام فيها مدة لم يمكن تحديدها. ثم رجع إلى مصر. ولكنه عاد إلى دمشق مرة أخرى. واستقر فيها إلى أن توفي.

ويذكر ابن سعيد أن الجلياني «استقر بالشام، وصار طبيب المارستان السلطاني، في السفر والحضر، أيام صلاح الدين بن أيوب وبعده، إلى أن مات بدمشق سنة ثلاث وستمائة»[٣].

كان الجلياني طبيباً حاذقاً، وكان صاحب معرفة قوية بالطب، وقيل: «كان علامة زمانه في صناعة الطب والكحل». وله مصنفات في علم التشريح[٤].

ويذكر أنه كان له «دكان في اللَّبَّادين لصناعة الطب» كما يقول ابن أبي أُصيبعة. وكانت معيشته منه[٥].

ويتحدث الجلياني نفسه عن اشتغاله بالطب، ومعيشته منه، وذلك كي يصون نفسه، ويبعدها عن السؤال والابتذال، كما يبدو في قوله[٦]:

---

(١) عقود الجمان ٤/٦٥.

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ ٦٣٠.

وانظر: معجم البلدان ٢/١٥٧، الغصون اليانعة/ ١٠٥.

(٣) الغصون اليانعة/ ١٠٥.

(٤) انظر: ذيل تاريخ بغداد ١٥/١٧٤، فوات الوفيات ٢/٤٠٧، عقود الجمان لابن الشعار الموصلي ٤/٦٤، ٦٥، عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ ٦٣٠.

(٥) انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ ٦٣٠، فوات الوفيات ٢/٤٠٧، معجم البلدان ٢/١٥٧.

(٦) عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ ٦٣٤، فوات الوفيات ٢/٤٠٩.

بذلتُ وقتاً للطب كي لا ألقى بني المُلْك بالسؤال
وكان وجه الصواب في أنْ أصون نفسي بلا ابتذال
واقرب من العز في اتضاع واهرب من الذُّل في المعالي

وهذا قول يدعو إلى التساؤل، فهل كان الشاعر الحكيم يعاني من سوء الحالة المادية، وهل حدث مثل ذلك في ظل صلاح الدين، في دمشق، أم حدث ذلك بعد وفاة صلاح الدين؟ لقد كانت علاقته وطيدة بصلاح الدين، ومن المتوقع أن تكون أحواله جيدة في عهده. ولعل أحواله تغيرت بعد وفاة صلاح الدين، ولكن متى قدم الجلياني دمشق، في المرة الأخيرة؟

هل يمكن القول بأنه بقي مقيماً في مصر إلى جانب صلاح الدين؟ وهل يمكن القول بأنه غادر مصر عند مغادرة صلاح الدين لها، وأنه قدم معه إلى دمشق؟

من المتوقع أن يبقى الجلياني إلى جانب صلاح الدين، فقد تقدم القول بأنه مدحه في سنة ٥٦٤ هـ، واستمر في صنيعه ذاك، ينشىء القصائد المبشرات، في سنة ٥٦٥ هـ، و٥٦٧ هـ و٥٦٨ هـ. ثم أنشأ شذرات ديوانه المسمى «ديوان التدبيج» في سنة ٥٦٩ هـ[1]. وكان الجلياني مقيماً في مصر، في هذه السنوات، كما تقدم.

ولكن، متى غادر صلاح الدين مصر لآخر مرة؟ يذكر ابن الأثير أنه في خامس المحرم من سنة ٥٧٨ هـ، «سار صلاح الدين عن مصر إلى الشام»، ويضيف ابن الأثير: و«لم يعد إليها إلى أن مات مع طول المدة، ثم سار عن مصر، وتبعه من التجار. وأهل البلاد... عالم كثير». ووصل إلى دمشق في الحادي عشر من صفر، من هذه السنة[2].

(١) انظر: ديوان التدبيج/ س/٣٩، م/٣٩، ظ/٤، عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ ٦٣٥، فوات الوفيات ٤٠٨/٢.

(٢) الكامل ٤٧٨/١١، وانظر: مفرج الكروب ١١٣/٢، ١١٤، الروضتين ٢٨/٢، النوادر السلطانية/ ٥٦، النجوم الزاهرة ٩١/٦، ٩٢، شفاء القلوب/ ٩٨، ٩٩.

لم تذكر المصادر أن الجلياني قد عاد مع صلاح الدين، إلى دمشق ومع ذلك، فمن المحتمل أن يكون قد عاد معه، وربما عاد قبيل ذلك أو بعيده. ولعله يمكن القول بأنه قد عاد إليها في نحو سنة ٥٧٨ هـ، وقضى فيها بقية حياته. كما تقدم[١].

ويذكر أن الجلياني كان يشترك مع صلاح الدين في العديد من الحروب، وقد قيل إن فرسه أصيبت في معارك عكا، خلال محاصرة صلاح الدين للفرنجة الذين كانوا يحاصرون عكا[٢].

ونجد في شعره حديثاً عن الحروب ودوره فيها، كما يبدو في قوله من قصيدة أنشأها في سنة ٥٦٢ هـ[٣]:

بلى أنا عندَ اضطِّرام الهياجِ ... لَعوبٌ بحدِ الحسامِ ضَروبُ
كأنَّكُمُ تكرهونَ الحروبَ ... ولولا الحروبُ استطالتْ شعوبُ
يُدافعُ بعضٌ ببعضٍ ولولا ... حصونُ الصفوفِ استبيحتْ شعوبُ
فألْفٌ تموتُ وتحيا ألوفٌ ... وَضَرْبٌ تَبيدُ وتَبْقى ضُرُوبُ
أذلك أمْ يُستباحُ الجميعُ ... فيقضي مُريبٌ، ويُقْصَى أريبُ
لطائفُ في طيّ أمرٍ كريهٍ ... وأمنٌ تَشُدُّ عُراه الحروبُ

إلى أن يقول.

ولا تَقُلِ الموت ناءٍ مَداهُ ... فكلُّ بعيدٍ سيأتي قريبُ
وما يكرهُ الموتَ إلّا مهينٌ ... يُسوِّفُ حتى يحقَّ الغروبُ

وقوله مفتخراً[٤]:

وفي الهياج هِزَبرٌ هَبَّ مفترساً ... كما سَما جَدُّه الفياض حَسّانُ

(وقيل في السابع عشر من صفر، وقيل في الثالث عشر منه).

(١) انظر: ديوان الحكم (تحقيق كتاني)/ ٣٣، ٣٥، (تحقيق الثقفان)/ ١٨٩، ١٩٠.

(٢) انظر: ديوان الحكم (تحقيق كتاني)/ ٧٠، ٧١.

(٣) المصدر نفسه: (تحقيق الثقفان)/ ١٦٨.

(٤) المصدر نفسه (تحقيق الثقفان)/ ١٧٠.

وقوله[1]:

وإنْ لعبتُ فبالسمر الطوال إلى ... سمر طوال عواليها عيون دمِ
وما مهاديَ إلا سَرْجُ سابحةٍ ... تَخُدُّ خَدَّ البَرى في أوجه الأكَمِ[2]
أسري بها فَرْداً في مَهْمَهٍ قَذَفٍ ... والنجمُ في بُرْقع والسبلُ في ظُلَمِ

يذكر الجلياني أنه في غرة سنة ٥٨٢ هـ، أنشأ قصيدة من القصائد المبشرات، وأرسلها إلى السلطان صلاح الدين، وهو على حمص، وفيها يهنئه بالعافية، ومنها[3]:

فَشُؤمُ فريقِ الشِّرْكِ في الشام طائر ... فقُصَّ جناحَيْه بأقصى القوى قَصْما
إذا صفرتْ من آل الاصفر ساحةُ الـ ... ـمقدَّسِ ضَاهَتْ فتحَ أمّ القُرى قدْما
فذا المسجدُ الأقصى وهِمَّتُك العُلى ... وعَزْمَتُك القُصوى ورَمْيُتُك الصَمَّا
وليسَ كفتحِ القُدسِ منيةُ قادرٍ ... وما أن تلقَّاها سوى يوسف جَزْما

وأنشأ قصيدة من القصائد المبشرات أيضاً، في السنة ذاتها، وهي من القصائد التي أنشأها وهو مقيم في الشام، وقد حضر بها بين يدي السلطان صلاح الدين، وفيها يقول[4]:

الله أكبرُ أرضُ القُدس قد صفرتْ ... من آل الاصفر إذ حين به حانوا
لهمْ فلسطينُ إن يَخرُجْ عداتُهُمُ ... عنها إلاّ عَدَتْ بيضٌ وخرصانُ
حتى بنيتَ رتاجَ القُدسِ منفرجاً ... ويصعد الصخرة الغراءَ عثمانُ

وكان الجلياني في دمشق، في سنة ٥٨٧ هـ، فقد ذكر ابن أبي أُصيبعة أنه أنشده قصيدة قالها يمدح صلاح الدين، «ووجها إليه من مدينة دمشق، إلى مخيمه المنصور بظاهر عكا»[5].

---

(١) ديوان الحكم (تحقيق الثقفان)/ ١٨٦، ١٨٧.

(٢) البرى: التراب.

(٣) الروضتين ٢/١١٦.

(٤) المصدر نفسه ٢/١١٦.

(٥) عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ ٦٣٠.

ولم يبق الجلياني كل تلك السنين في دمشق، ولكنه غادرها إلى غيرها من البلاد زائراً، فقد زار عكا، وبيت المقدس، والحجاز، وبغداد، وحلب.

يذكر المقَّري، أحمد بن محمد المقري التلمساني، أنه «أتى العسكر المنصور الناصري سنة ٥٨٦ هـ بظاهر ثغر عكا»، وكتب إلى السلطان صلاح الدين، وقد جُرح فرسه» أبياتاً منها[١]:

ولي فَرَس أصماه سهمٌ فردَّه أثافيَّ ربعٍ بالثلاث قيامُهُ
تعمَّر فيه بالجراحة ساحة وعُطِّلَ منه سَرْجُه ولجامُهُ

وكان الجلياني قد زار بيت المقدس غير مرة، فقد ذكر في المدبجة القدسية أنه حضر عند صلاح الدين «في مدينة بيت المقدس، في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة»[٢].

ويذكر الجلياني بيت المقدس وسُلوان، في نفحة علوية أنشأها في سنة ٥٩٦ هـ، ويبدو أنه كان هناك كما يوحي قوله[٣]:

واشرَح القلبَ في المقدَّس بالمسـ ـجد الأقصى، هناك للجذع هَزُّ
واسْقِهِ كُلَّما اشتكى غُلَّةً من عين سلوان، حيث بورك نَزُّ
فبسلوان رِيُّه لا سِواه وهو يَنفي عنه كُلوماً تَحُزُّ
فاغسِل القلبَ بالسُّلوّ إلى أن لا تَراه بحادث يُسْتَفزُّ

ويتحدث عن بيت المقدس، في مناجاة أنشأها في سنة ٥٩٧ هـ، ويشير إلى إقامته هناك، كما يبدو في قوله[٤]:

مقيماً بضاحي رَبْع قُدْسك عاكفاً عُكوفَ تَجافٍ عن سوى ذلك الرَّبْع

وكان عبدالمنعم الجلياني قد توجه إلى الحجاز ثانية، وذلك في سنة

---

(١) نفح الطيب ٢/٦٣٧.

(٢) ديوان التدبيج/ س/٤، م/٣، ب/٣.

(٣) انظر: ديوان الحكم (تحقيق كتاني)/ ٣٦، ٤٧٣.

(٤) انظر: المصدر نفسه (تحقيق كتاني)/ ٥١٨.

٥٩٢ هـ، كما يدل على ذلك عدد من القصائد التي قالها، فقد قال في تلك السنة قصيدتين، مطلع أولاهما(١):

اخْـلُ مع الله إن أردتَ هدى ولا تكـنْ للأنـام مسـتـنـدا

ومطلع أُخراهما(٢):

اعـرِفْ طباعَ الشَّخصِ، وافْطَنْ له فطنـةَ واعٍ ذاكـرٍ مُعْـتَـقِـدْ

★★★

ثم كانت زيارته إلى بيت المقدس، وإقامته فيها، كما يبدو من خلال قصيدتيه اللتين أنشأهما في سنة ٥٩٦ هـ، و٥٩٧ هـ، كما تقدم.

في بغداد

وفي صفر من سنة ٦٠١ هـ، قدم الجلياني بغداد، ونزل بالمدرسة النظامية فيها(٣). ولم تفصل المصادر في القول حول رحلة الجلياني إلى بغداد، وعمله بالمدرسة النظامية، فلم تتحدث عن اتصالاته فيها بالعلماء والأدباء وغيرهم، ولم تتحدث عما إذا كان قد عقد مجالس تدريسية بالنظامية، أو في غيرها. واكتفت المصادر بالإشارة إلى كتابة كثير من نظم الجلياني عنه. يقول ابن النجار البغدادي: «وكتبنا عنه كثيراً من نظمه». ثم يروي أشعاراً له، يقول: «أنشدنا عبدالمنعم بن عمر الجلياني لنفسه ببغداد، في المدرسة النظامية...»(٤).

وإذا كنا قد شكونا من قلة حديث المصادر عن رحلة الجلياني البغدادية، فإن ابن سعيد يتفرد بالقول: إن الجلياني «أقام مدة ببغداد يمدح، ويخالط الأعيان والفضلاء، ويطالع كتب الخزائن»(٥). وهو قول يشير إلى نوع من

(١، ٢) انظر: ديوان الحكم (تحقيق كتاني)/ ٣٦.

(٣) ذيل تاريخ بغداد ١٥/ ١٧٤، سير أعلام النبلاء ٢١/ ٤٧٧، نفح الطيب ٢/ ٦٣٥.

(٤) ذيل تاريخ بغداد ١٥/ ١٧٤، ١٧٥، وانظر: نفح الطيب ٢/ ٦٣٥.

(٥) الغصون اليانعة/ ١٠٥.

صلات الجلياني مع أعيان القوم وفضلائهم في بغداد. كما يشير إلى انكبابه على مطالعة الكتب في الخزائن البغدادية.

ولكننا نجد الحافظ ابن النجار البغدادي يروي شعراً للجلياني أنشده إياه لنفسه، وهو شعر يبين فيه إعراضه عن مدح الأكابر، كما يبدو في قوله[1]:

قالـوا نراك عن الأكـابـر تعـرض ... وسـواك زَوَّارٌ لهـم يتـعـرض
قلت الـزيارة للزمـان إضـاعـة ... وإذا مضـى وقـت فمـا يتـعـوض
إن كان لي يومـاً إلـيهـم حاجـة ... فبـقـدر ما ضمـن القضـاء مقيض

ولم تحدد المصادر المدة التي قضاها الجلياني في بغـداد.

في حلب:

وفي سنة ٦٠٢ هـ، يذكر الجلياني، في صدر المدبجة ذات الأنهار الأربعة التي أنشأها مادحاً الملك الظاهر، غياث الدين غازي بن صلاح الدين، أنه قد أذن له الله «بالحركة إلى المقام الظاهري الأرفع، قادماً عليه»[2].

وتجدر الإشارة إلى أن الملك الظاهر كان آنذاك يتولى الحكم في حلب[3].



(١) ذيل تاريخ بغداد ١٥/١٧٥ ـ ١٧٦.

(٢) ديوان التدبيج/ س/٨٧، م/٩٢، ظ/٩٣.

(٣) انظر: مرآة الزمان/ ٥٧٩، الذيل على الروضتين/ ٦٤، مفرج الكروب ٣/٣، ٢٧٣، النجوم الزاهرة ١٨٩/٦، ٢١٧، شفاء القلوب/ ٢٥٢ ـ ٢٥٧، ترويح القلوب/٩١.

صفاته:

يذكر الحافظ ابن النجار أن عبدالمنعم الجلياني «كان مليح السمت، حسن الأخلاق، لطيفاً»[1].

ويذكر ابن الشَعَّار الموصلي أن الجلياني كان موصوفاً بالفضل والعلم، وكان يميل إلى الحكمة[2]، فعرف بالحكيم.

كان الشاعر الجلياني يتحلى بالمناقب الحميدة، كما كان يدعو إلى التحلي بها. والناظر في شعره يجد مصداق ذلك، ففيه يدعو إلى التحلي بالصبر، والصدق والعفة، والعدل، والفضل، وغيرها من المناقب الحميدة، يقول[3]:

الصبر رأس المال في طلب العلا ... وبه كلّ مؤمَّل يتوصل

ويقول[4]:

علامات أفذاذ الرجال أولى العلا ... تحليهمُ بالصبر والصدق أولا
وأربعة أصلٌ لكل فضيلة ... ومن حازها كان الرئيس المُكمَّلا
فأولها من حلية النفس عفةٌ ... عن الشهوة الفحشاء إلا المحللا
وثانية تبني السناء شجاعة ... يصول بها شيحان في النفس مقبلا[5]
وثالثة عدلٌ يكون جبلة ... تنافي صفات الجور حتى تعدلا
ورابعة تحوي الفضائل حكمة ... تنال من الأشياء ما كان أفضلا

ويقول[6]:

غَنِّياني للفضل والمجد صوتاً ... تَجداني له يدوم استماعي

---

(١) ذيل تاريخ بغداد/ ١٧٤.
(٢) انظر: عقود الجمان ٤/ ٦٤ ـ ٧٠.
(٣) ديوان الحكم (تحقيق الثقفان)/ ١٢٩.
(٤) المصدر نفسه/ ١٤١.
(٥) شيحان: طويل شديد النفس.
(٦) ديوان الحكم (تحقيق الثقفان)/ ١٥٥.

ما سمـاعي يحتـاج عنـد الأغـاني بل بذكـر العُـلا يهيجُ سمـاعي

ويقول[1]:

ومـا أنـا ممن خان يومـاً عهـوده ولا مُكَـذِّبٌ في المكـرمات شهودَه
تأدبتُ بالـخلق الأصيل طهـارة وأعـذبت بالفعـل الجميل ورودَه

وكان الجلياني ينهى عن الركون إلى الشهوات، ويراها ضالة مضلة، يقول[2]:

لا تركـنـن إلـى الـشهـوات إنَّ لهـا
في النفس ضراً كضـر الداء في الجسد

ويقول[3]:

قَبَّـح الله لذة الـشـهـوات خلوة عِبُّـهـا شجـى اللهـوات

وكان الجلياني يتحلى بالأنفة وعلو الهمة، كما يبدو في قوله[4]:

ومـن يتـعـبـدْ للمـلوك فإنـه كجـاريةٍ سوداء جدَّ احتجـارُهـا
ومـا كَرُمـتْ نفسٌ تدين لغيرهـا ولـو دَرّ محياها ودارَ اشتهارها

وكان يرى الجمع بين طهارة النفس والعلم، كما يبدو في قوله[5]:

فلو حُزْت علمَ العـالمين ولم تنـلْ طهـارةَ نَفْسٍ لم تذق ثمـرَ العِلْمِ
وإن كنت مشغـوفـاً بحـرصٍ وقينةٍ فأنت كمخمـور دَهَتْـهُ ابنـةُ الكَرْمِ
أيعـرفُ إلا بالـمـعـارف ذو نُهى ويفضـل إلا بالفضـائـل ذو فهمِ
أخو الجهل أدنى للنجاة من الذي تَعـلَّم علمـاً للتسـلط والحَـطْمِ

وكان الجلياني يرى الاقتداء بالسابقين في الجمع بين العلم والعُلا، يقول[6]:

---

(1) ديوان الحكم/ ٢٧٦.
(2) المصدر نفسه/ ١٢٩.
(3) المصدر نفسه/ ٣١٧.
(4) المصدر نفسه/ ١٤٤.
(5) المصدر نفسه/ ١٤٥.
(6) المصدر نفسه/ ١٥٤، وانظر/ ١٧٠.

وما الحي ذو أكل وشرب ومتعة فتلك حياة لا تعود بطائل
بل الحي ذو الإدراك للعلم والعُلا فتلك حياة السابقين الأفاضل

وكان يرى أن الخلق والعلم شيئان لا ينفك أحدهما عن الآخر، وهما كالبحر وساحله، كما يبدو في قوله[1]:

فالخلق بحر وهذا العلم ساحله والشك داء هذا مُبرىء المرض

وكان الجلياني تقياً ينهج نهج الشرع، ويبتعد عما ينهى عنه، كما يبدو في قوله[2]:

الشرع سلطان على السلطان والقسط بين الكتب والميزان
إن الملوك ولو تعاظم شأنها مملوكة بسياسة الأديان
أمر إلهي أزال بنوره سُدَف الضلال وظُلْمة الشَّنْآن

وقوله[3]:

وأسلمت وجهيَ لله على يقين وحَقَّقْتُ ما حَقَّقَهْ
وَدِنْتُ بدين الهدى لا الهوى وصَدَّقْتُ ما الشرعُ قد صَدَّقَهْ
فما جاءت الرُّسْلُ إلا بما أعزَّ به الله من وفَّقَهْ
فمن حاد عن مَسْلك المرسلين وسار على غيره أزْلَقَهْ

ولكنه كان يرى، إلى جانب ذلك، العقل إماماً ينبغي اتباعه، كما يبدو في قوله[4]:

وفيك العقلُ مهما تتخذه إماماً تُلْفِهِ أهدى دليلا
فحكمُ النفس عند العقل مُلْغى وحكمُ العقل حكم لن يحولا
رأيت النفس جامحة ولكن زمام العقل صيَّرها ذلولا

---

(١) ديوان الحكم/ ١٦٢.
(٢) المصدر نفسه/ ٢٥٥.
(٣) المصدر نفسه/ ١٢٣، ١٢٤.
(٤) المصدر نفسه/ ١٧٩، ١٨٠.

وقوله[1]:

بالعقل يُضبط ما لا يَضبط الرَّسَنُ ... والعقل يدفع ما استولتْ به الفتنُ
للعقل حكم وما للنفس منصرف ... عنه فإن صين فهو الحاكم الحسنُ

وكان الجلياني زاهداً في الحياة الدنيا، ويراها خيالاً، وداراً فانية، كما يبدو في قوله[2]:

تحيرتُ لا أدري أعيشي لحاجتي ... بدار الفنا أم حاجة ليس تعرف
خليليَّ ما هذا التزاحمُ والعَنا ... وهذا التلاحي والأسى والتلهف
على عَرَضٍ لا يستقرُّ لواحد ... كظل سحاب وبروق تخطف

وقوله[3]:

ألا إنما الدنيا خيالٌ وأهلها ... يدارون خلف الستر والعمر ملعبُ
وأكبرُ حَظٍ نيلَ منها زخارفٌ ... يصد بها أهل الغرور ويحجب

وقوله[4]:

خيرٌ من المال كسب المكرمات به ... قبل انقراض الليالي أو تقلبها
لا تحسبوا أنني بالمال مغتبطٌ ... فالمالُ عاريةٌ تُهدى لصاحبها

وقوله[5]:

لا تطلب التشريف في جمع مالٍ ... واطلبه في العلم وخُلق الكمال
ولا تنافس في عقار فما في ... الأرض في نعت الفتى من جمال

وكان الجلياني معرضاً عن زيارة الأكابر والرؤساء، كما يبدو في قوله، وقد سئل عن ذلك الإعراض[6]، كما تقدم:

---

(1) ديوان الحكم/ ٢٣٥، وانظر/ ٢٠٠، ٢٦٠.

(2) المصدر نفسه/ ١٣٨.

(3) المصدر نفسه/ ٢٤١.

(4) المصدر نفسه/ ١٧٦، وانظر/ ١٥٥، ١٧١، ٢٣٤.

(5) المصدر نفسه/.

(6) عقود الجمان ـ ابن الشعار الموصلي ٤/٦٧.

لقد كان الجلياني يفتخر بالصفات الحميدة، ويراها أصلاً يفضله على النسب، كما يبدو في قوله[1]:

ليس الأصولُ أباً ولا جّداً مضى   لكن غرائز فُقّن أو فطرا
من قبل بث البذر أصلح أرضه   فالأرض صهرٌ للذي بذرا

وكان يرى نفسه أهلاً للمناقب الحميدة، يقول[2]:

أنا للعدل والشجاعة أهلٌ   من لم يكن منكم كذا فهو أهلي

ثقافته:

كان الجلياني معتنياً بالعلم والاشتغال به عناية بالغة، وذلك واضح جلي في العديد من دواوينه الشعرية، ومنها «ديوان الحكم وميدان الكلم»، إذ يتحدث فيه مشيداً بالعلم، ويراه طريقاً إلى الرفعة والسمو، ويفتخر بنفسه وعلمه، كما يبدو في قوله[3]:

يقولون لي لِمْ نراك انزويتَ   وأنتَ بعلمك فينا عَلَمْ
ألا تنشر العلمَ في أهله   وتبدي لنا منه ما قد كَتَمْ

وقوله[4]:

وإنْ رصفتُ فلي في النظم معجزةٌ   وإنْ وصفتُ فعلمي خافق العَلَمِ

وقوله[5]:

وذو العلم منشور لواء مقامه   على الخلق حتى ينشروا في الرواجع

وقوله[6]:

المال كالماء مجموع لذي حُفَرٍ   والعلم كالنور مرفوعٌ على شرف

(١) ديوان الحكم (تحقيق الثقفان)/ ١٥٧.
(٢) المصدر نفسه (تحقيق الثقفان)/ ٣١٩.
(٣) المصدر نفسه (تحقيق الثقفان)/ ١٢٣.
(٤) المصدر نفسه/ ١٨٧.
(٥) المصدر نفسه/ ١٤٠.
(٦) المصدر نفسه/ ١٢١.

وكان الجلياني عارفاً بالفلك، ملماً به، ونراه يتحدث في شعره عن «تزويج النظائر من منازل القمر، وهي التي بها الأنواء، فتكون المنزلة في أفق المشرق، ونظيرها في أُفق المغرب»، كما يبدو في قوله[1]:

النَّطْحُ للغَفْرِ في الميزانِ والحَمَلِ ... وللبَطين الزبانا غير منفصلِ[2]
ثم الثريا وإكليل وراهما حاد ... وقلب مع الأظعان في شغل[3]
وهَقْع بشولٍ وهَنْع في نعائمه ... ثم الذراع لنجم البلدة العُطُلِ[4]
والنثر في ذابحٍ والسعد في بَلَعٍ ... وجبهة السعود للدهر لم تزلَ[5]
ثم السِّماك لبطن الحوت وهو ... رشا هذا لعمرك تزويج بلا خلل[6]
نجم الجنوب لنجم الشام متَّبع ... فيه بنظم كنسج الرقم في الحُلَلِ[5]

ويتحدث الجلياني عن ثقافته المتنوعة، فقد كان عارفاً بالطب، بل عالماً

---

(١) ديوان الحكم/ ٢٧٨، ٢٧٩.

(٢) النطح: نجم من منازل القمر يتشاءم به. (القاموس المحيط: مادة نطح).
الغفر: ثلاثة أنجم صغار، وهو منزل للقمر(القاموس المحيط: مادة غفر).
البطين: منزل للقمر، ثلاثة كواكب صغار كأنها أثافي. (القاموس المحيط: مادة بطن).
الزبانا: كوكبان نيران في قرني العقرب (القاموس المحيط: مادة زبن).

(٣) إكليل: منزل للقمر، أربعة أنجم مصطفة (القاموس المحيط: مادة الكلّ).

(٤) الهقعة: ثلاث كواكب فوق منكبي الجوزاء كالأثافي، إذا طلعت مع الفجر اشتد حر الصيف. (القاموس المحيط: الهقعة).
الشَّولة: كوكبان نيران ينزلهما القمر يقال لهما حمة العقرب. (القاموس المحيط: شال).
الهنعة: منكب الجوزاء الأيسر وهي خمسة أنجم مصطفة ينزلها القمر، أو كوكبان أبيضان مقترنان في المجرة بين الجوزاء والذراع المقبوضة، أو ثمانية أنجم في صورة قوس، وتسمى ذراع الأسد (القاموس المحيط: الهنعة).
الذراع: منزل للقمر، (القاموس المحيط: الذراع).

(٥) سعد الذابح: كوكبان نيران بينهما قيد ذراع، وفي نحر أحدهما نجم صغير لقربه منه كأنه يذبحه (القاموس المحيط: مادة ذبح).
سعد بلع: منزل للقمر، وهو نجمان مستويان في المجرى، أحدهما خفي، والآخر مضيء يسمى بالعاً كأنه بلع الآخر، وطلوعه لليلة تبقى من كانون الآخر، وسقوطه لليلة تمضي مع آب. (القاموس المحيط: بلع).

(٦) السماك: السما كان نجمان نيران أحدهما السِّماك الأعزل، والآخر السِّماك الرامح، وهو منزل من منازل القمر. (اللسان: مادة سمك).

فيه، وكان عارفاً بالرياضيات، والطبيعيات، يعتمد مصنفات الأوائل، ومصنفاته، إلى جانب معرفته بالأدب واللغة والتاريخ، كما يبدو في قوله[1]:

لقيتُ طبيباً في الشآم معظَّماً ... فقلتُ أروم الطِبَّ قال تَعمَّمَا
فقلتُ فلاقيتُ الشيوخَ وجُلْتُ في ... رياض الرياضيات نجداً ومتهما
ولي في الطبيعيات باعٌ بمنطق ... ركبتُ به نَهْج المباحث معلما
وأحكمتُ علماً بالعقاقير معدناً ... ونبتاً وحيّاً مفردات وتوأما
وباشرتُ أصنافَ المداواةِ معملاً ... قياساً وتجريباً يفرج مبهما
وفي الماء لي حَدْسٌ يظن تكهناً ... وفي النبض لي جسٌّ يبين المكتما
بأيسر أعراض العليل أفيدُه ... شِفىً ولم يَفغَرْ بشكواه لي فما
وكُلَّ تصانيف الأوائل مصحفي ... أطالعُها صبحاً ومسيا تفهما
ولي كتب صَنَّفتُها من تجاربي ... تفوق علوم الأولين تَوَسُّما

وقد تقدم القول أن الجلياني كان طبيباً حاذقاً، وصاحب معرفة قوية بالطب، بل كان علامة زمانه في صناعة الطب والكحل كما يقول ابن أبي أُصيبعة. وله مصنفات في علم التشريح.

(١) ديوان الحكم (تحقيق الثقفان)/ ٣٣٠.
(٢) انظر ص ٣٩، من هذه الدراسة.

علاقاته :

يصور عبدالمنعم الجلياني ابتداء علاقته بالسلطان صلاح الدين، في حديثه عن رعاية السلطان له ولغيره من المغاربة، في مصر، كما تقدم.

ويذكر ابن أبي أصيبعة أن السلطان صلاح الدين كان يرعى الجلياني، وكان «يرى له، ويحترمه» كما يقول[1].

مدح الجلياني صلاح الدين بمدائح كثيرة، وحظي منه بإحسان كثير، وإنعام وافر. كما يقول ابن أبي أصيبعة[2]. ويذكر ابن سعيد أنه «مدح في أول أمره صلاح الدين بمدائح مختصرات، فأعطاه عليها ثلاثمائة دينار مصرية، فحسده أحد الحاضرين، وأظهر استكثار ذلك في حقه، فزاده السلطان ثلاثمائة دينار أُخرى»[3].

ويذكر الجلياني نفسه، في الرسالة المحبوكة التي كتبها إلى صلاح الدين، (وهي غير الرسالة المحبوكة التي ورد ذكرها في الشذرة السادسة من ديوان التدبيج) أنه أنشأها ملتمساً «من فائض الإحسان، زيادة على الرسوم له في الديوان»[4]. ويتبين من هذا القول أن صلاح الدين كان قد حدد للجلياني راتباً، ولكنه راتب لم يكن كافياً، مما جعل الشاعر يطلب المزيد من الإحسان. ويعلل الجلياني طلبه الزيادة بأنه يريد أن «يتفرغ لإنشاء محبرات في أوصاف هذا الأمر يقترحها، ولإفشاء العلم بتصنيف لفنون ينقحها»[5].

وتجدر الإشارة إلى أن الجلياني كان قد أنشأ رسالته المحبوكة هذه في سنة ٥٨٥ هـ[6]، وأن الراتب الذي حُدد له في الديوان، كان قد حُدد قبل هذا التاريخ.

(١، ٢) عيون الأنباء/ ٦٣٠، فوات الوفيات ٢/ ٤٠٧.

(٣) الغصون اليانعة/ ١٠٥.

(٤) ديوان التدبيج/ س/ ١٠٥ ـ ١٠٧، م/١٠٩ ـ ١١١، ظ/١٣٨.

(٥) المصدر نفسه/ س/١٠٥، م/١٠٩، ظ/١٣٨.

(٦) المصدر نفسه/ س/١٠٥، م/١٠٩، ظ/١٣٧.

كان عبدالمنعم الجلياني قليل المديح، باستثناء ما قاله في مديح السلطان صلاح الدين، أو ما قاله في مديح غيره من ملوك بني أيوب.

يروي ابن الشَعّار الموصلي عن ابن العديم قائلاً: «حدثني القاضي أبوالقاسم عمر بن أحمد بن أبي جرادة الحنفي، أيده الله تعالى، قال: أخبرني السديد عمر بن يوسف القُفْصي، قال: كان عبدالمنعم الجلياني قليلاً ما يمتدح الناس، وكان يمدح الملك الناصر جالساً، وعمل له كتاباً في مدائحه شجراً». ويبين أن السبب الذي دعاه إلى عمل ديوانه ذاك دَيْن لزمه، مقداره ثلاثمائة دينار. وعمل في هذا الكتاب مشجرات[1].

لقد أنشأ الجلياني ديواناً خاصاً بالملك الناصر صلاح الدين، وهو ديوان التدبيج، أو الديوان الموسوم بـ «منادح الممادح، وروضة المآثر والمفاخر، من خصائص الملك الناصر» صلاح الدين الأيوبي، كما تقدم. وقد جاء معظم هذا الديوان خاصاً بالسلطان صلاح الدين، وجاء قليل منه يتحدث عن عدد من أبناء صلاح الدين، أو غيرهم من ملوك بني أيوب[2].

ويذكر الجلياني في الشذرة الأولى، وهي في «استئثار الملوك بالأذكار، لما فيها لهم من الارتياح والاستبشار»، كيف أن الألسن قد باهت بامتداح صلاح الدين، وأن الصحائف قد ناهت بأمداحه. ولهذا جعل الجلياني «هذا الكتاب في أيك فخاره» كما يقول[4].

واتصل الجلياني بعدد من ملوك الأيوبيين، ومدحهم، وأنشأ عدداً من مدبجاته فيهم[5].

---

(١) انظر: عقود الجمان ٤/ ٦٩.

(٢) انظر: ديوان التدبيج.

(٣) المصدر نفسه: م/٣، س/٤.

(٤) انظر: المصدر نفسه: م/٤٢، س/٤١، ظ/٨.

(٥) انظر: المصدر نفسه: ب/٥/ ـ ١٨، ٦٦ ـ ٧٦، ظ/٩٢، ٩٥، ٩٦، ١١٨ ـ ١٢٨.

ويبدو أنه بقي من المقربين إلى الأيوبيين بعد صلاح الدين، يقول: «وكنت مذ نقل المرحوم الملك الناصر، نضر الله وجهه، في المقربين»[1].



تعـددت صلات الجلياني الاجتماعية والعلمية، ومن ذلك صلاته مع الحافظ ابن النجار، وياقوت الحموي، وغيرهما.

يذكر ابن النجار أن الجلياني قدم بغداد، ونزل بالنظامية، كما تقدم. ويضيف بأنه كتب عن عبدالمنعم كثيراً من نظمه ويروي عنه بعضاً من شعره، يقـول: «أنشـدنـا عبـدالمنعم بن عمر الجلياني لنفسه ببغداد في المدرسة النظامية...». كما يذكر ابن النجار أنه سأل عبدالمنعم عن مولده[2]، وهذا كله يبين أن الجلياني وابن النجار قد التقيا في بغداد، وقامت علاقة بينهما، وأن الأخير كتب عن الأول، وروى عنه. وإذا علمنا أن الجلياني ولد في سنة **٥٣١** هـ كما تقدم، وأن ابن النجار ولد في سنة ٥٧٨ هـ[3]، أمكن القول بأن ابن النجار أخذ عنه، وقرأ عليه.

ويذكر ياقوت أنه لقي الجلياني، وأن الأخير وقفه على أشياء مما ذكره الحموي، وأنه أنشده شعراً لنفسه. كما روى ياقوت شعراً للجلياني نقله عن بعض رواة الشعر[4].

---

(١) انظر: ديوان التدبيج: م/٢١ ب، س/٢١ ب، ظ/١٠٧.

(٢) انظر: ذيل تاريخ بغداد ١٥/١٧٤، ١٧٥، ١٧٦.

(٣) انظر: فوات الوفيات ٤/٣٦ - ٣٧، طبقات الشافعية الكبرى ٨/٩٨ - ٩٩، الوافي بالوفيات ٥/٣٩٨، ٣٩٩، ذيل مرآة الزمان ٤/٣٢٩، الحوادث الجامعة/ ٢٠٥، ٢٠٦، مرآة الجنان ٤/١١١، النجوم الزاهرة ٦/٣٥٥، البداية والنهاية ١٣/١٦٩، شذرات الذهب ٥/٢٢٦.

(٤) انظر: معجم البلدان ٢/١٥٧.

وفاته :

يذكر الحافظ ابن النجار البغدادي : سألت ولد عبدالمنعم الجلياني ، وهو عبدالمؤمن ، بدمشق عن وفاة والده ، فقال : «توفي في الثاني والعشرين من ذي القعدة سنة اثنتين وستمائة بدمشق ، ودفن بباب الصغير»[١]، ويذهب الذهبي[٢]، والكتبي[٣]، إلى مثل ذلك .

ويذهب ياقوت[٤]، وابن سعيد[٥]، والمراكشي[٦]، ولسان الدين بن الخطيب[٧]، إلى أنه توفي بدمشق في سنة ٦٠٣ هـ .

ويذهب ابن الشَعّار الموصلي إلى أنه توفي بدمشق، في صفر من سنة ٦٠١ هـ[٨].

ويذكر ابن أبي أصيبعة أنه قد «عمر عمراً طويلاً». وإنه توفي بدمشق في سنة (كذا) وستمائة[٩]، دون أن يحدد تاريخ وفاة الجلياني بدقة .

ومن هذه الأقوال، يتبين الإجماع على وفاته في دمشق، ولكن الاختلاف كان حول السنة التي توفي الجلياني فيها .

---

(١) ذيل تاريخ بغداد ١٧٦/١٥ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٤٧٧/٢١ .

(٣) فوات الوفيات ٤٠٧/٢ .

(٤) معجم البلدان ١٥٧/٢ .

(٥) الغصون اليانعة/ ١٠٥ .

(٦) الذيل والتكملة ٥ ق٥٨/١ .

(٧) الإحاطة ٥٧٨/٣ .

(٨) عقود الجمان ٦٥/٤ .

(٩) عيون الأنباء/ ٦٣٠ .

الشعر

رواة شعره:

تعدد الرواة الذين رووا أشعار عبدالمنعم الجلياني، ومنهم ولده «عبدالمؤمن». يذكر ابن أبي أُصيبعة أنه قد عني بشعر الجلياني، وسمعه، ونقل من خطه، وكان قد سمع ذلك الشعر من أبيه، وكان والده، أي والد ابن أبي أُصيبعة، قد سمعه من الحكيم عبدالمؤمن. يقول: «ومن شعر حكيم الزمان عبدالمنعم الجلياني، مما نقلته من خطه، وهو أيضاً مما سمعته من أبي، قال: أنشدني الحكيم عبدالمؤمن المذكور، فمن ذلك قال يمدح الملك الناصر صلاح الدين» قصيدته المسماة «التحفة الجوهرية»(١).

لقد كان عبدالمؤمن معتنياً بأشعار والده، يعمل على روايتها، وجمعها. ورد في آخر ديوان التدبيج: «قال ولد المصنف، رحمهما الله: هذا ما وجدته من المدبجات من إنشاء والدي عبدالمنعم بن عمر بن حسان، رضي الله عنه. وقد بلغني أن له في بعض البلاد مدبجات أُخر، فما حَضَرني منها ألحقته بهذا الكتاب، إن شاء الله»(٢).

وقد كان ابن أبي أُصيبعة واحداً ممن رووا شعراً للجلياني(٣).

ومن رواة شعره الحافظ ابن النجار البغدادي، ويبدو ذلك جلياً في قوله: «أنشدنا عبدالمنعم بن عمر الجلياني لنفسه ببغداد، في المدرسة النظامية». ويروي له ثلاثاً من القصائد والمقطوعات(٤).

ويذكر ابن النجار أنه قد كتب، من نظم الجلياني، كما كتب من نظمه غيره، يقول: «وكتبنا عنه كثيراً من نظمه»(٥) كما تقدم.

---

(١) عيون الأنباء/ ٦٣٠.

(٢) ديوان التدبيج: م/١١٦، س/١١٢، ب/٦٨.

(٣) عيون الأنباء/ ٦٣٠ ـ ٦٣٤.

(٤) ذيل تاريخ بغداد ١٥/١٧٤ ـ ١٧٦.

(٥) المصدر نفسه ١٥/١٧٤.

ويذكر ياقوت الحموي أنه لقي عبدالمنعم الجلياني، وأن الجلياني أنشده شعراً لنفسه. ويضيف: «وأنشدني السديد عمر بن يوسف القَفصي[١]، قال: أنشدني عبدالمنعم الجلياني لنفسه»، وذكر له أبياتاً من الشعر[٢].

ويذكر المراكشي، ويتابعه لسان الدين بن الخطيب، في الحديث عن عبدالمنعم الجلياني: «مشيخته ومن روى عنه» عدداً ممن رووا عنه، ومنهم: أبوالحسن علي بن عبدالله بن عبدالرحيم، الخطيب بضريح الخليل[٢]، وأبوعبدالله بن يحيى المُرْسي[٣][٤].

ويذكر ابن الشّعّار الموصلي عدداً ممن رووا شعراً من أشعار عبدالمنعم الجلياني، ومنهم شيخ ابن الشّعّار «أبوالخير بن أبي المعمر التبريزي المحدث»، وشهاب الدين إسماعيل بن حامد الأنصاري الخزرجي القوصي[٥]. وأبوالفتح يونس بن أبي الغنائم بن أبي بكر البغدادي[٦]،

---

(١) يذكر ياقوت القُفص (بضم القاف، وسكون الفاء)، وهي تطلق على أكثر من موضع، قال ياقوت: وهي جبال القُفص، وقال: وهي قرية بين بغداد وعُكْبَرا (بضم أوله، وسكون ثانيه، وفتح الباء). ويضيف: «وكانت من مواطن اللهو، ومعاهد النزه، مجالس الفرح، تنسب إليها الخمور الجيدة، والحانات الكثيرة».

وهي غير قَفْصة (بالفتح ثم السكون) في طرف إفريقية من ناحية المغرب. ولعل السديد عمر منسوب، إلى القُفص في العراق. ولما ذكره ياقوت ضبط الاسم مضموم القاف، منسوباً إلى القفص، وأما النسبة إلى قفصة فهي قفصي بفتح القاف.

(انظر: معجم البلدان ١٥٧/٢، ٣٨٢/٤، ٣٨٣، عقود الجمان لابن الشعار الموصلي ٦٩/٤).

(٢) انظر: معجم البلدان ١٥٧/٢.

(٣) انظر: الذيل والتكملة ـ السفر الخامس ـ القسم الأول ٥٧/١، الإحاطة ٥٧٨/٣.

(٤) الذيل والتكملة ـ السفر الخامس ـ القسم الأول ٥٧/١، الإحاطة ٥٧٨/٣.

(٥) ولد بقوص في المحرم من سنة ٥٧٤ هـ، وقدم القاهرة في سنة ٥٩٠ هـ، ثم قدم الشام في سنة ٥٩١ هـ، واستوطنها، سمع الكثير في بلاد متعددة.

كان فقيهاً، مدرساً، أديباً، حافظاً للأشعار، إخبارياً. دَرَّس بجامع دمشق. توفي في سنة ٦٥٣ هـ. ودفن بداره التي كان قد وقفها دار حديث.

(انظر: الذيل على الروضتين/ ١٨٩، العبر ٢٧٠/٣، البداية والنهاية ١٨٦/١٣، ١٨٧، الدارس ٩٧/١، ٤٣٨ ـ ٤٣٩، شذرات الذهب ٢٦٠/٥ ـ ٢٦١).

(٦) يذكر ابن الشعار أنه لقيه بحلب سنة ٦٣٤ هـ. ويذكر أنه قد استوفى ثمانين سنة، وأنه روى له مقطعات

وأبوالحسن القَطيعي، محمد بن أحمد بن عمر القطيعي البغدادي[1]، وغيرهم[2].

ويبدو ذلك جلياً في ترجمة عبدالمنعم الجلياني في عقود الجمان. يقول ابن الشَعَّار: «أنشدني شيخنا أبوالخير بن أبي المُعمرّ التبريزي. قال أنشدني الحكيم أبوالفضل عبدالمنعم بن عمر بن حسان الغساني، رحمه الله، لنفسه...»[3].

ويقـول: «وانشدني عنه الشيخ الحافظ أبوعبدالله محمد بن محمود بن الحسن البغدادي، المعروف بابن النجار، قال: «أنشدني عبدالمنعم الجلياني لنفسه»[4]. وأنشدني شهاب الدين القوصي، بمنزله المغمور بدمشق، في المحـرم سنـة أربعين وستمـائـة، أنشـدني عبدالمنعم الحكيم لنفسه»[5]. و«أنشدني أبوالفتح يونس بن أبي الغنائم بن أبي بكر البغدادي، قال: أنشدني عبدالمنعم بن عمر الجلياني لنفسه بحلب»[6]. و«قال أبوالحسن القطيعي: أنشدني عبدالمنعم لنفسه في الشوق»[7].



= عن جماعة من الشعراء المتأخرين، ومنهم الجلياني الآنف ذكره، والرشيد ب ن بدر النابلسي، وغيرهما.
(انظر: عقود الجمان ١٠/٢٨٥).

(١) وهو من قطيعة باب الأزج، وتعرف بقطيعة العجم. سمع على العديد من العلماء في بغداد، وسمع بالموصل، ودمشق، وحران، ثم عاد إلى بغداد، ولازم ابن الجوزي مدة.
حدّث ببغداد، وروى عنه كثيرون. وتوفي فيها سنة ٦٣٤ هـ.
(انظر: تاريخ إربل ١/١٣٤، معجم البلدان ٤/٣٧٧، تكملة إكمال الإكمال/ ٣٤٥ (حاشية)، شذرات الذهب ٥/١٦٢ ـ ١٦٣).

(٢) انظر: عقود الجمان ٤/ ق ٦٤ ـ ٧٠.

(٣) المصدر نفسه ٤/٦٥.

(٤، ٥) المصدر نفسه ٤/٦٧.

(٦) المصدر نفسه ٤/٦٨.

(٧) المصدر نفسه ٤/٧٠.

ديوان المبشرات والقدسيات:

أنشأ الشاعر عبدالمنعم بن عمر الجلياني الأندلسي ديواناً خاصاً يتحدث فيه عن حروب السلطان صلاح الدين، وهو ديوان «المبشرات والقدسيات».

كان الجلياني قد وصل من المغرب إلى مصر، قبل سنة ٥٦٤ هـ، أو في تلك السنة ذاتها، ففي تلك السنة أنشأ الشاعر قصيدته اللامية، وهي أول ديوان المبشرات والقدسيات.

يذكر الجلياني في صدر المدبجة القدسية، وهي مدبجة «رهان الأذهان في مدى ذكر الملك الناصر على مر الأزمان» أنه وصف تصرفات أمر صلاح الدين «من لدن ولي الديار المصرية في سنة أربع وستين وخمسمائة»، وهي السنة التي أنشأ فيها «القصيدة اللامية التي أولها:

لا تسألِ الدارَ عن ظَعْنٍ قد احتملوا

وهي أول ديوان المبشرات والقدسيات»[1].

ويتابع الشاعر الجلياني قوله: «ثم اني لم أزل أتابع ذكر غزواته - أي غزوات صلاح الدين -، وقرائن أحواله بأصناف المنظوم، والمُدبَّج، والمسجوع. ثم توالت حروبه وفتوحه في الساحل، فعبرت عنها بالقصائد القدسيات». ويذكر أنه أودعها «عجائب الأوصاف والأمثال، وغرائب البلاغة»[2]، كما يقول.

ويوصف ديوان المبشرات والقدسيات هذا بأنه «نظم، وتدبيج، وكلام مطلق، يشتمل على وصف الحروب والفتوح الجارية، على يد صلاح الدين أبي المظفر يوسف بن أيوب، فاتح مدينة بيت المقدس، بإذن الله تعالى، في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة»[3].

---

(١) انظر: ديوان التدبيج: م/٣، س/٤.

(٢) المصدر نفسه: م/٣، س/٤.

(٣) المصدر نفسه: م/٢، س/٣.

يذكر عبدالمنعم الجلياني ديوانه «المبشرات والقدسيات» في العديد من دواوينه التي وصلت إلينا، ومنها ديوانه التدبيج أو «منادح الممادح وروضة المآثر والمفاخر من خصائص الملك الناصر» صلاح الدين[1].

ويذكر ديوانه هذا عدد من المؤرخين والأدباء، ومنهم ابن أبي أُصيبعة[2]، ونقل عنه ابن شاكر الكتبي، وسماه «ديوان المبشرات» فقط[3]، وجاء ذلك اختصاراً كما يتضح مما نقله ابن شاكر عن ابن أبي أُصيبعة[4].

ويذكره صاحب كشف الظنون باسم «ديوان المبشرات»[5]، ثم يعود ثانية فيذكره باسم «ديوان المبشرات والقدسيات»[6]. وكذلك يذكره صاحب هدية العارفين بأنه «ديوان المبشرات والقدسيات»[7].

ولكن هذا الديوان لم يصل إلينا، ولم أجد ذكراً أو حديثاً عن وجود مخطوطة له في فهارس المخطوطات التي توجد في المكتبات المختلفة في أنحاء العالم. وذلك فيما أمكنني الاطلاع عليه، فبروكلمان لم يتحدث عن وجود مخطوطة للديوان[8]، كما لم يتحدث عن ذلك Mingana، واقتصر على الإشارة إلى ديوان الحكم، وديوان أدب السلوك، وديوان التدبيج[9]. ولم يشر الزركلي[10] أو كحاله[11]، إلى مخطوطة للديوان.

---

(١) انظر: ديوان التدبيج: م/٢، س/٣، ب/٣، أدب السلوك/ ق ٢، Islamica / ٥٦٦.

(٢) انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ ٦٣٥.

(٣، ٤) انظر: فوات الوفيات ٢/٤٠٨.

(٥) انظر: ١/٨٠٠.

(٦) انظر: ١/٨٠٩.

(٧) انظر: ١/٦٣٠.

(٨) تاريخ الأدب العربي ـ بروكلمان/ ٧٨٥.

(٩) انظر: Catalogue of arabic manuscripts Manchester / ٩٤٠ ـ ٩٤٣.

(١٠) الأعلام ٤/١٦٧.

(١١) معجم المؤلفين ٦/١٩٥.

لقد ضاع الديوان «ديوان المبشرات والقدسيات»، ولم يصل إلينا، وما وصل إلينا من قصائده يتمثل في قصائد كاملة حيناً، أو أجزاء منها، أو أبيات منها في حين ثالث، أو بيت واحد من إحداها في حين رابع، فالقصيدة ذات الرقم (١) في هذا المجموع الشعري، وهي أول هذا الديوان، لم يصل إلينا منها إلا صدر البيت الأول[١]، والقصيدة ذات الرقم (٢)، يقال إنها تزيد على مائة بيت، ولكنه لم يصل إلينا منها سوى سبعة عشر بيتاً، منها أربعة في التباشير[٢]، والقصيدة ذات الرقم (٤) تزيد على مائة بيت أيضاً، ولم يصل إلينا منها سوى ثلاثة أبيات فقط[٣]، والقصيدة ذات الرقم (١٠)، وهي القدسية الكبرى، وتقع في مائة واثنين وخمسين بيتاً، ولم يصل الينا منها سوى خمسة وعشرين بيتاً فقط[٤].



يقول العماد الأصفهاني: «وللحكيم أبي الفضل قصائد قدسيات طوال»، ويصفها بأنها قدسيات «كثيرة الفوائد»[٥].

ويذكر أبوشامة المقدسي أنه قد وقف على بعض تلك القدسيات[٦]. ويذكر قول الجلياني نفسه حول مديحه السلطان صلاح الدين: «لم أزل من أول ما ولي الملك الناصر الأمر في مصر، أعلم أنه مؤيد بعناية من الله، سبحانه، فامتدحته في سنة خمس وستين، بقصيدة تنيف على مائة بيت»، ويذكر أبوشامة أربعة أبيات منها في التباشير، كما يصفها[٧]. ويثبت أبياتاً من هذه القصيدة، في حوادث سنة ٥٦٤ هـ، يقول: «وللحكيم عبدالمنعم الجلياني من قصيدة

---

(١) انظر: ديوان التدبيج: م/٣، س/٤.
(٢) انظر: كتاب الروضتين ١/١٦٤، ١٨٤، ٢/١١٥.
(٣) انظر: المصدر نفسه ٢/١١٦.
(٤) انظر: المصدر نفسه ٢/١١٧ ـ ١١٨.
(٥، ٦): الروضتين ٢/١١٥.
(٧) المصدر نفسه ٢/١١٥.

طويلة»، ويستشهد بتسعة أبيات منها[1]. ويثبت أربعة أبيات منها في حوادث سنة ٥٦٥ هـ[2].

ويروي ما قاله الشاعر الجلياني، فيقول: «قال (عبدالمنعم): ومدحته سنة سبع وستين عند قفوله من غزاة غزة»، ويثبت ثلاثة أبيات من تلك القصيدة[3].

كما يروي قول الجلياني: «ومدحته سنة ثمان وستين بقصيدة تنيف أيضاً على مائة بيت»، ويثبت منها ثلاثة أبيات في التباشير، كما يقول[4].

ومن القصائد المبشرات، قصيدة بعث بها الجلياني إلى السلطان صلاح الدين، في غرة سنة ٥٨٢ هـ، يهنئه فيها بالعافية. ويستشهد أبوشامة المقدسي بتسعة أبيات منها تبشر بالفتح القدسي، وتحث عليه[5].

وأنشأ الجلياني قصيدة مبشرة أُخرى، في سنة ٥٨٢ هـ، وحضر بها بين يدي السلطان صلاح الدين. ويستشهد أبوشامة بتسعة أبيات منها أيضاً، وهي أبيات تبشر بالفتح[6].

وأنشأ الشاعر العديد من القصائد القدسيات، ومنها قصيدته القدسية التي مطلعها:

أبا المُظَفَّر أنتَ المُجْتَبى لِهُدَى ... أُخرى الزمان على خُبْرٍ بخِبْرَتِه

ويستشهد أبوشامة بسبعة عشر بيتاً من أبياتها فقط[7].

---

(١) الروضتين ج ١ ق ٢/٤١٥، أو ١/١٦٤.

(٢) المصدر نفسه ج١ ق ٢/ ٤٦٦، ٤٦٧، أو ١/١٨٤.

(٣) المصدر نفسه ٢/١١٥، ١١٦.

(٤) المصدر نفسه ٢/١١٦.

(٥) انظر: المصدر نفسه ٢/١١٦.

(٦) انظر: المصدر نفسه ٢/١١٦.

(٧) انظر: المصدر نفسه ٢/١٠٣.

والقصيدة الفتحية الناصرية، التي ينسبها إلى الفتح والفاتح، ومطلعها:

في باطن الغيب ما لا تُدْرَك الفكرُ　　فذو البصيرة في الأحداث يعتبرُ

ويستشهد أبوشامة باثنين وثلاثين بيتاً منها[1].

ويذكر أبوشامة المقدسي أن للجلياني قدسيات كبرى، ومنها القدسية الكبرى التي مطلعها[2]:

تَصاريف دهرٍ أغربتْ لمن اهتدى　　وبسطةُ أمر أعربتْ من تمردا

كما يذكر أبوشامة أن عدد أبياتها مائة واثنان وخمسون بيتاً، ولكنه لا يستشهد إلا بخمسة وعشرين بيتاً منها فقط[3]، كما تقدم. وقد يوحي هذا بأن له قدسيات صغرى. ولعل تحديد أبي شامة القدسيات الكبرى، والقدسيات الصغرى يعود إلى عدد أبيات كل منها.

ومنها قدسية رابعة رواها ابن الشَعَّار الموصلي، قال: «أنشدني شيخنا أبوالخير بن أبي المعمر التبريزي المُحدِّث، قال: «أنشدني أبوالفضل عبدالمنعم بن عمر بن حسان الغساني، رحمه الله، لنفسه يمدح الملك الناصر صلاح الدين، ويهنئه بفتح بيت المقدس»، ومطلعها[4]:

لقد أوسَعَ الله الفتوحَ بعامنا　　وخَيَّسَ منها المصعب المتَأبِّدا

وتقع هذه القدسية في واحد وأربعين بيتاً، كما أوردها ابن الشعار[5].

ويروي أبوشامة المقدسي أبياتاً من قصيدة للجلياني، في حوادث سنة ٥٨٥ هـ، وفيها يصور الشاعر دعوة الصليبيين للحرب الصليبية الثالثة، ومطلعها:

---

(١) انظر: الروضتين ٢/١١٦ ـ ١١٧.

(٢) المصدر نفسه ٢/١١٧.

(٣) المصدر نفسه ٢/١١٧ ـ ١١٨.

(٤) عقود الجمان ٤/٦٥.

(٥) انظر: المصدر نفسه ٤/٦٥ ـ ٦٦.

يا منقذَ القُدْس من أيدي جبابرة قد أقسموا بذراع السرب تدخله

ويستشهد باثني عشر بيتاً منها[1].

ومن قدسيات الجلياني: المدبجة القدسية التي تقدمت الإشارة إليها، وهي واحدة من المدبجات التي أنشأها الشاعر الجلياني، في مدح السلطان صلاح الدين، ووصف حروبه التي توجت بالفتح القدسي. وقد أنشأها في غرة سنة ٥٨٩ هـ، ومطلعها[2]:

قَديمُ هَواكُمْ في الفؤاد قَرَارُهُ فكيفَ به مُذْ شَطَّ عنكمْ مَزارُهُ

وتتضمن هذه المدبجة قصيدة أخرى ميمية، ومطلعها[3]:

حبيبٌ تراءى وهو يأبى لِثَامُهُ ولاحَظَه صَبٌّ يَثُورُ هُيامُهُ

وقصيدة ثالثة حائية، ومطلعها[4]:

جَلاً مُنيراً مُقامُهُ سَنى لَهجٍ أزهى مداه ابتداره حُليٌ مِدَحا

وقصيدة رابعة جيمية، ومطلعها[5]:

مستنقذُ القُدس ثاره حَبامِنَحاً واستشعرَ الأمْنَ شَامُهُ بلاحَرَجِ

ويتحدث الشاعر الجلياني عن بيت المقدس، في عدد من قصائده الأخرى، ومنها قصيدته المسماة «التحفة الجوهرية». يروي ابن أبي أصيبعة، عن والده، عن عبدالمؤمن بن عبدالمنعم الجلياني، قصيدة، يقول: «ومن شعر حكيم الزمان عبدالمنعم الجلياني»، وكان قد نقله ابن أبي أصيبعة «من خطه»، وسمعه من أبيه، ومنه قصيدة قالها الجلياني يمدح صلاح الدين، وقد أرسلها إليه من دمشق، إلى عكا، وهو يحاصر الفرنج الذين كانوا يحاصرون

---

(١) الروضتين ٢/١٥١.

(٢) انظر: ديوان التدبيج: س/١١، م/١٢، ب/٩أ، ١٥، ظ/١٤٥.

(٣) المصدر نفسه: س/١٣، م/١٣أ، ب/٩أ، ١٦، ظ/١٤٧.

(٤) المصدر نفسه: س/١٤أ، م/١٥أ، ب/٩ب، ١٧.

(٥) المصدر نفسه: س/١٤ب، م/١٥ب، ب/٩ب، ١٧، ظ/١٤٧.

عكا. وقد عُرضت عليه تلك القصيدة في شهر صفر من سنة ٥٨٧ هـ، ومطلعها:

رَفَاهية الشُّهْم اقتحام العظائم ... طلاباً لعزٍ أو غلاباً لضائم

ويتحدث فيها عن فتح القدس، وتطهير الساحل[1].

كما يتحدث الجلياني عن بيت المقدس في مدبجات أُخرى أنشأها يمدح عدداً من ملوك الأيوبيين، فقد تحدث عنها في مدبجته العزيزية المسماة «بهر الأحلام بسحر الكلام»، وفيها يمدح الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين. وكان ذلك في سنة ٥٩٠ هـ[2]. ويتحدث عن المدينة المقدسة في القصيدتين اللتين تتضمنهما هذه المدبجة، وهما القصيدة النونية التي مطلعها[3]:

هي العزائمُ لا بيضٌ وخِرْصانُ
بها استباحَ العُلى الأيقاظُ أو صانوا

والقصيدة الميمية التي مطلعها[4]:

أفاضَ الندى فوق الغنى للمسالم ... وأفنى العِدا تحت القَنا والصَّوارمِ
عمادُ الهدى الملك العزيز الذي به ... نَمَتْ مُعظَّماتٌ في فروع المكارم

ويتحدث عنها في مدبجة أنشأها يمدح فيها الملك الظاهر بن صلاح الدين، في سنة ٦٠٢ هـ، وهي المدبجة المسماة «المدبجة ذات الأنهار الأربعة»[5]. وذلك في القصيدة الرائية التي تتضمنها هذه المدبجة، ومطلعها[6]:

سبا القلبَ منّي مُوقِداً لأواره ... غزالٌ ثواهُ باغياً في جُوارِه

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٦٣٠، وانظر/ ٦٣٠ - ٦٣٣.

(٢) ديوان التدبيج / س/٢١، م/٢١، ظ/١٠٦، ١٠٧

(٣) ديوان التدبيج: س/٢١ ب، م/٢١ب، ظ/١٠٧، Islamica / ٥٦٨.

(٤) ديوان التدبيج: س/٢٨أ، م/٢٨أ، ظ/١١٣، Islamica / ٥٧١، ٥٧٢.

(٥) قالها في الملك الظاهر بن صلاح الدين، في سنة ٦٠٢ هـ
انظر: ديوان التدبيج: م/٩٢ - ١٠٢، ٩٤ - ٩٨، ب/٤٧ - ٤٨، ظ/١٦١ - ١٦٧.

(٦) المصدر نفسه: م/١٠٠، س/٩٥ب، ب/٤٨، ظ/١٦٣.

والقصيدة اللامية التي أولها(1):

حَمَى المسجدَ الأقصى فطالَ مُطهَّرا وأودَعَهُ جَمْعاً كِباراً رِجَالُهُ

ويذكر الجلياني بيت المقدس في عدد من قصائده الأخرى، فقد ذكرها في نفحة عُلْويَّة أنشأها في سنة ٥٩٦ هـ(2).

ويتحدث عنها في قصيدة مناجاة، أنشأها في سنة ٥٩٧ هـ(3).

وتجدر الإشارة إلى أنني ضممت إلى ما وجدته من «ديوان المبشرات والقدسيات» عدداً من القصائد القدسية التي تضمنها ديوان التدبيج، أو ديوان المدبجات، أو ديوان منادح الممادح، ومنها المدبجة القدسية كلها(4)، ومدبجات أخرى ذكرت بيت المقدس، مثل المدبجة العزيزية(5)، والمدبجة ذات الأنهار الأربعة في الملك الظاهر بن صلاح الدين(6)، وشذرات تضمنها ديوان التدبيج، مثل الشذرة الرابعة(7)، والشذرة الثانية عشرة، وتضاف إلى هذا كله، القصيدة المسماة «التحفة الجوهرية»(8) التي رواها ابن أبي أُصيبعة.

كما تجدر الإشارة إلى أنني ضممت إليها عدداً من القصائد التي تتحدث عن بيت المقدس، وردت في ديوانه «ديوان الحكم وميدان الكلم»، وهي مناجاة يذكر فيها الجلياني المسجد الأقصى، وقد أنشأها في سنة ٥٦٢ هـ(9)، ونفحة علوية يذكر فيها القدس وسلوان، أنشأها في سنة ٥٩٦هـ(10)، ومناجاة أخرى يتحدث فيها عن القدس، أنشأها في سنة ٥٩٧هـ(11).

---

(1) ديوان التدبيج م١٠٢٢أ، س/ ٩٨، ظ/١٦٧.

(2) انظر: ديوان الحكم/ ٤٧٣.

(3) انظر: المصدر نفسه/٥١٧ ـ ٥١٨.

(4) انظر: ديوان التدبيج؛ م/٢ ـ ١٥، س/٢ ـ ١٤، ب/٢ ـ ١٣، ظ/١٤٧ ـ ١٥١.

(5) انظر: المصدر نفسه: م/٢٢ ـ ٢٩، س/٢١ ـ ٢٨، ظ/١٠٧ ـ ١١٣، Islamica /٥٦٧ ـ ٥٧٣.

(6) انظر: المصدر نفسه: م/١٠٠ ـ ١٠٣، س/٩٤ ـ ٩٨، ب/٤٧ ـ ٤٨، ظ/١٦٣ ـ ١٦٨.

(7) انظر: المصدر نفسه: م/٤٥ ـ ٤٧، س/٤٤ ـ ٤٦، ظ/٦، ١٢ ـ ١٧.

(8) انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ ٦٣٠ ـ ٦٣٢.

(9) انظر: ديوان الحكم (تحقيق كتاني)/ ٦٤، (تحقيق الثقفان)/ ١٦٧.

(10) انظر: المصدر نفسه ٤٧٣. (11) انظر: المصدر نفسه.

ومن الجائز أن يكون الجلياني قد أثبت المدبجة القدسية، في ديوان المبشرات والقدسيات، «حيث عرف عنه شغفه بجمع الموضوعات المتشابهة في ديوان واحد، ولأن هذه المدبجة تمجد فتح بيت المقدس، فلا يستبعد أن تجمع مع قصائده المبشرات والقدسيات»[1].

★ ★ ★

كان الجلياني قد بدأ نظم ديوان «المبشرات والقدسيات» في سنة ٥٦٤ هـ، وتدل على ذلك الإشارة إلى أن أول قصيدة فيه، أنشأها في تلك السنة[2].

وقال الجلياني عدداً من القصائد المبشرات بين سنتي ٥٦٤ هـ، و٥٦٩ هـ، فقد استطعت الوصول إلى أربع من المبشرات، قيلت في السنوات: ٥٦٥ هـ[3]، و٥٦٧ هـ[4]، و٥٦٨ هـ[5]، و٥٦٩ هـ[6]. تضاف إليها مبشرتان قالهما في سنة ٥٨٢ هـ[7].

ومما يلفت النظر، ويدعو إلى التساؤل، أننا لا نجد قصائد مبشرات لعبدالمنعم الجلياني، بين سنة ٥٦٩ هـ، وسنة ٥٨٢ هـ، وهي مدة ليست بالفترة القصيرة، إذ تبلغ ثلاث عشرة سنة. هل انقطع الشاعر في تلك السنوات عن إنشاء القصائد المبشرات؟

وهل قال قصائد مبشرات، ولكنها لم تصل إلينا، وبقيت دفينة ديوانه «المبشرات والقدسيات» الذي لم يصل إلينا أيضاً؟

لقد أنشأ الجلياني شذراته التي تُكوّن القسم الأول من ديوانه: «التدبيج»

---

(١) انظر: ديوان الحكم (تحقيق كتاني)/ ٨٥، ٨٦.

(٢) انظر: ديوان التدبيج: م/٣، س/٤.

(٣) انظر: الروضتين ١١٥/٢.

(٤) انظر: ديوان التدبيج: س/٤٥ ـ ٤٦، ظ/١٦، ١٧، الروضتين ١١٦/٢.

(٥) انظر: الروضتين ١١٦/٢.

(٦) انظر: ديوان التدبيج: س/٣٩ ـ ٤٠، ٨١ ـ ٨٧، ظ/٤، ٧٧ ـ ٧٨.

(٧) انظر: الروضتين ١١٦/٢.

أو «منادح الممادح وروضة المآثر والمفاخر في خصائص الملك الناصر»، وهي اثنتا عشرة شذرة، في سنة ٥٦٩ هـ، كما يذكر هو نفسه في مخطوطات ديوان التدبيج[١]، يقول: «. . . فلقد كنت أرى في المنام، «ليلة الخميس، لتسع خلون من ربيع الأول سنة تسع وستين وخمسمائة، التي فيها أنشأت هذا الكتاب»[٢]، وهو الكتاب الذي يتضمن الشذرات الاثنتي عشرة، كما تقدم.

وفي «المدبجة ذات الخيطين»، يقول: «وأنشأت هذا الخاتم في سنة ٥٦٩ هـ، ارتجالاً في مجلس الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب»[٣]. وأثبت الخاتم، وهو على شكل دائرة كتب الشعر فيها بشكل معين»[٤].

---

(١) ديوان التدبيج: س/٣٩، ٤٠، م/٣٩، ظ/٤.
(٢) المصدر نفسه: س/٤٠، م/٤٠، ظ/٤.
(٣) المصدر نفسه: س/٧٤، م/٧٨أ، ظ/٢٩.
(٤) انظر: المصدر نفسه/ س/٧٥، م/٧٨ب.

ديوان المبشرات والقدسيات: دراسة فنية:

(١)

يعبر الجلياني في مبشراته وقدسياته عن تجربة واقعية استمد منها، وصورها، وقد استطاع أن يعبر عن مشاعره إزاء الحدث تعبيراً صادقاً، كما استطاع التعبير عن مشاعر المسلمين إزاءه، فقد عاش الجلياني أحداث الصراع حول بيت المقدس خاصة، وبلاد الشام ومصر عامة، ونجد مصداق هذا القول واضحاً في مبشراته التي دعا فيها إلى الجهاد، ووحدة المسلمين، وتحرير بيت المقدس، كما نجده واضحاً في قدسياته التي تغنى فيها بالنصر القدسي.

وتحسن الإشارة هنا إلى أنه لم يحضر الفتح القدسي، ولم يشارك في المعركة، ومع ذلك، فقد أنشأ القدسيات الطوال العديدة، في ديوانه المبشرات والقدسيات هذا، وفي مدبجاته القدسية التي نجدها في «ديوان التدبيج»، وقدسياته في ديوان الحكم وميدان الكلم.

كما تحسن الإشارة هنا إلى أن التعبير عن التجربة الشعرية لا يشترط دائماً المشاهدة، والمشاركة، والمعاناة الواقعية.

وعلى الرغم من عدم حضور الجلياني المعركة ومشاركته فيها، فإنه قد عاش أحداث الصراع بين المسلمين والفرنج، في مصر والشام، ثم عبر عن الحدث، واستمد معانيه من التجربة الواقعية الحسية.

إن النظر فيما أنشأه الجلياني من القدسيات، يبين لنا صدقه، وانفعاله بالحدث لا سيما في قدسياته التي أنشأها في سنة ٥٨٣ هـ. ومن الممكن القول إنه كان صادقاً، في التعبير عن التجربة، صدقاً واقعياً، وصدقاً فنياً(١).

---

(١) انظر: بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية.

(٢)

يرى الناظر في مبشرات الجلياني وقدسياته، باستثناء المدبجة القدسية، والمدبجة ذات الأنهار الأربعة، أنه قد ابتعد فيها عن المقدمات الغزلية، وولج إلى موضوع الحديث مباشرة، حاثاً على تحرير بيت المقدس ومبشراً به، أو متغنياً بالنصر المتمثل في الفتح القدسي، أو مشيداً بالبطل الفاتح السلطان صلاح الدين.

لقد جرى الجلياني على هذا النهج، شأنه شأن كثيرين غيره من الشعراء المعاصرين له. وهو أمر ليس بالجديد، فقد نهج ذلك النهج العديد من الشعراء السابقين من أمثال أبي تمام، وأبي الطيب المتنبي، في العديد من قصائدهما الحربية أو الرومية.

يذكر ابن الأثير أنه إذا كانت القصيدة «مديحاً صرفا لا يختص بحادثة من الحوادث»، فللشاعر أن يستهلها بغزل، ولا يلج إلى موضوعه مباشرة. وأما إذا كانت في «حادثة من الحوادث كفتح معقل، أو هزيمة جيش، أو غير ذلك، فإنه لا ينبغي أن يبدأ فيها بغزل، وإن فعل ذلك دل على ضعف قريحة الشاعر، وقصوره عن الغاية»[1]. وهكذا كان الأمر في قدسيات الجلياني، وهي قدسيات تتحدث عن الفتح القدسي، وتتغنى به. ولهذا رأيناه يبتعد في جلها عن الغزل. وأما مدبجته القدسية، فقد أنشأها في سنة ٥٨٩ هـ، بعد قرابة ست سنوات من الفتح، وقد استهل القصيدة الرائية من قصائدها بالمقدمة الغزلية، يقول[2]:

قديمٌ هواكُمْ في الفؤاد قرارُه   فكيف به مُذْ شَطَّ عنكُمْ مزارُه

ولكنه لم يطل في مقدمة قصيدته هذه، فلم تقع في أكثر من ستة أبيات.

---

(١) انظر: المثل السائر ٣/٩٦، ٩٧.

(٢) ديوان التدبيج: م/١٢، س/١١، ب/١٠.

وكذلك فعل في القصيدة الميمية من قصائد هذه المدبجة، إذ استهلها بالغزل، ولكنه لم يطل في ذلك أيضاً[1].

★ ★ ★

ونجد العديد من مطالع مبشرات الجلياني وقدسياته، مستمدة من الحدث ذاته، معبرة عن حكمة مستمدة منه، ومن ذلك مطلع قصيدته الفتحية الناصرية[2]:

فِي باطِنِ الغيبِ ما لا تدركُ الفِكَرُ　　فذو البصيرةِ في الأحــداث يعتبرُ

ومنه مطلع قدسيته الكبرى[3]:

تصــاريفُ دهر أعْربَتْ لمن اهتدى　　وبَسْــطَهُ أمــر أغْــربَتْ من تَمـرَّدا

ونجد مثل ذلك في العديد من مبشراته، كما يبدو في مطلع قصيدته التي يمدح فيها صلاح الدين[4]:

العَــزْمُ ينفــد ليس البيض والسُّمْــرُ　　تلك العــزيمــةُ منهــا هذه الأثــرُ

ومطلع قصيدته[5]:

الله أكبرُ أرضُ القُدس قد صفرتْ　　من آل الاصفـر إذ حين به حانـوا

وهي ابتداءات قوية موحية تتناسب مع موضوع هذه المبشرات والقدسيات. وهذا ما ينبغي أن تتسم به المطالع لدى الأدباء والنقاد[6].



(١) انظر ديوان التدبيج: م/١٤، س/١٣، ب/١١، ظ/١٤٧.

(٢) كتاب الروضتين ٢/١١٦.

(٣) المصدر نفسه ٢/١١٧.

(٤) ديوان التدبيج: م/٤٦، س/٤٥، ظ/١٦.

(٥) كتاب الروضتين ٢/١١٦.

(٦) انظر: البديع في نقد الشعر/ ٩٥، الاستدراك/ ٥٤، تاريخ النقد الأدبي عند العرب/ ٥.

وجاء العديد من خواتيم قدسيات الجلياني معبراً عن التغني بالنصر والفتح، أو الإشادة بالبطل، كما يبدو في خاتمة قدسيته: «أبا المظفر أنت المجتبى لهدى...»، رابطاً بين تلك الأيام، والأيام النبوية[1]:

حتى يكون لهذا الدين ملحمةٌ تحكى النبوة في أيام فَتْرَتِهِ

وقوله في خاتمة إحدى قصائده المبشرات[2]:

وليس كفتح القُدس منية قادرٍ وما أن تلقاها سوى يوسف جَزْما

وقوله[3]:

فكلُّ ابتداءٍ في معاليه منتهى وكلُّ انتهاءٍ في معاليه مبتدا

وقوله في خاتمة القصيدة الرائية من قصائد مدبجته القدسية[4]:

إذا خُصَّ شخص في الأنام بُمعجزٍ فليس لثانٍ في مداه اقتداره

وقد جاءت كل خاتمة منها متناسبة مع الغرض الشعري الذي قال فيه.

★★★

وتبدو القصيدة القدسية في ديوان الجلياني هذا ذات وحدة في الموضوع، فهي تتحدث عن الفتح، والفاتح، والعدو المحتل، ولا شك أن كل جزء من أجزاء القول في الفتح ذو ارتباط وثيق بالحديث عن الفاتح، وهكذا. وهذه الموضوعات مترابطة فيما بينها على الرغم مما قد يبدو من تعدد المحاور فيها، وهي محاور (الفتح، والفاتح، والمحتل) متناسبة، مترابطة، في الحديث عنها. ويمكن القول إنها تشكل موضوعاً واحداً، وهو موضوع الفتح القدسي.

وهذه الوحدة في قدسيات الجلياني تتمثل في «وحدة الموضوع، ووحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع، وما يستلزم ذلك من ترتيب الصور والأفكار»[5].

---

(١) كتاب الروضتين ٣٢/١٠٣.

(٢) المصدر نفسه ٢/١١٦.

(٣) عقود الجمان ٤/٦٦.

(٤) ديوان التدبيج: م/١٤، س/١٣، ب/١١، ظ/١٤٧.

(٥) انظر: النقد الأدبي الحديث/ ٣٩٥.

وقد تبين هذا جلياً في الحديث عن مطالع قدسيات الجلياني، وموضوعاتها، وخواتيمها.

★★★

أطال الجلياني في قدسياته، فقد أنشأ مطولات شعرية، وهو في ذلك ينهج نهج غيره من شعراء القدسيات، إذ يلحظ أن القدسيات جاءت مطولات في غالبها. وكذلك وردت معظم قصائد شعر الحرب، أو شعر الجهاد، في شعرنا العربي.

ومن مطولات الجلياني في هذا المجال القصيدة القدسية الكبرى، فقد بلغت مائة واثنين وخمسين بيتاً، والقصيدة الرائية من قصائد المدبجة القدسية، إذ بلغت ستين بيتاً.

وهذا ما يتناسب مع الحديث عن الفتح القدسي، إذ ان قصائد الفتح تحسن فيها الإطالة، يرى ابن رشيق مثلاً، أن «المطولات أكثر إثارة للهيبة في النفوس». ويرى أن القصائد الطوال هي التي تتناسب مع التعبير عن المواقف المشهورات[1]. ولا شك أن الفتح القدسي كان جديراً بالمطولات الشعرية، بل بالملاحم التي تخلده. إن الإطالة في مثل هذه القصائد تعود إلى أهمية الحدث نفسه، كما تعود إلى قدرة الشاعر.

وأما مبشراته، فقد اتسمت بالقصر غالباً. وقد جاء بعض تلك القصائد المبشرات في قرابة عشرين بيتاً، أو في عشرة أبيات. وجاء بعضها الآخر في قرابة ثلاثة أبيات فقط.

---

(١) انظر: العمدة ١/١٦١ ـ ١٦٣.

(٣)

يتسم أسلوب مبشرات الجلياني وقدسياته بالقوة والجزالة، وهو ما يتناسب مع هذه الأشعار القدسيات الجهاديات، وهو تناسب بين أسلوب الفن الشعري وموضوعه.

ومن المعروف أن الأساليب الشعرية تتباين بين فن شعري وآخر، وهو تباين يتحدث عنه القاضي الجرجاني، كما يبدو واضحاً في قوله: «أرى لك أن تقسم الألفاظ على رتب المعاني، فلا يكون غزلك كافتخارك، ولا مديحك كوعيدك، ولا هجاؤك كاستبطائك. . .، بل ترتب كلاً مرتبته، وتوفيه حقه، فتلطف إذا تغزلت، وتفخم إذا افتخرت، وتتصرف للمديح تصرف مواقعه. . .، ووصف الحب والسلاح ليس كوصف المجلس والمدام، فلكل واحد من الأمرين نهج هو أملك به، وطريق لا يشاركه «الآخر فيه»[1].

ويذهب ابن رشيق إلى أن سبيل الشاعر إذا مدح ملكاً. . . أن يجعل معانيه جزلة، وألفاظه نقية غير مبتذلة سوقية[2].

ويرى حازم القرطاجني أنه إذا كان غرض الشاعر فخراً، كان عليه أن «يعتمد من الألفاظ، والنظم، والمعاني، والأسلوب، ما يكون فيه بهاء وتفخيم». وإذا كان غرضه نسيباً، كان عليه أن «يعتمد منها ما يكون فيه رقة وعذوبة»[3].

ويبدو هذا الأسلوب جلياً في قدسية الجلياني «الفتحية الناصرية»، و «قدسيته الكبرى»، وغيرهما من قدسياته. ومن النظر فيهما نجده يوائم بين الألفاظ والمعاني، ويأتي بالألفاظ على رتب المعاني، ولذلك يختار من الألفاظ والتعبيرات: «القواضب والعسالة السمر»، وجحافل الجيوش، وكؤوس الطعن،

(١) الوساطة/ ٢٤.

(٢) العمدة ٢/١٢٢.

(٣) منهاج البلغاء/ ٣١٠.

والقانص الذكر، و«فتوح القادسية». و«ملاحم ذي القرنين»، وغيرها من الألفاظ والعبارات التي اختارها للتعبير عن المعاني المستقاة من الفتح القدسي، ومواقف الفاتح السلطان صلاح الدين، وصورة العدو الصليبي المحتل.

وفي قدسيته الكبرى، يختار ألفاظاً وعبارات تتسم بالقوة والجزالة أيضاً، ومنها: «صرعة الإفرنج»، و«جروا جيوشاً كالسيول»، و« جبابرة الإفرنج»، و«المنسر الديوي»، و«ملحمة التل»، و«جنود الرعب»، وغيرها. وهي كسابقتها تعبر عن المعاني المستقاة من الفتح القدسي، ومواقف الفاتح، وصورة الفرنج.

★ ★ ★

ويتسم أسلوب الشاعر، في هذه المبشرات والقدسيات، باستخدام ألفاظ ومصطلحات تعكس الأثر الديني الإسلامي في هذه الأشعار، ومنها ما ورد في قدسيته: «أبا المظفَّر أنت المُجتبى لهدى...» كما يبدو في قوله[1]:

دارت بك الملّةُ الحُسنى فنحن على   عهد الصحابة في استمرار مِلّتهِ
أضحى لنشر الهدى في فتح منهجه   وبات يطوي العِدا في سَدّ ثَغرتهِ
حتى يكونَ لهذا الدين ملحمةٌ   تحكي النبوة في أيام فَترتهِ

وقوله[2]:

والحقُّ يعرسُ والطغيانُ مُنتحبٌ   والكفرُ يطمس والايمان مزدهرُ



ويستخدم الشاعر الجلياني ألفاظاً غير عربية، مثل: «الاسبتار»، و«الداوية»، و«الابرنس»، و«الكند»، وغيرها. وقد كان للصراع بين المسلمين والمحتلين أثر في استخدام مثل هذه الألفاظ التي تعبر عن أهم فرق فرسان

(١) كتاب الروضتين ٢/١٠٣.
(٢) المصدر نفسه ٢/١١٧.

العدو، كما تعبر عن بعض الألقاب التي كانوا يستخدمونها. يقول في قدسيته الفتيحة الناصرية[1]:

والاسْبتارُ إلى الدّاويَّة التأمُوا كأنُهم سَدُّ يأجوج إذا استجَروا

ويقول في قدسيته الكبرى[2]:

ألم تَرَ للسلطان صَدَّقَ نَذْرَهُ دمُ الغادِر (الإبرنس) فاقتيد أرْبَدا

وضاقتْ بنفس (القُمصِ) الأرض مَهرَباً فأدركَهُ الموتُ المفاجىء مُكمدا

وقد أقطعَ (الكندُ) العراقَ مُوقعاً فأودع سجناً وَسط جلّق مُؤصدا

أتى (الكندُ) من (اسبان) يحمى (قمامة) فكان تقضّي مُلكه قبلُ يُبتدى

ويقول[3]:

يتلُوهُمُ (صلبوتُ) سيفُ منتكساً وحولهُ كلُّ (قيسٍ) له زُبُرُ

★ ★ ★

ويتسم أسلوب هذه الأشعار القدسيات بالعديد من الظواهر الأسلوبية، ومنها ظاهرة التكرار في المعاني، وذلك راجع إلى أنها في جُلّ هذه الأشعار القدسيات، تدور حول الحديث عن الفتح وآثاره، والفاتح ومواقفه، والعدو المحتل. وهذه المعاني يتكرر الحديث عنها في هذه القصائد القدسية الجهادية.

ويلحظ مثل هذا التكرار في الألفاظ أيضاً، في مواضع من قدسياته. ويبدو مثل هذا في قول الجلياني[4]:

---

(١) كتاب الروضتين ٢/١١٦.

(٢) المصدر نفسه ٢/١١٧، ١١٨.

(٣) المصدر نفسه ٢/١١٧.

(٤) المصدر نفسه ٢/١٠٣.

يا منقذَ القُدْس من أيدي جبابرة　　قد أقسموا بذراع الربّ تدخله
لَمّا سَبَى القُدْس قالوا كيف نتركها　　والربُّ في حفرة منها تمثله

ومن الواضح أن هذا التكرار يعبر عن أهمية ما يتحدث عنه الشاعر. كما يعبر عن مظهر من مظاهر الصراع بين المسلمين وعدوهم المحتل، بل بين عقيدة كل من الجانبين. ومن الواضح أيضاً ما يأتي به مثل هذا التكرار من تأثير في النفوس.

★ ★ ★

ومنها اتسام أسلوبه بالسخرية والتهكم في هذه الأشعار القدسيات، ويبدو ذلك جلياً في الحديث عن المصير الذي آل إليه العدو المحتل، ففي قدسيته الكبرى يصور ما لحق بالداوية، وغيرهم من فئات العدو الفرنجي، من الذل والقهر بعد الهزيمة التي منوا بها، يقول(١):

أَتَوْا كحبالٍ أُبْرِمتْ لإسارنا　　فَسُقْناهُمُ فيها قَطيناً مُجَدَّداً
عليهمْ من البَلْوى سُرادقُ ذِلَّةٍ　　ومَنْ ذَلَّ ماتتْ نفسه فتَقَيَّدا
ترى المِنْسرَ الدّاويَّ يُلقي سلاحه　　وينساق ما بين السبايا مُلَهَّدا
يباعون أسراباً شرائحَ أحْبُلٍ　　كَشِلَّةِ عصفورٍ من الريش جُرِّدا

★ ★ ★

ويبدو أسلوب هذه الأشعار القدسيات متأثراً بالقرآن الكريم والحديث الشريف، فهو في قدسيته الكبرى مثلاً، يصور العدو المحتل بأصحاب الأيكة، قوم شعيب عليهم السلام، كما يصور المصير الذي آل إليه كلاهما، فأصحاب الأيكة ظالمون لتكذيبهم شعيباً، والعدو الصليبي ظالم باحتلاله بيت المقدس وغيره من ديار الإسلام، يقول(٢):

أتَوْا وادياً ما زال ينفي خبائثاً　　ويصفى بعقبى الدار طائفة الهدى

(١) كتاب الروضتين ٢/١١٧، ١١٨.
(٢) المصدر نفسه ٢/١١٨.

به جثمت أصحابُ لَيْكةَ وهي في ذراه وذا فيه شعيب تأيّدا

ويقول في مدبجته القدسية[1]:

سَرَى قَدرٌ فاغتالَ إفْرنَجْ ساحلٍ بما لم يَغُلْ طاغي ثمود قُدارُه

وهو ينظر في هذا إلى قوله تعالى: **﴿وإن كان أصحابُ الأيْكة لظالمين، فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين﴾**[2] وقوله تعالى: **﴿كَذَّب أصحاب ليكة المرسلين. إذ قال لهم شعيب ألا تتقون, إني لكم رسول مبين، فاتقوا الله وأطيعون﴾**[3] وقوله تعالى **﴿وأصحاب الأيكة وقوم تُبَّع. كُلٌّ كذّب الرسل فحق وعيد﴾**[4].

ويدعو الجلياني صلاح الدين إلى الجهاد للقضاء على العدو المحتل، واستئصال شأفته، كما يبدو في قوله، في إحدى مبشراته[5]:

فَشُؤم فريق الشّرْك في الشّام طائرٌ فَقُصَّ جناحَيْه بأقصى القوى قَصْما

خُصصتَ بتمكين فَعُمَّ العِدا ردى فإنَّهُمْ يأجوج أفْرِغْ بهم ردما

ويصور الفرسان الصليبيين من الداوية والاسبتارية، في قصيدته الفتحية الناصرية بقوله[6]:

والاسبتارُ إلى الدّاويّة التأمُوا كأنهم سَدُّ يأجوج إذا استَجَرُوا

وهو في هذين الموضعين ينظر إلى قوله تعالى: **﴿قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعلُ لك خَرْجا على أن تجعل بيننا وبينهم سَدّا، قال ما مَكَّنّي فيه ربي خيرٌ فأعيونني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً﴾**[6].

---

(١) ديوان التدبيج: م/١٢ - ١٤، س/١١ - ١٣، ب/١٠ - ١١.

(٢) الآيتان (٧٨، ٧٩) من سورة الحجر.

(٣) الآيات (١٧٦ - ١٧٩) من سورة الشعراء.

(٤) الآية (١٤) من سورة ق.

(٥) كتاب الروضتين ٢/١١٦.

(٦) الآيتان (٩٤، ٩٥) من سورة الكهف.

ومن أمثلة تأثر أسلوبه بالحديث الشريف، أنه يقول في قدسيته الكبرى[1]:

وأعدى جنود الرعب يردي عداته   وسلم جميع المسلمين مجندا

ولعله ينظر في قوله هذا إلى الحديث الشريف:

★ ★ ★

ويبدو أسلوبه في هذا الأشعار متأثراً بشعراء سالفين، ومنهم أبوتمام، وأبوالطيب المتنبي، فهو في قوله السابق: «وأعدى جنود الرعب. . .» ينظر إلى قول أبي تمام[2]:

لم يغزُ قوماً ولم ينهدْ إلى بَلَدٍ   إلا تَقَدَّمهُ جيشٌ من الرُّعُبِ

وهو في قصيدته[3]:

في باطنِ الغيبِ ما لا تُدركُ الفِكَرُ   فذو البصيرة في الأحداث يعتبر

يصور الأعداء أمماً عديدة مختلفة، كما يبدو في قوله[4]:

تغزو أساطيلُنا منها صقليةً   فتذعر الروم والصقلاب والخزر

ولعله يحذو حذو أبي الطيب في قوله متحدثاً عن الجيش[5]:

تجمَّع فيه كلُّ لِسْنٍ وأُمَّةٍ   فما تُفهِمُ الحُداث إلا التراجِمُ

★ ★ ★

ويستلهم الشاعر الجلياني من التاريخ الإسلامي: أحداثه وأبطاله. ويبدو ذلك في التمثل بالأحداث التاريخية السابقة، والشخصيات القيادية التاريخية السابقة، إذ يربط بين شخصية السلطان صلاح الدين، وشخصيات إسلامية قيادية، في عهد النبوة، وعهد الخلفاء الراشدين، مثل عمر بن الخطاب، فاتح القدس، وأبي عبيدة. كما يربط بين الفتح القدسي الصلاحي، والمعارك

(١) كتاب الروضتين ٢/١١٨.
(٢) ديوان أبي تمام ١/٥٩
(٣) كتاب الروضتين ٢/١١٦.
(٤) المصدر نفسه. ٢/١١٧.
(٥) ديوان ابي الطيب ٣/٣٨٥.

السابقة الحاسمة في تاريخ الإسلام، مثل الفتح القدسي العمري، والقادسية، وغيرهما. ويربط كذلك بين المقدسات الإسلامية في بيت المقدس والمقدسات الإسلامية في مكة والمدينة. يقول في إحدى قدسياته(١):

فلو رآك وقد حُزتَ العُلى عُمرٌ   في قلّة التلّ قضى كُنْه عبرتِهِ
ولو رآك وأهل القدس في وَلَهٍ   أبوعبيدة فَدّى من مَسَرَّتِهِ
دارتْ بك الملةُ الحُسنى فنحن على   عهد الصحابةِ في استمرار ملته

ويقول في قدسيته الفتحية الناصرية(٢):

أما رأيتم فتوح القادسية في   أكناف لُوبِيَّةٍ تُجلى وذا عُمَرُ



يختلف أسلوب الجلياني الشعري في قسم من قدسياته عنها في القسم الآخر فهو أسلوب يكاد يكون مطبوعاً في أولهما، مصنوعاً متكلفاً في ثانيهما.

لقد أنشأ الجلياني الكثير من القدسيات التي كان فيها مطبوع الأسلوب، ولم ينهج فيها نهج الصنعة، ولم يستخدم المحسنات البديعية إلا في مواطن قليلة، وقد جاءت عفوية طبيعية، دون تكلف أو تصنع. ولم تتأثر المعاني التي قصد التعبير عنها. ومن ذلك ما نراه متمثلاً في قدسياته: القدسية الفتحية الناصرية، والقدسية الكبرى، والقدسية التائية.

ولكنه ينهج نهجاً مختلفاً في مدبجاته القدسية، إذ ينهج فيها نهج التصنع، والتكلف، والتعقيد، وقد جعل الصنعة في مدبجاته غاية يرنو إلى تحقيقها، ولعل ذلك جاء على حساب المعاني التي يتحدث الشاعر عنها.

لم يكن الإغراق في الصنعة لدى الجلياني بدعاً بين الشعراء في القرن السادس الهجري. ولكن جديد الجلياني في هذا المضمار، يتمثل في مدبجاته هذه من حيث شكلها.

---

(١) كتاب الروضتين ١٠٣/٢.

(٢) المصدر نفسه ١١٧/٢.

أغرق الجلياني في استخدام الصنعة البديعية في مدبجاته، ففيها يلتزم السجع في صدر كل مدبجة منها، ويستخدم فنوناً بديعية أخرى.

ويستخدم الأشكال الهندسية من مثلثات، ومربعات، ودوائر، ومخمسات ومسبعات، ومثمنات، ومتسعات، ومعشرات، واثني عشريات، وغيرها من الأشكال الهندسية، كما يستخدم التشجير فيها. ويتضح هذا كله من النظر في ديوانه «ديوان التدبيج»، وهو نفسه الذي يتحدث عن استخدامه هذه الأشكال.

ويجد القارىء صعوبة كبيرة في قراءة هذه الأشكال الهندسية الشعرية، ولهذا نجد الجلياني يكتب مقدمات يوضح فيها كيف يمكن أن تتم قراءة مدبجاته[1].

ويبدو الجلياني معجباً بصنيعه هذا أشد الإعجاب، وهو مثال للتصنع، والتعقيد، والتكلف.

ويتحدث عن المدبجة القدسية، واغراضها، وقراءاتها، فيبين أنها «جميعها تدبيج نظم في نظم، مشتبك، مُداخل، من شعر مبسوط، ومضاعف، ومُصدَّر، ومُنهر، ومختم، ومشمول مُنجم. وكل صنف منها قائم بنفسه، تام الصنائع، كامل أدوات البلاغة». ويذكر أنه «ليس فيها ضرورة من ضرورات الشعر التي استجازها الشعراء في مطلق الأشعار». وليس فيها تصحيف، وليس فيها «تاء تأنيث تقرأ هاء، ولا هاء تقرأ تاء»[2]، كما يقول.

ويبدو الجلياني معجباً بالمدبجة هذه وخواصها، ومن خواصها تلك أنه ليس فيها تضمين، بل «كل بيت قائم المعنى بنفسه». ويعلل ذلك «بقوة الكلام في ضبط التقدير بوجوه التصريف والإعراب»، كما يقول[3].

---

(١) انظر: ديوان التدبيج: م/٦٢، س/٦٢، ظ/٣.

(٢) المصدر نفسه: م/٤أ، س/٤أ.

(٣) المصدر نفسه: م/٤ب، س/٤ب.

وفي آخر ديوان التدبيج، يعود الجلياني ليتحدث عن جُمل خواص كلامه فيه، فيصفه بأنه قد جاء «في غاية الكمال في صناعة البلاغة»، وأن كل بيت مستقل من غير تضمين، ولا نقص في معنى، ولا تكلف في لفظ». وليس فيه استعمال ضرورة من ضرورات الشعر الوحشية التي استعملت كثيراً في النظم المطلق». ويعود ليؤكد أنه «ليس فيه حرف مصحف البتة...، وكذلك تاء التأنيث التي تكتب هاء لا تتغير عن كونها تاء في اللفظ، وإنما تتغير فيه الشكلات من ضمة، وفتحة، وكسرة». ويبين أن «الهمزة تثبت تارة، وتسقط أُخرى، وتلك لغة قريش». ويذكر الجلياني أنه أوضح ذلك كله في الكتاب الذي أنشأه، وسماه «سر البلاغة»[1].

تعددت آراء القدامى من الأدباء في صنيع الجلياني في مدبجاته، فابن أبي أُصيبعة يذهب إلى أنه كان بارعاً في عمل المدبجات[2]، وابن شاكر الكتبي يصفه بأنه كان بارعاً في صناعة الشعر كله[3]، وياقوت الحموي يرى أنه «كان عجيباً في عمل الأشعار التي تقرأ القطعة الواحدة منها بعدة قوافٍ، ويستخرج منها الرسائل، والكلام الحكمي، مكتوباً في خلال الشعر، وكان يعمل من ذلك دوائر، وأشجاراً، وصوراً»[4].

ويستغرب ابن الشَعَّار الموصلي عمل الجلياني في ديوانه التدبيج هذا، ويصف الديوان بأنه «غريب في وضعه جداً»[5].

ويذهب حاجي خليفة إلى أن ديوان التدبيج يشتمل على «أعاجيب من المدبحات المعجزة النظم»، وهي مدبجات عجيبة حقاً[6].

---

(١) ديوان التدبيج: م/١١٦، س/١١٢.

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ ٦٣٠.

(٣) فوات الوفيات ٢/٤٠٧.

(٤) معجم البلدان ٢/١٥٧.

(٥) عقود الجمان ٤/٦٦.

(٦) كشف الظنون.

تقدم القول ان الجلياني كان مغرقاً في التصنع، وربما كان راغباً في التفرد، والتفوق، والإبداع، كما يقول هو نفسه.

لقد كانت الصنعة شائعة في عهد الجلياني، في القرن السادس الهجري، وكانت مقياس الجودة الأدبية آنذاك، وكان ذلك يمثل ذوق العصر. يضاف إلى هذا أن عمله كان يعتمد على الجهد العقلي.

وإذا كان أسلوب الحريري في مقاماته مثالاً مما كان يحتذى آنذاك، فإننا نجد الجلياني يفضل أسلوبه المصنوع على أسلوب الحريري المماثل في الصنعة.

ويشير إليه عدد من الأدباء، فالزركلي يصف المدبجات بأنها «عجيبة في أسلوبها، وجداولها، وترتيبها[١]».

ويصف «عبدالله مخلص» مدبجات الجلياني بأنها «كتاب مشجر، كتب بمختلف الأصباغ». وفيه «جداول هندسية بخطوط ملونة، وعدة قصائد تقرأ من أول حروفها، ثم كلمات بعض الشطور، فتلتئم مع الباقي». ويصف هذا الكتاب بأنه كتاب نفيس. ولكن «التكلف باد على أشعاره، بأسباب مداخلتها بعضها ببعض، بخلاف أشعار الناظم الأخرى، فإنها لا تخلو من سلاسة وسهولة»[٢]، كما جاء في قدسياته الأخرى التي رواها أبوشامة المقدسي، كما تقدم.

ويصفها المستشرق (Mingana) بأنها صورة أو رمز للزخرفة والتنميق، وأنها مجموعة من التركيبات المزخرفة، ليزين أسلوبه الشعري. وقد جاءت مرتبة بشكل غريب، وهو شكل يشبه الرسوم البيانية أو التخطيطية، وكأنه أسلوب خاص[٣].

---

(١) الأعلام ٤/١٦٧.

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق/ ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨.

(٣) انظر: Catalogue of arabic manuscriots - Manchester / ٩٤٠ - ٩٤٣.

عمد الجلياني إلى الأسلوب الفني التصويري في مواضع كثيرة من قدسياته، للتعبير عن المعاني، وتوضيحها، وتشخيصها. وهذه طريقة تعبيرية ينقل بها الشاعر معانيه وتجاربه الشعرية.

ومن ذلك أن الجلياني يصور الفتح القدسي وأثره في الكفر وأهله من ناحية، وأثره في الهدى وأهله من ناحية أخرى، كما يبدو في قوله متغنيا بالنصر في غزة سنة ٥٦٦ هـ، في إحدى مبشراته بالفتح(١):

فتْـحٌ يُضيِّقُ صَدْرَ الكفـر شارِحُـه   صدرَ الهـدى فالتقتْ بُشراه والنُّذُرُ
كأنَّـه سُحُـبٌ تَرمي صَواعِـقُـهـا   أرضـاً وينـزلُ في أخرى بها المطر

وقوله في إحدى قدسياته(٢):

والحَقُّ يعـرسُ والـطُغيان منتحب   والكفـرُ يطمسُ والايمـان مُزدَهِـرُ

ومن الواضح أن الصورة الشعرية عنده تقوم على التشبيهات، والاستعارات، وغيرهما من ضروب علم البيان، وتعنى بأسلوب التشخيص.

ومن هذا ما يصور به الشاعر ملك صلاح الدين في إحدى قدسياته، كما يبدو في قوله(٣):

يا فاتحَ المسجد الأقصى عليَّ بهمْ   وقـانِصَ الجيش لا يُحصى بقفْزَتِهِ
أبْشـرْ بمُلكٍ كظهْـرِ الشمس مُطَّلع   على الـبسيطة فَتّـاح بنشـرتِـهِ

ويصور صلاح الدين بطلاً مجاهداً، وهو لا يخرج عن المألوف في تصويره، إذ نراه يصوره أسداً مرة، قانصاً مرة أخرى، كما يبدو في قوله(٤):

أهـوى إليهم صلاحُ الدين مُفترساً   وهـو الغَضنفـرُ عَدَّى ظفـره الـظَفَرُ

---

(١) انظر ديوان التدبيج : م/٤٦، س/٤٥، ظ/١٦.
(٢) كتاب الروضتين ١١٧/٢. وانظر ص من هذا البحث.
(٣) المصدر نفسه ١٠٣/٢.
(٤) المصدر نفسه ١١٦/٢، ١١٧.

أملى عليهم فصاروا وَسط كَفَتِهِ ... كسرب طيرٍ حواها القانصُ الذَّكَرُ

ويصوره مطهراً الساحل من الأعداء المحتلين ورجسهم، وهو الساحل الذي يصوره بالطراز الأخضر، كما يبدو في قوله[1]:

غَسلتَ الطرازُ الأخضر الرقم منهمُ ... بصوتٍ نجيعٍ أحمر القطْرِ ساجمِ

ويصور المصير الذي آل إليه المحتلون بعد الهزيمة التي منوا بها، مازجاً ذلك بالسخرية والتهكم كما تقدم. ويستمد الصور التي يصورهم بها من الواقع الذي آلوا إليه، كما يستمدها من القرآن الكريم، كما يبدو في قوله موازناً ومقابلاً بينهم في مصيرهم، وبين «مدين» في مصيرها[2]:

ويا ضُحى السبتِ ما للقوم قد سَبَتوا ... تَهَوَّدُوا أم بكأس الطَّعْن قد سكروا

ويا ضريح شُعَيْبٍ ما لهمْ جَثَموا ... كَمِدْيَنَ أم لَقُوا رَجْفاً بما كفروا

ومثل ذلك قوله[3]:

سَرَى قَدَرٌ فاغتالَ إفْرَنْج ساحلٍ ... بما لَمْ يَغُلْ ثَمود قُدارُه

ويصور جيوشهم في كثرة عددها وعُددها، كما يصور مصيرها الذي آلت إليه، فيقول[4]:

وجَرّوا جيوشاً كالسيول على الصوا ... فَآضَتْ غُثاء في البطاحِ مُمَدَّدا

وتقدم تصويره لهم سرباً من الطير اصطاده القانص الذكر، كما يصورهم فراشاً تحرقه نيران الحرب، يقول[5]:

هم الفراشُ لهيبُ الحرب تصرعه ... وكلَّما لَجَّ صدماً لَجّ مَقْتَلُهُ

وفي واحدة من مبشراته، نجده يصور ملك مملكة بيت المقدس اللاتينية،

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ ٦٣٢.

(٢) كتاب الروضتين ٢/١١٦.

(٣) ديوان التدبيج س /١١.

(٤) كتاب الروضتين ٢/١١٧.

(٥) المصدر نفسه ٢/١٥١.

كما كانوا يسمونها، وما حل به من هزيمة، فيقول[1]:

كأنّ «مُـرّي» يُبَكّي مُرَّ نكبتـه   عودٌ يُقَـطِرُ ماءً وهـو يسـتعـرُ
ما كان يَحْسِـبُ أن الله يَقْهَـرَه   من مضْـرَ إذْ هي أُنثـاه ولا ذَكَـرُ

إن هذه الصور الشعرية مستمدة من واقع الحدث ذاته، وذلك في الحديث عن صورة الفتح، أو صورة الفاتح، أو صورة العدو المحتل والمصير الذي آل إليه. وهي صور تراثية في بعض جوانبها، تستلهم التراث الشعري السابق كما تستلهم القرآن الكريم في جوانب أُخرى. وهي تقوم على ضروب علم البيان الذي تعود إليه جُلّ محاسن الكلام.

لقد كان عبدالمنعم الجلياني «أديباً فاضلاً، له شعر جيد، مليح المعاني، أكثره في الحكم، والإلهيات، وآداب النفوس، والرياضيات» كما يقول الحافظ ابن النجار البغدادي[2]. وتجدر الإشارة إلى أن ابن النجار هذا كان قد روى شعراً لعبدالمنعم الجلياني[3].

وتتضح من هذا القول إشادة الحافظ ابن النجار بالشاعر الجلياني. ولا تقتصر الإشادة به على ابن النجار فقط، فقد أشاد به ابن الشَعّار الموصلي، ووصفه بأنه «كان شاعراً مطيلاً، متوسعاً في الشعر، متمكناً من القول»[4].

ويصفه ابن سعيد بأنه «الأديب المتفنن»[5]. كما يصفه ابن أبي أُصيبعة بأنه «كان أديباً فاضلاً»، وأنه كان «بارعاً في الأدب وصناعة الشعر»[6]. ويروي له مختارات من شعره[7].

---

(١) ديوان التدبيج: م/٤٧، س/٤٦، ظ/١٧.

(٢) ذيل تاريخ بغداد ١٥/١٧٤، وانظر: نفح الطيب ٢/٦٣٥.

(٣) انظر: ذيل تاريخ بغداد ١٥/ ١٧٤ ـ ١٧٦.

(٤) عقود الجمان ٤/ ق٦٤، ٦٥.

(٥) انظر: الغصون اليانعة/ ١٠٤، ١٠٥.

(٦) عيون الأنباء/ ٦٣٠.

(٧) انظر: المصدر نفسه/ ٦٣٠ ـ ٦٣٤.

ويتابعه ابن شاكر الكتبي في ذلك[١]، ويروي له مختارات من شعره أيضاً[٢].

ويصفه ابن الزبير بأنه «كان من أهل المعرفة التامة بالأدب، ومن مجيدي الشعراء... وأكثر شعره في الزهد، وما يرجع إليه»[٣]. ويصفه المراكشي بأنه كان «أديباً بارعاً، ناظماً ناثراً»[٤] . ويرى الذهبي أن له شعراً رائقاً[٥] .

ومن هذه الأقوال يتبين لنا مدى إشادة الأدباء والمؤرخين بالجلياني الأديب، وأضيف قائلاً: وكيف لا يكون الأمر كذلك، وهو صاحب العديد من الدواوين التي أجاد فيها، ومنها: «ديوان الحِكم وميدان الكَلِم»، وديوان «المبشرات والقدسيات»، أو بالأحرى، ما وصل إلينا من «ديوان المبشرات والقدسيات»، وأخص بالذكر منها ما وصل إلينا من مبشراته وقدسياته، في كتاب الروضتين، فهي قدسيات بعيدة عن الصنعة، وهي ذات مستوى فني جيد. وهي تختلف في مستواها الفني، وفي بعدها عن الصنعة، عن قدسياته التي وردت في ديوان التدبيج، وأخص بالذكر منها مدبجته القدسية، كما تقدم.

وأما ديوانه الثالث: «ديوان التدبيج»، فيقوم على الصنعة، بل الإغراق فيها، كما سنتحدث عنه، في كتاب خاص به يتمثل في تحقيق الديوان نفسه.

ومما أجاد فيه من شعره قصيدته المسماة «التحفة الجوهرية»[٦]. ويتبين لنا مما سبق أيضاً، أن فنون شعر الجلياني قد تنوعت بين الحكم، والزهد، والتصوف.

يضاف إلى هذا شعره في المديح، مديح السلطان صلاح الدين، ومديح

---

(١) فوات الوفيات ٢/٤٠٧.

(٢) انظر المصدر نفسه ٢/٤٠٨ ـ ٤٠٩.

(٣) صلة الصلة/ ١٦.

(٤) الذيل والتكملة ٥ ق ١/٥٧.

(٥) سير أعلام النبلاء ٢١/٤٧٦، ٤٧٧.

(٦) انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ ٦٣٠ ـ ٦٣٣.

غيره من ملوك الأيوبيين. ويعد هذا المديح شعراً جهادياً، قاله في وصف حروب صلاح الدين، وذلك واضح من النظر في ما وصل إلينا من مبشراته وقدسياته، أو النظر في «ديوان التدبيج».

كان الجلياني يحمل على الشعراء الذين كانوا يمدحون من لم يكن أهلاً للمديح. يقول[1]:

هي الأقوال تنقد بالمعاني وكم صعب يراه الغر سهلا
وللشعراء لو شعروا ذنوب فمنها مدحهم من ليس أهلا

(١) ديوان الحكم (تحقيق الثقفان)/ ٣٦٠.

آثاره

صنف الحكيم عبدالمنعم العديد من المصنفات، في مجالات أدبية، وعلمية، وطبية، وصوفية.

يذكر الجلياني نفسه أنه قد أطلق الله على لسانه «من جوامع الكلم في منظوم ومطلق أصنافاً وفنوناً، أبرزت من بدائع البلاغة نُخباً وعيوناً، وكل صنف منها في ديوان، فهي عشرة دواوين». وهي (وفق ما ورد في (ديوان التدبيج):

- «ديوان الحِكَم وميدان الكلِم»: وهو «يشتمل على الإشارة إلى كل غامض المُدْرَك من العلم، وإلى كل صادق المَنْسَك من العمل، وإلى كل واضح المَسْلك من الفضيلة»، كما يقول الشاعر نفسه، وهو نظم(1).
- كتاب «أدب السلوك»: وهو كلام مُطْلق يشتمل على مشارع كلمات الحكمة المُبَصِّرات»(2).
- كتاب «تحرير النظر»: وهو «كلام مطلق يشتمل على كلمات حكمة مفردات في البسائط والمُركَّبات، والقوى والحركات، وما يتصل بذلك من المُدْركات»(3).
- ديوان المبشرات والقدسيات: وهو الكتاب الذي أعمل على دراسته وتحقيقه(4).
- ديوان «المُشَوِّقات الرِّقائق»: وهي تُشَوِّق إلى الملأ الأعلى، وهو نظم(5).

(1) أنظر: ديوان التدبيج: م/٢، س/٣أ، ب/٢، أدب السلوك/٢، عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ ٦٣٥، فوات الوفيات ٢/ ٤٠٨، كشف الظنون ١/ ٨٠٠، هدية العارفين ١/ ٦٣٠.

(2) انظر: ديوان التدبيج: م/٢ب، س/٣أ، ب/٢، أدب السلوك/٢، فوات الوفيات ٢/ ٤٠٨، عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ ٦٣٥، كشف الظنون ١/ ٤٥، هدية العارفين ١/ ٦٢٩.

(3) انظر: ديوان التدبيج: م/٢ب، س/٣أ، ب/٣، أدب السلوك/٢، عيون الأنباء في طبقات الأطباء/٦٣٥، فوات الوفيات ٢/ ٤٠٨، كشف الظنون ١/ ٣٥٧، هدية العارفين ١/ ٦٢٩.

(4) انظر: ديوان التدبيج: م/٢ب، س/٣أ، ب/٣، أدب السلوك/٢، فوات الوفيات ٢/ ٤٠٨، كشف الظنون ١/ ٨٠٠، ٨٠٩، هدية العارفين ١/ ٦٣٠.

(5) انظر: ديوان التدبيج: م/٢ب، س/٣أ، ب/٣، أدب السلوك/٢، فوات الوفيات ٢/ ٤٠٨، عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ ٦٣٥، كشف الظنون ١/ ٨٠٠، ٨١٤.

ويذكر حاجي خليفة، وإسماعيل البغدادي، كتاب «مشارع الأشواق» للشاعر، ويصفانه بأنه كتاب في التصوف، و«فيه آداب وجدانية، وفي خلالها رموز على نفحات ربانية»[1].

- «ديوان التدبيج» أو «مَنَادح المَمَادح وروضة المآثر والمفاخر من[2] خصائص الملك الناصر» صلاح الدين يوسف بن أيوب.

يُسمي عبدالمنعم الجلياني ديوانه هذا «ديوان التدبيج» كما ورد في الورقة الأولى منه: «ديوان كتاب التدبيج»، وفي الورقة الثالثة: «ديوان التدبيج»[3]. ويسميه كذلك لأنه يتضمن العديد من المدبجات التي أنشأها. يذكر في مقدمة ديوانه هذا أن «ديوان التدبيج يجمع جمهور ما» قاله «من المدبجات المعجزة النظم» كما يصفها[4].

ويسميه «منادح الممادح وروضة المآثر والمفاخر في خصائص الملك الناصر»، ويعلل تسميته بأنه «لَمّا استودع هذا الكتاب من رفيع المعاني، وبديع المباني» أطلق عليه التسمية هذه[5]. يقول الجلياني: «وقد كنت قدمت له مدبجات عجيبة في كتاب منادح الممادح وروضة المآثر والمفاخر من خصائص الملك الناصر»[6].

ويظنه بروكلمان ديوانين، فقد ذكر «ديوان منادح الممادح» ورقمه الثاني بين آثار الجلياني. وذكر «ديوان التدبيج»، ورقمه الثالث بين آثاره، كما يرتبها بروكلمان[7].

ويظنه الزركلي ديوانين أيضاً، فقد ذكر أن «منادح الممادح» كتاب، وذكر

(١) انظر: كشف الظنون ٢/١٦٨٦، هدية العارفين ١/٦٣٠.

(٢) وردت في مخطوطة (ظ)، وفوات الوفيات: (في) بدلاً من (من).

(٣) ديوان التدبيج: م/٢، س/١، ٣، وانظر: أدب السلوك/٢.

(٤) ديوان التدبيج: م/٢، س/٣، وانظر: أدب السلوك/٢.

(٥) ديوان التدبيج: م/٤١، س/٤١، ظ/٦.

(٦) المصدر نفسه: م/٣، ٤١، س/٤، ٤١، ظ/٦، ١٣١.

(٧) انظر: تاريخ الأدب العربي ١/٧٨٥.

أن «روضة المآثر والمفاخر في خصائص الملك الناصر» كتاب آخر[1].

- ديوان الغزل، والتشبيب، والموشحات، والدوبيتي، وما يتصل بها، وهو نظم[2].
- ديوان تشبيهات، وألغاز، وأوصاف، وأغراض شتى، وهو نظم[3].
- ديوان ترسيل وفنون من المخاطبات، وأنواع من الخطب، والأدعية، ونحو ذلك[4].
- كتاب «أسرار البلاغة»، وهو كلام مطلق يشتمل على مطالع الحُسْن من صنائع البديع في فصل الخطاب»[5].

ويذكره ابن شاكر الكتبي باسم «سر البلاغة وصناعة البديع»[6].

ومما يذكر له من المصنفات كتاب «نوادر الوحي»، ويشتمل على كلام حكمة مطلق في غريب معان من القرآن العظيم، ومن حديث الرسول، عليه أفضل الصلاة والتسليم»[7].

ويذكر حاجي خليفة كتاب «جامع أنماط المسائل في القريض، والخطب، والرسائل» لعبدالمنعم الجلياني[8].

---

(١) انظر: الاعلام ٤/١٦٧.

(٢) انظر: ديوان التدبيج: م/٢ب، س/٣ب، ب/٣أ، أدب السلوك/ ٢، ٣، عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ ٦٣٥.

(٣) انظر: ديوان التدبيج: م/٢ب، س/٣ب، ب/٣أ، أدب السلوك/ ٣، فوات الوفيات ٢/٤٠٨، عيون الأنباء/٦٣٥، كشف الظنون ١/٧٨٠، ٨٠٠.

(٤) انظر: ديوان التدبيج: م/٢ب، س/٣ب، ب/٣أ، أدب السلوك/ ٣، عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ ٦٣٥، فوات الوفيات /٤٠٨، كشف الظنون ١/٧٨٠، ٨٠٠.

(٥) انظر: ديوان التدبيج: م/٢ب، ٣أ، س/٣ب، ب/٣أ، أدب السلوك/٣، عيون الأنباء في طبقات الأطباء/٦٣٥.

(٦) فوات الوفيات ٢/٤٠٨.

(٧) انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء/٦٣٥، فوات الوفيات ٢/٤٠٨.

(٨) انظر: الذيل والتكملة ـ السفر الخامس ـ القسم الأول ١/٥٧، ايضاح المكنون ١/٣٥١، هدية العارفين ١/٦٢٩، ٦٣٠.

كما يذكر له كتات «المدبرات العالية» في النجوم. وله تعاليق في وصفات أدوية مركبة[1].

ويذكر صاحب هدية العارفين القصيدة المسماة «التحفة الجوهرية» بين مصنفات عبدالمنعم الجلياني. كما يذكر مدبجة «رهان الأذهان في مدى ذكر الملك الناصر على ممر الأزمان» بين مصنفاته أيضاً[2]. ومن المعروف أن القصيدة «التحفة الجوهرية»، والمدبجة القدسية الآنفة الذكر قصيدتان من شعر الجلياني.

ويذكر الجلياني، في ديوان التدبيج، أنه «إن فسح الله، عز وجل، في الأجل»، فسيصنع لصلاح الدين كتاباً في سياسة الدول[3].

---

(١) انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ ٦٣٥، كشف الظنون ٢/١٦٤١، ١٥١٩.

(٢) انظر: ١/٦٢٩، ٦٣٠.

(٣) انظر: ديوان التدبيج: م/٤١، س/٤١، ظ/٧.

مصادر الجمع والتحقيق:

تنوعت المصادر التي اعتمدت عليها في جمع ما أمكن جمعه من ديوان «المبشرات والقدسيات» للشاعر عبدالمنعم الجلياني، بين دواوينه الشعرية التي وصلت إلينا، ومصادر أُخرى في التاريخ، والتراجم، والأدب.

ومن دواوينه الشعرية تلك: ديوان التدبيج، أو ديوان المدبجات، أو ديوان «منادح الممادح وروضة المآثر والمفاخر في خصائص الملك الناصر»، وديوان الحكم وميدان الكلم.

ومن المصادر التاريخية والأدبية الأخرى:

«عقود الجمان في شعراء هذا الزمان» لابن الشَعّار الموصلي، المتوفى سنة ٦٥٤ هـ، وكتاب «الروضتين في أخبار الدولتين» لأبي شامة المقدسي، المتوفى سنة ٦٦٥ هـ[١]، و«عيون الأنباء في طبقات الأطباء» لابن أبي أُصيبعة، المتوفى سنة ٦٦٨ هـ.

يعد ديوان التدبيج من أهم دواوين الشاعر الجلياني، فيما يتصل بهذا المجموع الشعري، فقد اخترت منه المدبجة القدسية التي تتضمن أربعاً من القصائد، وهي القصائد ذوات الأرقام (١٤ ـ ١٧). واخترت جزءاً من المدبجة العزيزية، وأثبت الأبيات التي تتحدث عن بيت المقدس. وهي المدبجة التي تتضمن القصيدتين ذواتي الرقمين (١٨، ١٩). كما اخترت جزءاً من المدبجة ذات الأنهار الأربعة، وهي المدبجة التي تتضمن القصيدتين ذواتي الرقمين (٢٠، ٢١)، وأثبت الأبيات التي تتحدث عن بيت المقدس أيضاً.

يضاف إلى هذا أنني اخترت جزءاً من الشذرة الرابعة، في ديوان التدبيج، وأثبت الأبيات التي تتحدث عن بيت المقدس، وما قام به «مُرّي» ملك مملكة

(١) انظر: الذيل على الروضتين/٣٧ ـ ٤٥، فوات الوفيات ٢/٢٦٩ ـ ٢٧١، البداية والنهاية ١٣/٢٥٠ ـ ٢٥١، الدارس ١/٢٣ ـ ٢٤.

بيت المقدس اللاتينية، كما كانوا يسمونها، وكذلك ما قام به السلطان صلاح الدين. وهي القصيدة ذات الرقم (٣).

واخترت جزءاً من الشذرة الثانية عشرة، في ديوان التدبيج، وأثبت الأبيات التي تتحدث عن بيت المقدس.

ومن هذا نتبين أهمية ديوان التدبيج للشاعر نفسه.

وأما «ديوان الحكم وميدان الكلم»، فقد اخترت منه أبياتاً من ثلاث قصائد، أولاها: مناجاة يذكر فيها الشاعر الجلياني المسجد الأقصى، وهي القصيدة ذات الرقم (أ) في الملحق.

وثانيتها نفحة عُلْوية، يذكر فيها القدس وسلوان، وهي القصيدة ذات الرقم (ب) في الملحق.

وثالثتها مناجاة يتحدث فيها عن بيت المقدس، وهي القصيدة ذات الرقم (جـ) في الملحق.

وأما المصادر الأخرى، فأولها، وفق الترتيب التاريخي لوفيات مؤلفيها، لا وفق أهميتها، عقود الجمان لابن الشعّار الموصلي، وقد تفرد هذا المصدر برواية قصيدة قدسية قالها الجلياني يمدح صلاح الدين، ويهنىء بفتح بيت المقدس، في سنة ٥٨٣ هـ[1]، وهي القصيدة ذات الرقم (١١).

وتجدر الإشارة إلى أن هذه القدسية، لم يوردها مؤرخ آخر، فيما أمكن الاطلاع عليه من المصادر المخطوطة. وهذا يضفي أهمية على «عقود الجمان».

ومما يضفي عليه أهمية أيضاً، في مجال هذا العمل، أنه يروي قدسية الجلياني نقلاً عن شيخه أبي الخير بن أبي المعمر التبريزي، وكان الجلياني

---

(١) انظر: عقود الجمان ٤/ ٦٥أ.

نفسه قد أنشد قدسيته هذه للتبريزي المذكور[1]. وبهذا تكون رواية ابن الشَعّار هذه القدسية عمن يعاصر الشاعر الجلياني.

ومن هذه المصادر كتاب «الروضتين في أخبار الدولتين» لأبي شامة المقدسي، وهو من أهم المصادر التي روت أشعاراً لعبدالمنعم الجلياني، تتحدث عن بيت المقدس، فقد روى أبوشامة ثمانياً من القصائد والمقطوعات، من مبشرات الجلياني وقدسياته. وهي ذوات الأرقام (٢، ٤، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١٢)، وشارك في رواية أبيات من القصيدة ذات الرقم (٣).

وتجدر الإشارة إلى أن كتاب الروضتين قد تفرد برواية القصائد والمقطوعات الثماني الآنفة الذكر، ولم أجد لها ذكراً في مصدر آخر مما أمكن الوصول إليه، والاطلاع عليه. وبهذا يكون أبوشامة قد حفظ لنا جزءاً مهماً من ديوان «المبشرات والقدسيات» الذي لم يصل إلينا.

وتزداد أهمية كتاب الروضتين، في مجال هذا العمل، إذا علمنا أن صاحبه قد اطلع على مصادر مهمة ضاعت ولم تصل إلينا، ومنها، إضافة إلى ديوان «المبشرات والقدسيات»، كتاب «البرق الشامي» للعماد الأصفهاني. يقول أبوشامة: كثر مدح الفضلاء للسلطان (صلاح الدين) عند فتح القدس. وقد ذكر العماد من ذلك جملة في أواخر كتاب البرق، فرأيت تقديم ما اخترته منها هنا، وزدت عليه ما لم يذكره، فمن ذلك قدسية الجلياني التائية[2]، وهي القصيدة ذات الرقم (٨).

وإذا علمنا أن كتاب «البرق الشامي»، يتكون من سبعة أجزاء، وأنه لم يصل إلينا منه سوى الجزء الثالث، والجزء الخامس، فإن هذا يعني أن ما أثبته أبوشامة في روضتيه كان في الجزء السابع، وهو أواخر كتاب البرق، لم يصل إلينا.

---

(١) عقود الجمان ٤/٦٥.

(٢) انظر: الروضتين ٢/١٠٣.

وتبدو أهمية الروضتين جلية في روايته أشعاراً للجلياني، في هذا المجموع الشعري، نقلاً عن معاصرين للأحداث، ومعاصرين للشاعر نفسه، مثل العماد الأصفهاني المتوفى سنة ٥٩٧ هـ[١]، وذلك قبل وفاة الجلياني بنحو ست سنوات[٢].

ومنها «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» لابن أبي أُصيبعة، فقد روى القصيدة المسماة «التحفة الجوهرية» لعبدالمنعم الجلياني، رواها عن والده، عن عبدالمؤمن بن عبدالمنعم الجلياني[٣]. وقد اخترت منها ما يتحدث فيه الشاعر عن بيت المقدس.

وتبدو أهمية هذا المصدر من روايته عمن كانوا يعاصرون الشاعر الجلياني، وكانوا وثيقي الصلة به، وأخص بالذكر ابنه عبدالمؤمن.

---

(١) انظر: وفيات الأعيان ٥/١٤٧ ـ ١٥٣، الوافي بالوفيات ١/١٣٢ ـ ١٤٠، معجم الأدباء ١٩/١١ ـ ٢٨، البرق الشامي ٣، ٥/مواضع متفرقة، سنا البرق الشامي/ مواضع متفرقة، خريدة القصر/ مواضع متفرقة، مرآة الزمان ٨/٥٠٤ ـ ٥٠٨، مفرج الكروب ١/١٦٦ ـ ١٦٧، طبقات الشافعية الكبرى ٦/١٧٨ ـ ١٨٣.

(٢) انظر مقدمات القصائد ذوات الأرقام: (٢، ٨، ٩).

(٣) انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ ٦٣٠.

تأريخ القصائد:

القصيدة الأولى، قالها في سنة ٥٦٤ هـ، وهي مما وصف به تصرفات أمر صلاح الدين «من لدن ولي الديار المصرية، في سنة ٥٦٤ هـ»، كما يقول الجلياني نفسه. وهي السنة التي أنشأ فيها القصيدة اللامية[١].

وتجدر الإشارة إلى أنه لم يصل إلينا من هذه القصيدة سوى شطر من بيت واحد[٢].

وقد ذُكر أن هذه القصيدة هي أول ديوان المبشرات والقدسيات[٣]. كما تقدم.

القصيدة الثانية، قالها في سنة ٥٦٥ هـ يمدح السلطان صلاح الدين، يقول: «لم أزل من أول ما ولي الملك الناصر الأمر في مصر أعلم أنه مؤيد بعناية من الله سبحانه، فامتدحته في سنة ٥٦٥ هـ، بقصيدة تنيف على مائة بيت»، ذكر أربعة منها في التباشير[٤].

القصيدة الثالثة، وهي إحدى القصائد المبشرات، قالها يمدح السلطان صلاح الدين، عند قفوله من غزاة غزة، في شهر ربيع الآخر سنة ٥٦٦ هـ[٥]. ويذكر أبوشامة المقدسي هذه القصيدة، إلى جانب القصائد المبشرات، ويذكر أن الشاعر الجلياني قد أنشأها في سنة ٥٦٧ هـ[٦].

القصيدة الرابعة، قالها يمدح السلطان صلاح الدين في سنة ٥٦٨ هـ، وهي قصيدة من القصائد المبشرات، وتزيد على مائة بيت، ولم يصل إلينا منها سوى ثلاثة أبيات[٧].

(١، ٢) انظر: ديوان التدبيج.

(٣) انظر: المصدر نفسه.

(٤) انظر: الروضتين ٢/١١٥.

(٥) انظر: ديوان التدبيج: س/٤٥، ظ/١٦.

(٦) انظر: ديوان التدبيج س/٤٥، م/٤٦، ٤٧، الروضتين ٢/١١٥.

(٧) انظر: الروضتين ٢/١١٦.

القصيدة الخامسة، قالها سنة ٥٦٩ هـ. يقول الشاعر الجلياني: «كنت أرى في المنام ليلة الخميس لتسع خلون من ربيع الأول سنة تسع وستين وخمسمائة»، وهي السنة التي أنشأ فيها شذرات «ديوان التدبيج» كما يقول[(١)].

إن الأبيات التي وردت في هذه المقطوعة، وردت في الشذرة الثانية عشرة من شذرات الجلياني التي أنشأها في سنة ٥٦٩ هـ[(٢)].

وتمثل الشذرة الثانية عشرة هذه «رسالة اكتتبها راجح بن حسان، في «بهجة الشام وأوصافه الحسان». وفيها يتحدث عن بعض محجوجات الشام، ومنها المسجد الأقصى، وهو البيت الذي «كُرِّم منه المشهد والمسلك، وعُظِّم فيه المشعر والمنسك»، كما يقول الجلياني[(٣)].

القصيدة السادسة، أنشأها وبعث بها إلى السلطان صلاح الدين، في غرة سنة ٥٨٢ هـ، وكان على حمص، وهنأه فيها بالعافية[(٤)].

القصيدة السابعة، أنشأها في السنة ذاتها، أي في سنة ٥٨٢ هـ، يقول: «وأنشأت قصيدة أخرى، في سنة ٥٨٢ هـ، وحضرت بها بين يديه»، أي بين يدي السلطان صلاح الدين[(٥)].

وأنشأ الشاعر الجلياني عدداً من القصائد القدسيات، في سنة ٥٨٣ هـ، وهي سنة الفتح القدسي، فقد أمكن الوصول إلى أربع من تلك القصائد القدسيات التي قالها في السنة المذكورة. وهي القصائد الثامنة، والتاسعة، والعاشرة، والحادية عشرة، قال أولاها عند فتح القدس. يقول أبوشامة المقدسي: «كثر مدح الفضلاء للسلطان عند فتح القدس. وقد ذكر العماد شيئاً من ذلك جملة في أواخر كتاب البرق[(٦)]، فرأيت تقديم ما اخترته منها

(١) ديوان التدبيج: س/٣٩ ـ ٤٠.

(٢، ٣): انظر: المصدر نفسه: س/ ٨١ ـ ٨٧، ظ/٧٧ ـ ٧٨.

(٤) الروضتين ٢/١١٦.

(٥) المصدر نفسه ٢/١١٦.

(٦) وهو كتاب البرق الشامي للعماد الأصفهاني. ويقع في سبعة أجزاء، ولكن معظمها ضاع، ولم يصل

هنا، وزدت عليه ما لم يذكره، فمن ذلك» قصيدة للجلياني قالها آنذاك[1].

وأنشأ القدسية الثانية، وسماها القصيدة الفتحية الناصرية[2]، نسبة إلى الفتح القدسي من ناحية، ونسبة إلى السلطان صلاح الدين من ناحية أخرى.

وأنشأ القدسية الثالثة، وهي القدسية الكبرى، وعددها مائة واثنان وخمسون بيتاً[3]، ولكنه لم يصل إلينا، في المصادر التي أمكن الاطلاع عليها، سوى خمسة وعشرين بيتاً، كما تقدم.

وأنشأ القدسية الرابعة، وفيها يهنىء، بالفتح القدسي العظيم، كما يروي ابن الشعّار الموصلي، عن شيخه أبي الخير بن أبي المعمر التبريزي، وكان الجلياني قد أنشأ قصيدته أمام التبريزي[4].

القصيدة الثانية عشرة، قالها مصوراً الدعوة إلى الحرب الصلّيبية الثالثة، التي حاول الصليبيون فيها استرداد بيت المقدس[5]. ويتحدث أبوشامة المقدسي، في حوادث سنة ٥٨٥ هـ، عن خروج الصليبيين، في الحملة الصليبية الثالثة، وقد روى جزءاً من قصيدة الجلياني هذه[6].

القصيدة الثالثة عشرة، قالها يمدح السلطان صلاح الدين، وقد وجهها إليه من مدينة دمشق، إلى مخيمه المنصور بظاهر عكا. وذُكر أنها «عُرِضت عليه في شهر صفر سنة ٥٨٧ هـ»، وتسمى هذه القصيدة «التحفة الجوهرية».

= إلينا، ووصل إلينا جزءان فقط، وهما الجزء الثالث، والجزء الخامس، وواضح أن الجزء السابع منها لم يصل إلينا. ويبدو أنه الجزء الذي ذكر فيه العماد الأشعار القدسيات.

(انظر: وفيات الأعيان ٥/١٥٠).

(١) كتاب الروضتين ٢/١٠٣.

(٢) انظر: المصدر نفسه ٢/١١٦ ـ ١١٧.

(٣) انظر: الروضتين ٢/١١٧ ـ ١١٨.

(٤) انظر عقود الجمان ٤/٦٥.

(٥) انظر: النوادر السلطانية/١١٥، الفتح القدسي/ ٣٣٠ ـ ٣٣١، مفرج الكروب ٢/٣١٧ ـ ٣٣٠، الكامل ٢/٤٨.

(٦) انظر: الروضتين ٢/١٥١.

يقول ابن أبي أُصيبعة راوياً عن ولد الجلياني عبدالمؤمن: «ومن شعر حكيم الزمان عبدالمنعم الجلياني، مما نقلته من خطه، وهو أيضاً مما سمعته من أبي...»، ومنه القصيدة المذكورة(1).

القصائد الرابعة عشرة، والخامسة عشرة، والسادسة عشرة، والسابعة عشرة، وهي القصائد التي تتضمنها المدبجة القدسية المسماة «رهان الأذهان في مدى ذكر الملك الناصر على مر الأزمان». وقد أنشأها الجلياني في غرة سنة ٥٨٩ هـ، يقول: «... المدبجة القدسية التي أنشأتها، بإذن الله تعالى، في غرة سنة تسع وثمانين وخمسمائة، وسميتها «مدبجة رهان الأذهان في مدى ذكر الملك الناصر على مر الزمان»(2).

وتتضمن هذه المدبجة القدسية عدداً من القصائد، وهي:

- الرائية: وتقع في ستين بيتاً(3).
- الميمية: وتقع في ستة وثلاثين بيتاً(4).
- الحائية: وتقع في ثمانية أبيات(5).
- الجيمية: وتقع في ثمانية أبيات أيضاً(6).

ورد في ديوان التدبيج (مخطوطة المكتبة الأهلية بباريس) أنه قد أنشأها في غرة سنة ٥٨٧ هـ(7).

يذكر الجلياني نفسه أنه حضر عند السلطان صلاح الدين «في مدينة بيت المقدس، في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة»، وأن صلاح الدين «طلب

---

(1) انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ ٦٣٠ - ٦٣٣.
(2) انظر: ديوان التدبيج: م/٢ - ١٥، س/٢ - ١٤، ب/٢ - ١٣، ظ/١٤٤ - ١٥١.
(3) انظر: المصدر نفسه: م/١٢ - ١٤، س/١١ - ١٣، ب/١٠ - ١١، ظ/١٤٤ - ١٤٥.
(4) انظر: المصدر نفسه: م/١٤ - ١٥، س/١٣ - ١٤، ب/١١ - ١٢، ظ/١٤٥ - ١٤٧.
(5) انظر: المصدر نفسه: م/١٥، س/١٤، ب/١٢، ظ/١٤٩ - ١٥١.
(6) انظر: المصدر نفسه: م/١٥، س/١٤، ب/١٢ - ١٣، ظ/١٥١.
(7) ق ٣.

منه أن ينشىء له تدبيجاً». ويضيف الجلياني: «وكان الفصل مستقبل قيظ، فخفت من حدة الفكر فيه على مزاجي، فلما شتا الزمان، أنشأت هذه المدبجة القدسية السعيدة بحول الله وقوته»(١).

وهذه الروايات، تدعو إلى التساؤل حول التاريخ الذي أنشئت فيه هذه المدبجة القدسية، فهل كان ذلك في سنة ٥٨٧ هـ، أم في سنة ٥٨٨ هـ، أم في سنة ٥٨٩ هـ؟

تذكر المصادر التاريخية أن السلطان صلاح الدين قد وصل إلى بيت المقدس، في الرابع من شهر رمضان، من سنة ٥٨٨ هـ، وصام رمضان هناك، ورحل منه يوم الخميس في الخامس، وقيل في السادس، من شهر شوال، من السنة ذاتها(٢). وكان قد دخل بيت المقدس «لترتيب قاعدته في ولايته وعمارته» كما يقول أبوشامة المقدسي(٣). وقد «اشتغل بتشييد أسواره وتحصينها، وتعمير خنادقه» كما يقول ابن واصل الحموي(٤).

ومن هذا يتضح أن الجلياني قدم إلى مدينة بيت المقدس، وفيها السلطان صلاح الدين، في تلك الفترة التي أقامها هناك، أي بين الرابع من شهر رمضان، والخامس أو السادس من شهر شوال، من السنة المذكورة.

ويبين حديث الجلياني، في هذا المجال، أن الفصل كان صيفاً شديد الحرارة، مما دعاه إلى تأخير إنشاء المدبجة القدسية، إلى أن قدم فصل الشتاء. ويبين حديثه هذا أن شهر رمضان، وشهر شوال، كانا قد قدما في فصل الصيف. وإذا قدرنا المدة التي اقتضت ذهاب الحرارة الشديدة، بثلاثة أشهر، فإن الشتاء يكون قد قدم في أواخر سنة ٥٨٨ هـ، أو أوائل سنة ٥٨٩ هـ.

---

(١) ديوان التدبيج (مخطوطة أبسالا)/٤.

(٢) انظر: النوادر السلطانية/ ٢٣٧ - ٢٣٩، مفرج الكروب ٢/٤٠٧ - ٤٠٨، الكامل ١٢/٨٧، النجوم الزاهرة ٦/٤٩، الروضتين ٢/٢٠٧، ٢٠٨.

(٣) الروضتين ٢/٢٠٧، ٢٠٨.

(٤) مفرج الكروب ٢/٤٠٧.

ومن هذا يتبين أن الجلياني قد أنشأ مدبجته القدسية، هذه، في أواخر سنة ٥٨٨ هـ، أو في أوائل سنة ٥٨٩ هـ. وأرجح أنه قد أنشأها في أوائل سنة ٥٨٩ هـ، كما ورد في مخطوطة ديوانه التدبيج ـ نسخة «أُبسالا».

وأما ما ورد في مخطوطة ديوانه هذا، نسخة المكتبة الأهلية بباريس، حيث حدد تاريخ إنشاء المدبجة بسنة ٥٨٧ هـ، كما تقدم، فمن المرجح أنه من قبيل التصحيف بين تسع وسبع، في سنتي ٥٨٩ هـ، و٥٨٧ هـ.

القصيدتان الثامنة عشرة، والتاسعة عشرة، وهما القصيدتان اللتان تتضمنهما «المدبجة العزيزية» للشاعر الجلياني، وقد سماها «بهر الأحلام بسحر الكلام»، ويمدح فيها الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين. وقد أنشأها في سنة ٥٩٠ هـ. يقول الجلياني، في أول مدبجته هذه: «هذا صدر أنشأته ليكون توطئة للمدبجة العزيزية التي تلقب «بهر الأحلام بسحر الكلام»، أنشأتها في سنة ٥٩٠»[١]. وتتضمن هذه المدبجة القصيدتين: النونية، وتقع في اثنين وستين بيتاً[٢]. والميمية، وتقع في تسعة وثلاثين بيتاً[٣].

القصائد العشرون، والحادية والعشرون، والثانية والعشرون، أنشأها في سنة ٦٠٢ هـ، وتتضمنهما المدبجة المسماة «المدبجة ذات الأنهار الأربعة، في الملك الظاهر بن صلاح الدين»[٤]. والقصائد هي:

- العينية، وتقع في أربعين بيتاً في مخطوطة مانشستر، ومخطوطة المكتبة الأهلية بباريس، ومخطوطة جامعة أبسالا بالسويد، وأربعة وثلاثين بيتاً في مخطوطة الظاهرية[٥].

---

(١) انظر: ديوان التدبيج: م/٢١، س/٢١، ظ/١٠٦، ١٠٧، Islamica /٥٦٣ ـ ٥٧٢.

(٢) انظر: ديوان التدبيج: م/٢١ ـ ٢٣، س/٢١ب ـ ٢٣، ظ/١٠٧ ـ ١١٠، Islamica / ٥٦٨ ـ ٥٧٠.

(٣) انظر: ديوان التدبيج: م/٢٨، ٢٩، س/٢٨، ٢٩، ظ/١١٣، Islamica / ٥٧١، ٥٧٢.

(٤) انظر: ديوان التدبيج: م/٩٢ ـ ١٠٢، س/٨٧ ـ ٩٨، ب/٤٧ ـ ٤٨، ظ/١٦١ ـ ١٦٢.

(٥) انظر: المصدر نفسه: م/١٠٠ ـ ١٠١، س/٩٤ ـ ٩٥، ب/٤٧ ـ ٤٨، ظ/١٦١ ـ ١٦٣.

ـ الرائية، وتقع في واحد وستين بيتاً في مخطوطة أبسالا، ومخطوطة الظاهرية، وفي ثلاثة وعشرين بيتاً في مخطوطة المكتبة الأهلية بباريس، وفي واحد وثلاثين بيتاً في مخطوطة مانشستر[1].

ـ اللامية، وتقع في أربعة عشر بيتاً[2].

القصيدة الأولى من الملحق بالمبشرات والقدسيات التي أمكن جمعها وتحقيقها في هذا المجموع الشعري، قالها حكيم الزمان أبوالفضل عبدالمنعم بن عمر بن حسان الغساني الجلياني الأندلسي، في سنة **٥٦٢** هـ، كما يذكر الشاعر نفسه في أحد دواوينه الشعرية. وهي مناجاة كما يصفها الشاعر الجلياني[3].

القصيدة الثانية من الملحق بالمبشرات والقدسيات، قالها في سنة **٥٩٦** هـ، وهي نفحة عُلْوية كما يصفها، ويذكر فيها بيت المقدس، وسلوان[4].

القصيدة الثالثة من الملحق بالمبشرات والقدسيات، قالها في سنة **٥٩٧** هـ، وهي مناجاة يتحدث فيها عن القدس[5].

---

(١) انظر: ديوان التدبيج م/١٠١ ـ ١٠٢، س/٩٥، ب/٤٨ ـ ٤٩، ظ/١٦٣ ـ ١٦٦.

(٢) انظر: المصدر نفسه: م/١٠٣، س/٩٨، ظ/١٦٧، ١٦٨.

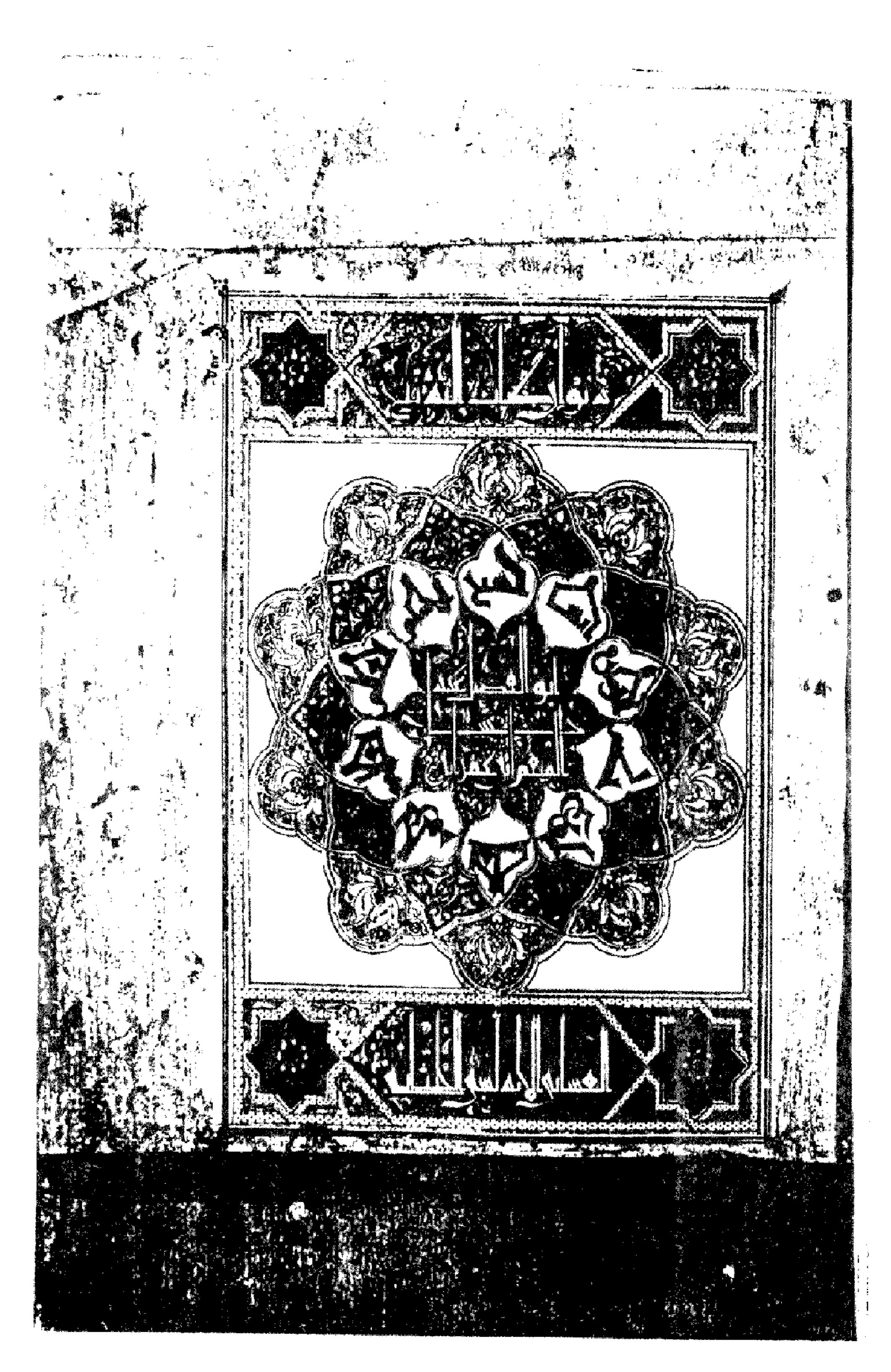
(٣) انظر: ديوان الحكم/ ٨٤، ٨٥.

(٤) انظر: المصدر نفسه/ ٤٧٣.

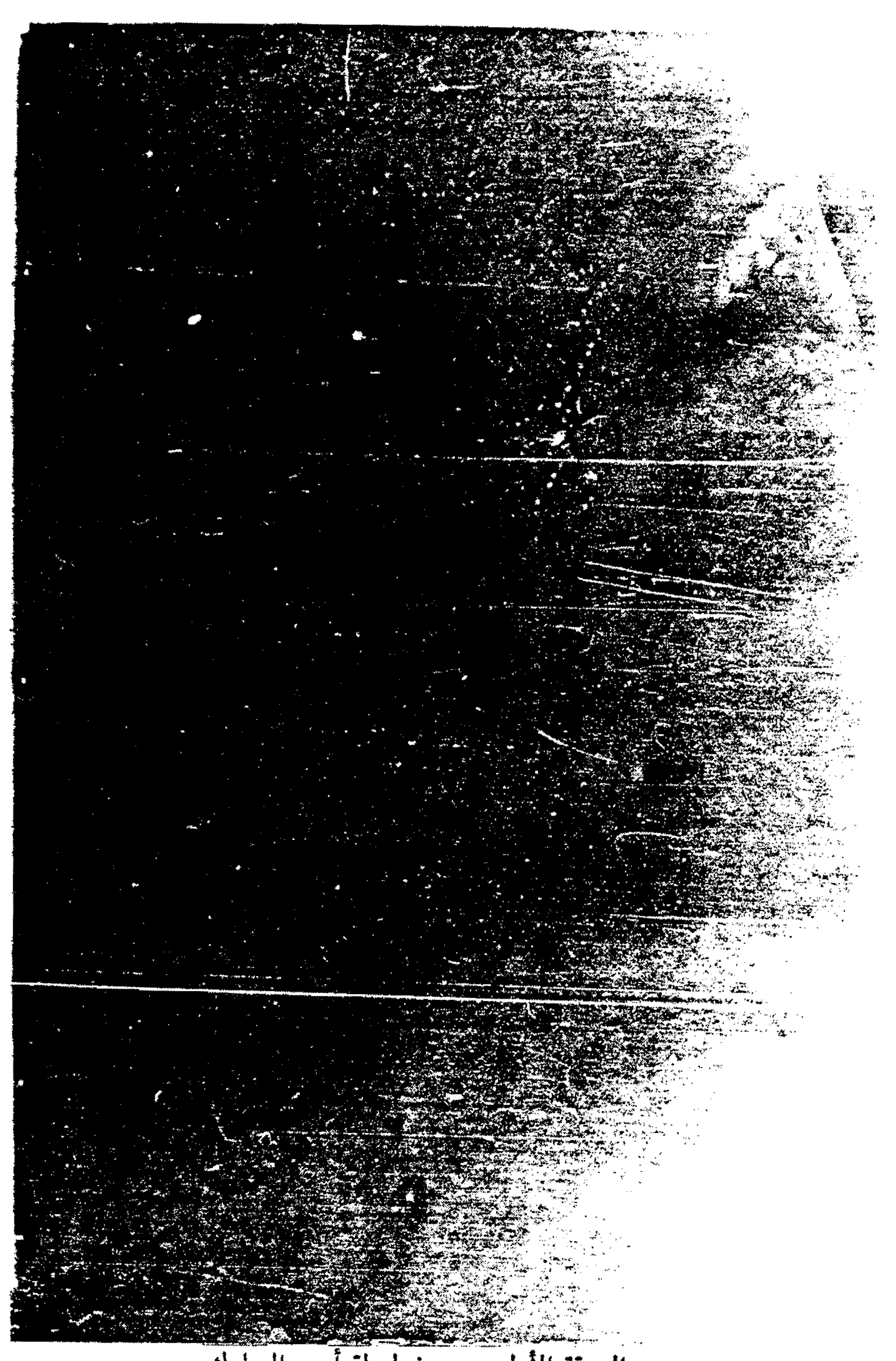
(٥) انظر: المصدر نفسه/ ٥١٧، ٥١٨.

القسم الثاني

التحقيق



ديوان التدبيج ـ نسخة أبسالا



الورقة الأولى من مخطوطة أدب السلوك

A work on ascetics by 'Abd al-Mon'im Ghassaniy. Andalosy

889. 90. a. ادب السلوك Asceticism by 'Abd al-Mon'im Ghassaniy Jolyainy. — m. 220 pp., with all the vowels. — Another copy, transcribed in 1094.

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واكرم
قال العبد المنعم ابن عمر ابن حسان الغساني الاندلسي رحمه الله
[illegible] الحمد لله الذي اطلع الانسان على [illegible] من الاحوال
واطلق اللسان بجواهر من الاقوال لتجري صورها في احسن [illegible]
وتسري آثارها في ابين الامثال انطق بها رجالا افرادا في
الاحوال ذوي قوى سلمت من الاخلال والاعتلال
فهم التاج في الظلم والمفاتيح للحكم اذ لا
[illegible] الى ذي الجلال بصدق الحال وصلى الله على
محمد عبده ورسوله متمم الكمال النبي في الخلق والاعمال
اما بعد فاني اجمع لكم معشر السالكين في
سبل الخير ما حضر عندي الآن مما انطقني به ربي
من الحكمة كلاما مطلقا في ادب السلوك [illegible]
[illegible] ما قلته من الكلام المنظوم
[illegible] فتجمعه في كتاب ديوان الحكم وميدان الكلم
وفيه [illegible] لما جرى من الكلام الحكمي

الورقة الثانية من مخطوطة أدب السلوك

نظماً ومطلقاً . دواوين . ديوان الحكم وهو
الكلم منظوماً على الإشارة إلى كل غامض للدلائل من العلم
وإلى كل صادق في النسك من العمل وإلى كل واضح المسالك من
الفضيلة . كتاب أدب السلوك وهو كلام مطلق يشتمل
على مشارع كلمات الحكمة المصرّحات . كتاب تحرير العلوم
كلام مطلق على معالم كلمات حكمية
في البسائط والمركبات والقوى والحركات وما اتصل بذلك
من المدركات . ديوان المثنيات والقدسيات وهو
نظم وتدبيج وكلام مطلق مزدوج يشتمل على وصف
الحروب والفتوح الجارية على يد صلاح الدين الملك
الظاهر يوسف ابن أيوب من فتح مدينة البيت المقدس ولدى [illegible]
في [illegible] ... رضي الله [illegible]
ديوان [illegible] ... [illegible]
ديوان المدائح ... على [illegible]
المجرد النظم . ديوان الغزل والنسيب [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
قال الشيخ الفقيه الامام حكيم الزمان ابو الفضل عبد المنعم بن عمر بن
عبد الله بن حسان الغساني الاندلسي الجلياني رحمه الله اقدس بقلبه الحمد لله
مجلي الحكم في افاق البيان ومطالعه، ومجلي الكلم باشراق البرهان من جوامعه،
ومسيم الخواطر في مواقع الاعتبار ومراتعه، ومقيم البصائر في شوارع الاستنباط
ومشارعه، كشف للناظرين لما سلكوا اللباب من اسرار بدائعه، وصرف القاصرين
عما ادركوا الاسباب من اثار صنائعه، فالعارف مقر بان لا اطلاع له الا بما اتاه،
والخائف مصر على ان لا امتناع منه بل من مانعه، ابدا لا اسعد من في الوفود اليه
بمشوقاته وسواطعه، ولقد المبعدين عن الورود عليه بعوائقه وقواطعه،
فنعوذ بعزته من مجاوزة مكره ومصارعه، ونلوذ بخيفته من مواقف قهره
ومواقعه، ونستشفع برسول به استبان الكتاب بغير تحريفه عن مواضعه،
وبان الارتياب بتعريفه لشرائعه، النبي العربي محمد صلى الله عليه وعلى آله
واصحابه ما بزغ شموس نور بالمصر للوامعه، واقرع سحاب فاض بهوامعه، اما
بعد فانه لما كانت الفطر الناطقة مجبولة على ايثار الحقائق واثارة الدقائق
ولم يكن ينبوعها موفيا من انول وصله، ولا وردها مرويا لبادر نهله، والعلم
كامن فيها كمون الحر المستحق في الفلفل والصوت المستحق في البلبل وجب
ان تتوشاهم في رياض المعارف والاداب، نتعلق من فنونها بالافنان والاهداب
لتصدع بصغيرها المستنبط، وتصدح على دوحات الفطن، ولما منح الانسان
العقل مميزا واضحى به مبرزا متميزا، يطالع اغوار المعاني من قاصيها وينقلها
الى ذهنه فيحصيها، اعطي العبارة الة ودليلا ودلالة وعنوانا، لكنها ذات الفاظ
مقصورة على معان غير محصورة، فاشتركت الدلالات واشتبكت المدلولات
الهالة بلجين قوانين الفصاحة والبلاغة، وصيغ الاعراب المحكم الصياغة، واجمع
فيها اربابها، والمجتبي لهم لبابها، على انه كلما حصرت المعاني في قوالب اللفظ،

الورقة الرابعة من أدب السلوك كما في نسخة أحمد الثالث وهو ديوان الحكم

وابرزت مداركها للتصور والحفظ، كان اقرب لمقاصدها، واعذب لمواردها، ولما (أي متطلع)
كانت النفس متطلعة الى ما يجلى عليها، ظامية لما يجلب اليها، وكانت خباة لما استودع
معدنها، ضنينة بكشف اثر فواعها تضمنها، حتى اذا ناولتها سرايا الاقوال
وقابلتها مزايا الامثال، سمحت بما به ضنت وابدت ما كانت اجنت تاكد
اذ ذاك نقل المختار عن الكلم المحكمة، وبثها في النفوس القابلة المستعلمة
ولزم اولوا العمران يقتدوا باسنها، ويأخذوا باحسنها، فتجذب قوامهم
بوشنها، وتوقظ نيامهم من وسنها، ولما كان الانسان مسؤولا عما حمل معدولا (أي الدنية)
على ما اهمل، وكانت النصيحة والنفع لخلق الله من القرب لمزلفه، والوسائل
المحكمة، وكان الناس يقبلون على معارف المعاصرين، ويقبلون منها ما لا
يقبل من اثار الداثرين، اذ كانت مشافهة واضع الموضوع جنى من شجرة
او شربا من ينبوع، فالنفوس لتاثيرها اكبر انفعالا، والخواطر بتنويرها
اكثر اشتعالا، تعين ان اجمع ما حضر مما قلته من الكلام الحكمي الالهي نظما
مما يستبصر به المفكر اللبيب، ويستيقظ له المذكر النجيب، ولتكن اسمه
ديوان الحكم، وميدان الكلم، فانه يجول في فنون مسالك، ويشير الى عبر ت
مدارك، مما يجلى بسناه مطلوب، او تهتدي بهداه قلوب، تتذكر
بتمثيله الفكره، وتزكوا بتعديله الفطره، وقد جعلته لما قلته من الكلام
الحكمي مطلقا ديوانا اخر معقودا، وبالله التوفيق فيما نفعل او نقول
وهو حسبنا ونعم الوكيل   قال رحمه الله

ان كنت تسعى للمعالي فاصدق • واخلع ثيابك فارمها او خرق
واقطع علائقك البعيدة والدنا • لا تبق حولك علقة لتعلق
واخرج مجدا مفردا متجردا • واستن في مجرى السوابق تسبق
فالامر سوء ليس فيه عائق • الا التثبط فاجتنبه تلحق
لولا الهوى نال السنا جماعة • لكنهم منه بقيد موثق

الورقة الخامسة من نسخة مانشستر من ديوان التدبيج

[illegible] المذكورة [illegible] الآيات [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الله [illegible]

الوكيل ۝ [illegible] الله [illegible]

ليتبين ذلك إن شاء الله تعالى ۝

وهذه صورة [illegible] زمان الأزمان

[illegible] الملك الناصر [illegible]

رضي الله عنه ورحمه [illegible] وكرمه

وهذه صورة [illegible] زمان [illegible]

[illegible]

وكان صاحب رياضة وعلم ومعرفة قوية بالطب والادب
والعروض والنحو وله تصانيف في علم الرياضيات والشرح
وكان شاعرا مطيلا متوسعا في الشعر متمكنا من القول
طلق اللسان واحد الاذان ثم سكن باخرة في دمشق
في ايام الملك الناصر صلاح الدين المظفر يوسف بن
ايوب بن شاذي رضي الله عنه وتوفي بها في صفر سنة
احدى وثمانية انشدنا شيخنا ابو الخير بن ابي المعمر
التبريزي المحدث انشدني الحكيم ابو الفضل عبد
المنعم بن عمر بن حسان الغساني رحمه الله لنفسه يمدح
الملك الناصر صلاح الدين ويهنيه بفتح بيت المقدس وكان
فتحه في ليلة الجمعة السابع والعشرين من رجب سنة
ثلاث وثمانين وخمسمائة حرسه الله تعالى وحماه
بمنه ولطفه

لقد اوضح الله الفتوح جعلنا وحسنتها للصعب المباشرا
امور بشمها العقول اذ دعت بالخنصر احفظ الله موحدا

تحرّك نحوها حرك الارض جايلًا وهزّ من الشرف البذخ [illegible]

ولقبته بالناصر الملك يوسف ونقبته نور الهداية مسندا

والهمه حسن الشمايل محتلا وفهمها سنى الفضايل محتدا

يزيد على عظم المرام تواضعًا ويبقوا على بعد المقام توددا

أنسته وعود الخنا فتبين فعا[illegible] حلي ما الذ قد اسلف امس [illegible]

يتوقع أثنا النهار شباته ويقطع آمال الدجى متهجدا

ويرعى احوال العباد بحافظ ويفتق اموال الخزاين مسعدا

احاط بملك الارض جمعا وقومه وحاط اطراف الحلوم [illegible] وزيد

فونا ان تفصل من قضايا منزعا واصعا لكل من عطايا [illegible]

وانعم فينا من الحلال [illegible] درهما للناس [illegible]

سنقا حسام واستروا [illegible] السعد الالهي [illegible]

فنهض حسبا ويعطى [illegible]

رايته [illegible] مثلها [illegible]

فهذه ساحتها [illegible]

لقد [illegible]

(١)

(من البسيط)

قال الحكيم أبوالفضل عبدالمنعم بن عمر بن حسان الغساني الأندلسي الجلياني: هذا صدر أنشأته ليكون توطئة[1] للمدبجة القدسية التي أنشأتها، بإذن الله تعالى، في غرة سنة تسع وثمانين وخمسمائة. . .، أنه لما كان الملك الناصر أبوالمظفر يوسف بن أيوب، نشر الله في الخافقين رايته، وجعل أقصى أمد السعادة غايته، أعظم الملوك قدرا، واشرحهم بالفهم والمعرفة صدرا، خَصَّه الله بأنواع المعجزات في زمانه تخليداً لذكره، وتنويها بشأنه، وقد أظهر الله تعالى على لساني في وصفه من بدائع[2] المقول، ما يَبهتُ أصحاب الدَّعاوى، ويَبهرُ أرباب العقول، في فنون الكلام، على أبلغ الإحكام، مما وصفتُ به تصرفات أمره من لَدُن وَلِي الديار المصرية، في سنة أربع وستين وخمسمائة، التي أنشأت فيها القصيدة اللامية السياسية التي أولها:

لا تَسأل الدارَ عن ظَعْنٍ قد احتملوا

وهي أول ديوان المبشرات والقدسيات[3].

★ التخريج: صدر البيت الأول في: ديوان التدبيج: م/٣، س/ ٤.

★ ★ ★

(١) في الأصل: توطية.

(٢) في الأصل: بدايع.

(٣) انظر: ديوان التدبيج: م/٣، س/٤.

ويشار إلى ما تقدم حول هذه القصيدة. وهو أنه لم يصل إلينا منها سوى هذا الشطر، فيما امكن الاطلاع عليه من المصادر.

(٢)

(من البسيط)

قال العماد الأصفهاني: وللحكيم أبي الفضل (عبدالمنعم الجلياني) «قصائد قدسيات طِوال، كثيرة الفوائد»[١].

وقال أبوشامة المقدسي: «قد وقفت على بعضها. وتقدم قبل ذلك أن قال»، أي عبدالمنعم الجلياني: «لم أزل من أول ما ولي الملك الناصر الأمر، في مصر، أعلم أنه مؤيد بعناية من الله، سبحانه، فامتدحته، في سنة خمس وستين (وخمسمائة)، بقصيدة تنيف على مائة بيت، يقول فيها[٢]:

١ . في مَشْـرِقِ المجـدِ نجمُ الـدِّين مَطلعـهُ
وكـلٌّ أبـنـائـه شهـب، فلا أفـلوا

٢ . جاءوا كيعقـوب والأسبـاط إذ وَردوا — على العـزيز من ارض الشـام واشتملوا

٣ . لكـنَّ يُوسـفَ هذا جـاء إخـوتُـه — ولـم يكـنْ بَينـهُـمْ نَزَعٌ ولا زَلَـلُ

٤ . وملكـوا أرض مصـر في شمـاختـه — ومـثـلهـا لرجـال مثـلهـم نزلـوا

٥ . أبـو المـظَفَّـر مأوى كلِّ مضـطهـدٍ — بحـلمـه ونـداه يُضـربُ الـمَثَـلُ

★ التخريج:

الأبيات ١ ـ ٤ في: الروضتين ١/١٨٤، أوج ١ ق ٢/٤٦٦، ٤٦٧.

والأبيات ٥ ـ ١٣ في: المصدر نفسه ١/١٦٤، أوج ١ ق ٢/٤١٥.

والأبيات ١٤ ـ ١٧ في: المصدر نفسه ٢/١١٥.

★★★

(١) كتاب الروضتين ٢/١١٥.

(٢) المصدر نفسه ٢/١١٥.

وانظر: المصدر نفسه ١/١٦٤، ١٨٤، أوج ق ٢/٤١٥، ٤٦٦، ٤٦٧.

ولعله تحسن الإشارة إلى أن اباشامة المقدسي يقول عند ذكره الأبيات الأربعة الأولى: «ومن قصيدة للحكيم عبدالمنعم قد تقدم بعضها». وقد اثبت الأبيات الثمانية (٥ ـ ١٣) في حوادث سنة ٥٦٤ هـ. ثم يذكر الأبيات الأربعة الأخيرة في التباشير، كما يقول (انظر: الروضتين ١/١٦٤، ١٨٤، ٢/١١٥).

٦ . مَهـمـا يَمِـلْ جائـر أو عاثَ عَمـهُ
فعـنـد عَدْل صلاح الـدين يعـتـدلُ

٧ . أحـيا به الله مصـراً فهـي ناشـرة وافـتـكّـهـا من عدوٍ ما به قِبَـلُ
٨ . كم للفـرنـج بهـا وِرداً ومنتجعـاً ونـارهُـمْ حولَـهـا تذكـو وتـشتعـلُ
٩ . فأطفـأ النّـاصرُ المنصورُ جَذْوتَهُمْ وأدبـروا بقـلوب شَهـمُـهـا وَجِـلُ
١٠ . مَلْكٌ تقلّد سلكَ المُلْكِ منتظماً وقـال للمـال هذا منـك لي بدلُ
١١ . فَفَـرّق المـالَ جمعاً للقلوب به وحَـسْـبُـهُ فيهـمُ إدراك ما سألـوا
١٢ . إن الملوكَ الـذين امتـدَّ أمـرهمُ لم يخـزنـوا المـالَ ، بل مهما حَوَوْا بذلوا
١٣ . كذا السياسةُ ، فالأجنادُ لو علموا بخـل المليك وجـاءت شدة خذلـوا

ومنها في التباشير:

١٤ لَتـظْفـرنَّ بمـا لَمْ يَحـوه مَلكٌ أبـا الـمُـظفَّـر حقـاً حظُّهُ الأزَلُ
١٥ دلـيلُ ذلـك آراء لك اقـتـرَنَـتْ بالحـزم والعـزم لم يُخصص بهـا الأوَلُ

وفيها :

١٦ قد سادَ إسكَنْـدَر أهـلَ الـزمـان معاً في سِنّ عشـرين وامـتـدتْ له الحيَلُ
١٧ وافى الثـلاثينَ والأقـطارُ أجمعُهـا طوعـاً له ومـلوكُ الأرضِ والـمِـلَلُ

---

(١٠) عمه : ضال ، والعمه : الضلال .

(٣)

(من البسيط)

قال أبوالفضل الحكيم عبدالمنعم الجلياني يمدح السلطان الناصر صلاح الدين، عند قفوله من غزاة غزة، في شهر ربيع الآخر سنة ٥٦٦ هـ، قصيدة أنشأها «ذاكراً فتحه ومقدمه الذي تولاه النصر وتقدمه»(١). ويذكرها أبوشامة المقدسي إلى جانب القصائد المبشرات (التباشير) وقد أنشأها في سنة ٥٦٧ هـ(٢).

قال الجلياني نفسه، مقدماً للقصيدة، في ديوانه التدبيج، في الشذرة الرابعة من ديوانه ذاك:

«بسم الله الرحمن الرحيم. ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم، إذ هَمَّ قومٌ أن يَبسُطوا إليكم أيديهُم فكفَّ أيديهم عنكم،، واتقوا الله، وعلى الله فليتوكل المؤمنون»(٣)، فاكتتبها عَبيطةً غَضَّة، وَرَقَمَ بها ورقة مُبيَّضَّة، ثم قال هذه الخطبة(٤) عتيدة، فهل لديك فيه قصيدة؟ قلت (أي الجلياني): لما قفل، تقبل الله غزواته من غزة غازياً بالغزِّ غزوته المشهورة، شهر ربيع الآخر، سنة ست وستين وخمسمائة، أنشأت ذاكراً فتحه ومَقدمه الذي تلاه النصر وتقدُّمه، ورفعت إليه رفع الله قدمه»(٥) القصيدة التي يقول فيها(٦):

١ . العَزْم يَنفذُ ليس البيضُ والسُّمُرُ ... تلك العزيمة منها هذه الأثرُ
٢ . فَتْحٌ يُضَيِّقُ صَدْرَ الكُفْرِ شارِحُهُ ... صدرَ الهدى فالتقَتْ بشراه والنُّذُرُ

★ التخريج.

الأبيات في: ديوان التدبيج: م/٤٦ - ٤٧، س/٤٥ - ٤٦، ظ/١٦ - ١٧.

والأبيات: ٩ - ١١ في: الروضتين ٢/١١٦.

★ ★ ★

(١) ديوان التدبيج: م/٤٦، ٤٧، س/٤٥، ط/١٦.

(٢) كتاب الروضتين ٢/١١٥.

(٣) آية ١١ من سورة المائدة.

(٤) انظر: ديوان التدبيج: م/٤٦، س/٤٥.

(٥) المصدر نفسه: م/٤٧، س/٤٥.

(٦) المصدر نفسه: م/٤٦، س/٤٥، ظ/١٦.

٣ . كأنــه سُحُـبٌ تَرْمـي صَـواعِـقُـهــا أرضــاً ويـنــزلُ في أخـرى بهـا المَـطَـرُ
٤ . كأنَّ مِصـــرَ وصـــورَ السُّـــور باطنــه فينـــا وظـــاهـــرُهُ فيهـــم بمـــا كَفَـــروا
٥ . لولا المليك صَلاحُ الــدين مالبثْ في مصـــر أن تُعبـــد الصُّلبان والصُّورُ
٦ . فَسَـــدَّ ثُغـــرتَهـــا واشتـــدَّ مُعتمِـداً أرض العَـــدُوِّ فلم يلبث بهـــا الــظفــرُ
٧ . يُبكي الفـرنج سُرورُ المسلمين كما يطيبُ ثَوبٌ بورْدٍ وهـــو مُعـــتـــصـــرُ
٨ . جاءَتْ أكــابُــرهُم تلقَى مكــابَـرَةً فألبسَ الـصُّغْــر ذاك الكِبــرُ والكبَــرُ
٩ . واسْتـــلأمـــوا لتـرُدَّ البـأس لامَتهُم ولا يَرُدُّ مِجَـــنٌّ ما رَمَـــى الـــقَـــدَرُ
١٠ . وَجـهُ اللعين إلى الدَّارُوم مُنضغطاً ولـــلبـــواتـــر منـــه والـقـنَـــا الــدُّبُــرُ
١١ . كأنَّ «مُــرِّي» يُبـكّـى مُرَّنكبتــه عُودٌ يُقـــطِّرُ ماءً وهـــو يَســـتـعِـــرُ
١٢ . ماكان يَحْـــســـبُ أنَّ الله يَقـهــرُه من مصـــر إذهـــى أُنْـــشاه ولا ذَكَــرُ
١٣ . قدكان ذا طَمــع فيهـــا وذا طُعَـمٍ فعـــادَ يأســـاً وبـــأســـاً صَوْبُــهُ دِرَرُ
١٤ . فليسَ يَدري أيبكي شَجـو مملكةٍ فاتـتْــهُ أم خوفَ ما يخشـى ويـنـتـظِرُ
١٥ . وغَـــزةٌ غُرَّةُ الكُفــرِ الــذي وطئت جَبـــينـــهُ الـــغُـــزُّ لم يَتـرُك لهـــا أثـــرُ
١٦ . سال الحَـرمـان فيهـا مائـرينَ معاً دَمٌ وخـــمـــرٌ ولا كُفـــرٌ ولا سَكَـــرُ
١٧ . وأُضـرِمَتْ لهبـاً فيه العـدى جُثثاً كأنّـــهـــا وهـــمْ يَصـــلونـــهـــا سَقـــرُ
١٨ . فالحمـــد لله هذي نعمـــةٌ شَملتْ دينـــاً ودُنْـــيا فلا عُذرٌ ولا ذُعُـــرُ
١٩ . أبـــا المُـظفَّـرِ فاهنـأ حظٌّ مُنتخبٍ أُخـــرى الـــزمـــان لدينٍ كاد يَنـــبـتِـــرُ
٢٠ . زَهِدت فيما سَبَى الأملاكَ مُنكدراً عِلْمـــاً بمُـــلْكِ نعـــيمٍ ما به كَدَرُ
٢١ . وطبْتَ نَفْســاً عن الـدنيا وزُخـرفها وجئت تُقـــدم حيث الهـــولُ والخـــطرُ
٢٢ . فأنـــت للعُـــمَـــرين ثالـثٌ وَرَعـــاً وعَـــزمـــةٌ شبَّ منـهـــا للهـــدُى عُمُـــرُ

ويقول الجلياني: «وهي أبيات عديدة كتبها إلى آخر القصيدة».

---

(٦) في الروضتين: بها.

(٩) اللأمة: الدرع.

(١٠) في م، وَس، وَب: القنى.

(١١) مُرّي: ملك مملكة بيت المقدس اللاتينية كما كانوا يسمونها.

(١٤) مملكة: يقصد بها مملكة بيت المقدس اللاتينية.

(١٦) في م وَس: ما يرين. (١٧) في م: هذه.

(٤)

(من الطويل)

وقال أبوالفضل الحكيم عبدالمنعم الجلياني يمدح السلطان صلاح الدين، في سنة ٥٦٨ هـ، بقصيدة تنيف على مائة بيت[1]، منها في التباشير[2]:

١ . أرى الراية الصفراء يَرمي اصطفاقُها بني أصفرٍ بالرعفاتِ اللهاذمِ[1]
٢ . فتسبي فلسطيناً وتجبي جزائراً وتملكُ من يونان أرض الأساحمِ[2]
٣ . وتعنو لها الأملاك شَرقاً ومَغرباً بذا حكمتْ حُذاقُ أهل الملاحمِ

★ التخريج:

الأبيات في: الروضتين ٢/١١٦.

★ ★ ★

(١) لم يصل إلينا منها إلا ثلاثة أبيات ذكرها أبوشامة المقدسي.

(انظر: الروضتين ٢/١١٦).

وتجدر الاشارة إلى أنه لم يرد بيت منها في ديوان التدبيج (نسخة الظاهرية)، أو (نسخة المكتبة الأهلية بباريس، وهو الديوان الذي يسمى «منادح الممادح»، كما لا يوجد بيت منها في ديوان الحكم، وكلها من دواوين الجلياني.

(٢) الروضتين ٢/١١٦.

★ ★ ★

(١) اللهاذم: واحدها لَهذم، وهو القاطع من الأسنة.

(٢) الأساحم: الأسحم: الأسود.

(٥)

(من البسيط)

قال أبوالفضل الحكيم عبدالمنعم بن عمر بن عبدالله بن حسان الغساني الأندلسي الجلياني[١]: «كنتُ أرى في المنام ليلة الخميس لتسع خَلوْنَ من ربيع الأول سنة تسع وستين وخمسمائة[٢] التي فيها أنشأتُ هذا الكتابَ، وكأني في بهوٍ بين مَجالس، والملكُ الناصرُ أيَّده الله جالس، وأنا ماثِلٌ أنشرُ بين يديه لآليء[٣] ويواقيت مُؤثرةً لديه، وهو يَرنو إليها بطرْفه، ويُقلّبها بكَفّه، فهببت جذلان، وبشرْتُ الخُلان، فلما كان في الغد، إذا بالملك الناصر، أحمد الله عُقباه، قد دخل علينا بجامع ابن طولون، أكرمَ الله مَثواهُ، فصلى بالقبلة رَكعتي التحية، ثم ثنى إلى المُصحف الكوُفيّ عطف الأريحيَّة، واسْتدعى قراءة صفحٍ يليه، فَمَثُلتُ أقرؤه[٤]، وإذا فيه، «ومَن يسلم وجههُ إلى الله، وهو مُحسنٌ، فقد استمسك بالعروة الوثقى، وإلى الله عاقبة الأمور»[٥]، فرأى هجآء عاقبة بلا ألف، فجعلَ يتعجبُ كيف أُلِف، فطفقتُ أشرحُ ما وَرَدَ في خطّ الكِتاب، مما يُخالف هجاء الكُتّاب، ثم خرجت صحبته إلى الباب، فسألني [هنالك] عن الاسم والوطن، فأذكُرته بالمدبجة الباهرة للفطن. وعدت وأنا أقول: هذا تأويلُ رؤياي المبشرة بما كان من لُقياي، ثمَّ اني نمتُ في الليلة التي بعدها، فرأيتُ رُؤيا مثل الأولى لم تتعدها، فقلت وأنا في المنام: أولم تأول قبل هذا المقام، بقراءة المصحف للملك القُمقام، وإذا بهاتف يجهرُ قائلا، إنما ذلك مسطورٌ يظهر طائلاً، تُعربُه بعوامِلك، وتكتُبُه بأنامِلك، ثم أرسلت نفسي، وقد توقَّف حدسي، فبينا أنا أُفكرُ ما عبر[٧] تلك الرؤيا، إذ أُلقي في روعي دبرُ هذا الكتاب

---

(١) انظر: ديوان التدبيج: م/٤٠ ـ ٤١، س/٣٩ ـ ٤١، ظ/٤ ـ ٧.

(٢) ورد في مخطوطة (م): سنة تسع وخمسين (ق ٣٩)، وهذا تصحيف، فقد ورد فيها ثانية أنه في سنة تسع وستين وخمسمائة (ق/٤٠).

(٣) في ظ: للآل.

(٤) في س: اقراؤه.

(٥) في م، وَظ: عقبة. الآية رقم ٢٢ من سورة لقمان.

(٦) إضافة من: س وَ ظ.

(٧) في ظ: أعبر.

رأيا، ليكون، إن شاء الله، تعبير ما قصصتُ، وعبرة ما قد نَصصتُ، فحبَّرْتُه بمنّةِ الله تعالى ومعونته، محبوراً بفنونٍ من الآداب، جاذبةٍ من الحكمة[1] بالأهداب، بين نَثْر مُوصَّل، ونظم مُفصَّل، ورَسْم مُدبجة قد كان الملكُ الناصرُ، أيده الله تعالى[2] اجتلاها، ولحُظتْ بناديه السَّنى حُلاها، ونَشْرِ ديباجةٍ تُزفُّ إليه حَسْناؤها، غريضٍ غَرَضُها، جديد بناؤها، ثم خاتمةُ الكتاب وذيلُه، والوقوفُ به حيث صَفَنت خيلُه، مشتملاً على إثنتي عَشرة شَذرةً نفائس، تُعجبُ من يَقيسُ، وتُعجزُ من ينافس.

الشَذْرَةُ الأولى: في استئثار الملوك بالأذكار لما لهم فيها من الارتياح والاستئثار.

الشَذْرَةُ الثانيةُ: في مثابرة الملوك على إثبات سيرها في الصحائف، وشَياع أنبائها في الأمم والطوائف.

الشَذرَةُ الثالثةُ: في صنائع الملكِ الناصرِ للمغاربةِ وايوائِهِ، واشتمالِ فَضْلِه عليهم واحتوائِهِ.

الشَذْرَةُ الرابعة: قِصَّةُ التاجرِ في الخُطبْةِ والشعرِ، وإذاعته بهما في السُّهلة والوَعْر.

الشذرةُ الخامسةُ: رسالةٌ اكتَتَبها سَلامةُ بنُ طاهر، في لُمَعٍ من وصف المغرب الباهر.

الشَذْرةُ السادسة: تتضمنُ سؤال الرَّجُل الأندلسي وسلوكهُ في اكتتابهِ الرسالة المحبوكة.

الشَذرةُ السابعة: صورةُ المدبجة ذات الخيط الواحدِ المهداة إلى المجلس الناصري[3] من قَبلُ. وحَملِ المُغرب الأندلسي حيث امتدَّ به الحَبْلُ.

---

(١) في ظ: الحكَم

(٢) ليست في: س وَ ظ.

(٣) في ظ: الملك الناصر.

الشَّذْرةُ الثامنةُ: صدرٌ من أوصاف المدبجة الرائقة، الجامعةِ وجوهَ الإبداع وطرائقه، الجارية في سِمطين، المُسماة[1] ذات الخيطين.

الشذرةُ التاسعةُ: صورةُ ذاتِ الخيطين، وهي المدبجة العظمى[2]، التي يُتحدى بها كُلُّ من حاول نظما.

الشذرةُ العاشرةُ: في نعت محضرٍ شَهدناه سَمرّيٍ، في ليلٍ قمريٍ.

الشذرةُ الحادية عشرة: رسالةٌ اكتتبها حازمُ بن نبيه، في صفات أرض مصر النادرة عن الشبيه.

الشـذرةُ الثـانية عَشرةَ: رسالةٌ اكتتبها راجحُ بنُ حَسانٍ، في بهجة الشام وأوصافه الحِسَانِ.

ولما استُودع هذا الكتاب من رفيع المعاني، وبديع المباني، أطلقتُ اسمهُ «منادح الممادح وروضة المآثر والمفاخر، من[3] خصائص الملكِ الناصر»، ففيه جلاءٌ للعيون المبصرة، وشفاءٌ للنفوس المُستبصرة، ولمْ يُطرق سَمعنا بتصنيفٍ مثلِ هذا فيما يُثنى عليه الخناصر، كما لم يصل علمنا إلى موصوفٍ مثلِ هذا المولى الهُمامِ[4] الملكِ الناصر.

الشذرة الثانية عشرة:

«رسالةٌ اكتتبها راجحُ بنُ حَسان، في بهجة الشام وأوصافه الحسان»: قال عبدالمنعم الجلياني: «. . . أفْلحت يا راجحُ بن حَسَّان، فَسَمِ الله، واكتُبْ فأنت نعم الإنســان، لمّـا دُعِيتَ الأرض فأنت طائعة ربَّها، وبارك فيها، وقدَّر أقواتها وربّها، وألقى الرواسي لتأمن مَيْدهَا[5] وقلْبَها. جعل الشَّام لُبَّها المقوّمَ

(١) في م: المسمات.

(٢) في م وَ س وَ ظ: العظما.

(٣) في ظ: في.

(٤) «الهمام» ليست في: س.

(٥) ميدها. ماده: اضطرب، مادت الأرض.

وقَلْبَهـا، وعقْـدَهـا المنـظَّم وقُلْبَهـا، مباعِث الأنبياء، ومهاجِرَ الأولياء، وموارد الصـالحين، ومـوائـد السائحين، وَمَشْرَف الجلال، ومَشْرَع الحلالِ. وكيف يُحصى فضلُها أو يُستقصى وبعضُ محجوجاتها المسجدُ الأقصى، بيتٌ كُرِّم منه المشهدُ والمَسْلَكُ، وعُظِّم فيه المَشْعرُ والمَنْسَكُ، وحجَّ إليه المُسلم والمُشركُ، فكم قرَّبتْ فيه بنو[1] اسرائيل، وكم تُلقَّى الوحيُ من جبرائيل، ثم حفَّته جبالُ الرَّحمة والنور، التي شرَّفها الله في سالف الدُهور، فأقسم في كتابه بالطور، ونوَّه بلبنان في الزَّبور، إلى ما هنالك من التُرَبِ المختارة للحُبور، والمشاهِدِ المزدارة والقبور». نظمٌ لزومي[2]:

١. يا زائـراً جَنبـاتِ الشّـام مُعتبـرا   أحـرِمْ فأنـتَ بحـجـرٍ غيرِ محجـورِ
٢. فمـا بهـا بلدٌ لم يَغـشـهُ بَدَلٌ   أو مُرسَـلٌ بكـتـاب غيرِ مهـجـورِ
٣. مَثـوى الـنُبـوَّة والآيات مُعجـزة   والـنُّـورِ يُشـرق منـه كلُّ ديجـورِ

★ التخريج:

الأبيات في: ديوان التدبيج: م/٨٤، ٨٥، س/٨٠، ظ/٧٦، ٧٧.

★ ★ ★

(١) في ظ: بنوا.

(٢) انظر بقيتها في: ديوان التدبيج: م/٨٤ ـ ٩١، س/٨١ ـ ٨٧.

(٦)

(من الطويل)

وقال الحكيم أبو الفضل عبد المنعم الجلياني: «وبعثت إليه (صلاح الدين) في غرة[1] سنة ٥٨٢ هـ، وهو على حمص، بقصيدة هنأته فيها بالعافية»[1]، منها[2]:

١. فيا مَلكاً لم يَبق للدّين غيرُه وَهَتْ عُمُدُ الإسلام فاشدُد لها دَعْما

٢. فشُؤمُ فريق الشِّرْكِ في الشام طائر فَقُصَّ جناحَيْه بأقصى القوى قَصْمَا

٣. خُصصت بتمكين فَعُمَّ العِدا رَدىً فإنهم يأجوج أفرغ بهم رَدْمَا

٤. إذا صفرت من آل الاصفر ساحة الـ ـمقدّس ضاهت فتح أم القُرَى قدما

٥. فذا المسجد الأقصى وهمتك العُلى وعَزْمتُك القُصوى ورَميتُك الصما

٦. فما هو إلا أن تهمَّ وقد أتتْ فتوحٌ كما فاض الخضمُّ الذي طمَّا

٧. وإن أنت لم ترد الفرنج بوقعةٍ فَمن ذا الذي يقوى لبُنيانها هَدما؟

٨. وما كلُّ حينٍ تُمكن المرءَ فُرصةٌ ولا كلُّ حالٍ أمكنتْ تَقتضي غنْما

٩. وليس كفتحِ القُدس مُنية قادرٍ وما أنْ تلقّاها سوى يوسف جَزما

★ التخريج:

الأبيات في: الروضتين ٢/١١٦.

★★★

(١) الروضتين ٢/١١٦.

(٢) هذه الأبيات جزء من القصيدة كما هو واضح، ولم أعثر على بقيتها في المصادر التي أمكن الرجوع إليها، ومنها: ديوانا الجلياني: ديوان التدبيج، وديوان الحكم وميدان الكلم، ومن المرجح أنها من ديوان المبشرات والقدسيات الذي لم أعثر عليه حتى الآن.

★★★

(١) في الروضتين: غزة.

(٣) ينظر إلى قوله تعالى: ﴿قالوا ياذا القرنين، إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض، فهل نجعلُ لك خَرْجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سدا. قال ما مَكَّنّي فيه ربّي خيرٌ فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما﴾. (الآيات ٩٤ و ٩٥ من سورة الكهف).

(٧)

(من البسيط)

وقال الحكيم أبوالفضل عبدالمنعم الجلياني : «وأنشأت قصيدة أُخرى في سنة ٥٨٢ هـ، وحضرت بها بين يديه (صلاح الدين)(١)، منها(٢) :

١ . الله أكبر أرضُ القدس قد صفرْت ... من آل الاصفر إذ حين به حانوا
٢ . أسباط يوسف من مصر أتوْا ولهم ... من غير تيه بها سَلوى وأمنانُ
٣ . لهم فلسطين ان يخرج عداتهم ... عنها وإلا عدتْ بيضٌ وخرصانُ
٤ . حتى بنيت رتاجَ القُدس منفرجاً ... ويصعد الصخرة الغراء عثمانُ
٥ . واستقبل النّاصرُ المحراب يعبد مَنْ ... قد تمَّ من وعده فتحٌ وإمكانُ
٦ . وجاز بعض بنيه البحر تجفل من ... غاراته الروم والصقلاب واللاّنُ
٧ . حتى يوحد أهل الشرك قاطبة ... ويرهب القول بالثالوث رهبان
٨ . ولابن أيوب في الافرنج ملحمة ... دَلَّتْ عليها أساطير وحسبان
٩ . ومَنْ أحقُّ بملك الأرض من ملك ... كأنه ملك في الخلق حَنان

★ التخريج :

الأبيات في : الروضتين ٢/١١٦.

★ ★ ★

(١) الروضتين ٢/١١٦.

(٢) هذه الأبيات جزء من القصيدة، ولم أعثر على بقيتها في المصادر التي أمكن الرجوع إليها، ومنها ديوانا الشاعر نفسه : ديوان التدبيج، وديوان الحكم، ولعلها من ديوان المبشرات والقدسيات الذي لم أعثر عليه حتى الآن.

★ ★

(٤) الرتاج : الباب المغلق، وعليه باب صغير.

عثمان : العزيز عثمان بن صلاح الدين.

(٦) الصقلاب : القصالبة : جيل تتاخم بلادهم بلاد الخزر.

اللاّن : أمة وبلاد واسعة في طرف أرمينية وهم نصارى تجلب منهم عبيد أجلاد.

(انظر: معجم البلدان ٥/٨ ـ ٩).

(٨)

(من البسيط)

ذكر أبوشامة المقدسي: «كثر مدح الفضلاء للسلطان (صلاح الدين) عند فتح القدس، وقد ذكر العماد من ذلك جملة في أواخر كتاب البرق (الشامي)[1]، فرأيت تقديم ما اخترته منها هنا، وزدت عليه ما لم يذكره، فمن ذلك[2]:

قال الحكيم أبوالفضل عبدالمنعم بن عمر بن حسان الأندلسي الجلياني قصيدة منها[3]:

١ . أبا المظَفَّر أنتَ المُجْتَبى لهُدَى	أُخرى الزمان على خُبْرٍ بخبْرَته
٢ . فلو رآكَ وقد حُزْتَ العُلى عُمر	في قلة التل قضى كنه عبرته
٣ . ولو رآكَ وأهل القدس في وَلَهٍ	أبوعبيدة فَدّى من مَسَرَّته
٤ . غداة جَزّوا النواصي في قمامته	وأعْوَلُوا بالتباكي حول صخرته
٥ . دارتْ بل المِلّةُ الحُسْنى فنحن على	عَهْد الصحابة في استمرار مِلّته

★ التخريج:

الأبيات في: الروضتين ٢/١٠٣.

★ ★ ★

(١) للعماد الأصفهاني. وهو تاريخ لعصره، ويركز على أخبار صلاح الدين وفتوحاته «بدأ فيه بذكر نفسه، وصورة انتقاله من العراق إلى الشام، وما جرى له في خدمة السلطان نورالدين محمود، وكيفية تعلقه بخدمة صلاح الدين» ويقع في سبعة مجلدات. سماه «البرق الشامي» لأنه شبه أوقاته في تلك الأيام بالبرق الخاطف لطيبها وسرعة انقضائها. ولا يوجد منه سوى المجلدين الثالث والخامس، طبع منه المجلد الثالث، والمجلد الخامس

(انظر: وفيات الأعيان ٥/١٥٠، كشف الظنون ١/٢٣٩، تاريخ الأدب العربي ـ بروكلمان ٦/٧، الأعلام ٧/٢٧).

(٢) الروضتين ٢/١٠٣.

(٣) واضح من رواية أبي شامة المقدسي أن القصيدة لم تصل إلينا كاملة، ولم نجدها في المصادر التي أمكن الرجوع إليها، بين مخطوطة ومطبوعة، ويذكر أبوشامة أنها في أواخر كتاب البرق الشامي، ولعلها في المجلد السابع منه، وهو ضائع، ولم يصل إلينا.

★ ★ ★

(٢) قلة التل: القلة أعلى الجبل، والتَّل: يقصد به تل حطين.

٦ . وأنت كاسمك صدّيق وصاحبه الـ ـمَلْكُ المُظَفَّرُ سامٍ في مبرته

٧ . وفي الثلاثة عثمان يؤيده عُلا عَليّ على ايثار نُصرته

٨ . وكم لديك ذوو قُربى رَقَوا شَرَفاً وكم بعيد رأى الزُّلفى بهجرته

٩ . يشبه الفتح ما بين البزاة لقى ملك الفرنج أخيذا بين عترته

١٠ . أما رأيتَ معالي يوسف نسقت حتى رَمَتْ كلَّ ذي مُلْكٍ بحسرته

١١ . أضحى لنشر الهدى في فتحٍ منهجه
ويات يطوي العِدى في سدّ ثغرته

١٢ . واستقبح الرجس ممنوّا بمشهده فاستفتح القدس محشوّاً بزمرته

١٣ . لكن بأس صلاح الدين أذهلهم بوقعة التل واستشراء سَوْرَته

١٤ . يعيي الجوارح والفرسان وهو على بدء النشاط عشيا مثل بكرته

١٥ . يا فاتحَ المسجد الأقصى عليَّ بهمْ وقانصَ الجيش لا يُحْصى بقفزَته

١٦ . أبشِرْ بمُلْكٍ كَظُهْر الشمس مُطَّلعٍ على البسيطة فَتّاح بنَشْرته

١٧ . حتى يكونَ لهذا الدين ملحمةٌ تحكي النبوة في أيام فَتْرَته

---

(٧) عثمان : الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين.

علي : الملك الأفضل نور الدين علي بن صلاح الدين.

(١٢) ممنوا : من مناه الله يُمنيه : قَدَّره أو ابتلاه واختبره.

(من البسيط)

روى أبوشامة المقدسي: قال العماد الأصفهاني: وللحكيم أبي الفضل عبدالمنعم بن عمر بن حسان الأندلسي الجلياني «قصائد قدسيات طِوال، كثيرة الفوائد». قال أبوشامة: «قد وقفت على بعضها. وتقدم قبل ذلك أن قال: لم أزل من أول ما ولي الملك الناصر الأمر في مصر أعلم أنه مؤيد بعناية من الله سبحانه فامتدحته...»[(١)]. «ثم قال: وأما القصيدة الفتحية الناصرية[(٢)] فأولها»[(٣)]:

١. في باطـن الغَيْبِ ما لا تُدْرِكُ الفِكَـرُ ... فذو البـصـيرة في الأحـداث يَعْـتَبِـرُ

٢. مالي أرى مَلِكَ الإفـرنج في قفصٍ ... أين الـقـواضبُ والعَسَّـالـةُ السُّمُـرُ

٣. والاسبتـارُ إلى الـدّاويّة التـأمـوا ... كأنـهـمْ سدُّ يأجـوجٍ إذا اسـتـجـروا

★ التخريج:

الأبيات في: الروضتين ٢/١١٦ ـ ١١٧.

(١) الروضتين ٢/١١٥.

(٢) نسبة إلى الفتح القدسي، والسلطان الناصر صلاح الدين.

(٣) الروضتين ٢/١١٦ ـ ١١٧.

★ ★ ★

(٣) الاسبتار: طائفة من فرسان الصليبيين. وهي تسمية للفرسان الهسبتاليين، وهو تحريف لـ (Hospitallers)، أسسها (Blessed Gerard) في سنة ١٠٩٩ م بعد الاستيلاء على بيت المقدس.

وكان لها دور كبير في الحروب الصليبية. وكانت تقتصر في أول الأمر على إرشاد الحجاج وإيوائهم، والعناية بالمرضى.

(انظر: الفتح القدسي/ ٦٢، مفرج الكروب ١/١٨٨ (حاشية ٢)، علاقات بين الشرق والغرب ـ عبدالقادر يوسف/ ٩٠، ٩١، بلادنا فلسطين ـ بيت المقدس ١/١٧٥، تاريخ الحروب الصليبية ـ رنسيمان ٢/٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، وغيرها).

الداوية: طائفة من فرسان الصليبيين أيضاً، وكان لها دور كبير في الحروب الصليبية. وكانت تعرف بفرسان المعبد knights Templar

أُسست في بيت المقدس، وخُصص لها رواق بالمسجد الأقصى. كانت فرقة دينية، ثم تحولت إلى فرقة عسكرية بعد موافقة البابوية على ذلك. وكانت تتكون من الفرسان النبلاء، وهم من القادة، وسائر المحاربين، ورجال الدين.

(انظر: الفتح القدسي/ ٦٢، ١٢٥، مفرج الكروب ١/١٨٨ (حاشية ٢)، علاقات بين الشرق والغرب

٤ . والنفسُ مُولَعةٌ عُجْباً بسيرتها   وفي المقادير ماتُسْلي به السِيَرُ
٥ . يا وقعةَ التَّلِّ ما أبقيتِ من عَجَب   جَحافلٌ لم يَفُتْ من جَمْعِها بَشَرُ
٦ . ويا ضُحى السبت ما للقوم قد سَبَتُوا   تَهَوَّدوا أم بكأس الطعن قد سكروا
٧ . ويا ضريحَ شُعيب ما لهم جَثَموا   كمَدْينَ أم لَقُوا رَجْفاً بما كفروا
٨ . حَطّوا بحطّين ملكاً كافياً عجباً   في ساعةٍ زال ذاك الملكُ والقدرُ
٩ . أهوى إليهمْ صلاحُ الدين مفترساً   وهو الغضنفرُ عدّى ظفرَه الظَفَرُ
١٠ . أمْلَى عليهم فصاروا وَسْطَ كفّتِه   كَسِرْب طيرٍ حَواها القانِصُ الذُّكَرُ
١١ . وأنجزَ الله للسلطان موعدَهُ   ونَذْرَهُ في كفورٍ دينه البطرُ
١٢ . وعايَن الملكُ الإبرنس في دمه   فمات حيّاً وحيّا وهو يعتذر
١٣ . رأى مليكاً ملوكُ الأرض تتبعه   والنجمُ يخدمه والشمسُ والقمرُ
١٤ . إذا بدا تبهرُ الأعيان هيبتُهُ   ويختفي وهو في الأذهان مُشتهرُ
١٥ . تقدَّم الجيلَ في أُخرى الزمان به   على صدور عُلا مَنْ قبلنا صَدَروا
١٦ . أما رأيتم فُتوحَ القادسية في   أكناف لُوبيّة تُجلى وذا عُمَرُ
١٧ . والحق يعرس والطغيان منتحب   والكفر يطمس والايمان مزدهر
١٨ . هذا المليك الذي بُشرى النبيّ به   في فتنة البغي للإسلام ينتصر
١٩ . أنسى ملاحمَ ذي القرنين واعترفتْ   له الرواة بما لم يُنْمِه أثَرُ
٢٠ . أُعين إسكندر بالخضْر وهو له   عونٌ من الله يستغني به الخضر
٢١ . وَصُنْعُ ذي العَرْش إبداعٌ بلا سببٍ   فلا تَقُلْ كيف هذا الحادثُ الخَطِرُ

= ـ عبدالقادر يوسف/ ٨٩، ٩٠، تاريخ الحروب الصليبية ـ رنسيمان ٢/ ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١).

استجروا:

(٧) ضريح شعيب: جاء في معجم البلدان (٢/ ٢٧٣) أنه في حطين. وجاء في الأعلاق الخطيرة (تاريخ لبنان والأردن وفلسطين/ ٢٨٣) أنه فيها على ما قيل.

(١٦) لوبية: من قرى طبرية، على بعد ١٣كم، إلى الغرب منها، على طريق الناصرة، وهي موقع أثري فيه مدافن منقورة في الصخر، ومعاصر خمر، وصهاريج، وبالقرب منها، إلى الشرق، خان لوبيا، دمرها اليهود سنة ١٩٤٨ م، وأقاموا على أرضها مستعمرة سموها لافي (Lavi) بمعنى الأسد.

(انظر: بلادنا فلسطين ـ ديار الجليل ج ٦ ق ٢/ ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٦، ٢٩٦، ٤٢٤ ـ ٤٤٦).

(١٩) ذو القرنين: قيل: هو الاسكندر. وهو من أعظم الغزاة وأشجعهم.

٢٢ . بَيْنَا سباياه تُجلى في دمشق إذا
مَلك الفرنج مع الأتراك محتجر

٢٣ . إزاءه زعماء الساحلين معاً
مصفدين بحبل القهر قد أُسِرُوا

٢٤ . يتلوهمُ صَلبوتٌ سِيقَ مُنتكساً
وحوله كلُّ قسيس له زُبُرُ

٢٥ . ونحن في ذا وذا طيرٌ صحيفتُه
بفتح عكا التي سدت بها الثغر

٢٦ . تَغْزو أساطيلنا منها صقليةً
فتذعر الرومُ والصقلاب والخَزَرُ

٢٧ . مَنْ ذا يقولُ لعل القدس منفتحٌ
إليك بل سِفر يعقوب له السَّفرُ

٢٨ . أبو المظَّفر ينويها فخذ سُفُنا
من باب عكا إلى طرطوس تنتشر

٢٩ . يسبي فرنجة من أقطارها وله
مع المجوس حروبٌ قَدحُها سُعُر

٣٠ . وبعضُ أبنائه بالقدس مُنتدب
وبعضها رومة الكبرى له وَطرُ

٣١ . براية تخرق الأرض الكبيرة في
جمع تقول له الأجسام لا وزر

قالوا أطلْتَ مديحاً قُلتُ كما
بدأت فالصبُّ للمحبوب مذّكر

(من الطويل)

قال أبوشامة المقدسي : «وأما القصائد القدسيات التي له (الحكيم أبوالفضل عبدالمنعم بن عمر بن حسان الجلياني الأندلسي) . . . ، فمنها القدسية الكبرى، عددها مائة واثنان وخمسون بيتاً»[1]، أولها[2] :

١ . تَصاريفُ دهرٍ أغْربتْ لمن اهتَدى ... وَنَسْطَةُ أمرٍ أغْرَبَتْ مَنْ تَمَّردا
٢ . لسرعةِ فتحِ القدسِ سِرٌّ مغيب ... وفي صَرْعَةِ الإفرنج معتبرٌ بَدا
٣ . أتَوْا كَجِبالٍ أبْرِمَتْ لإسارنا ... فَسُقناهُمُ فيها قَطيناً مجدَّدا
٤ . وسَامُوا تِجاراً تشترينا غَوَالياً ... فبعناهُمُ بالرُّخص جَهْراً على النّدى
٥ . وجَرُّوا جيوشاً كالسيول على الصوا ... فاضتْ غثاءً في البطاح ممددا
٦ . وقالوا مُلوكُ الأرض طَوْع قيادِنا ... إذا الكلُّ منهمْ في القيود مُعَبَّدا
٧ . وقد أقطع الكِنْدُ العراق موقّعا ... فأودع سجناً وَسْطَ جلّق مُؤصَدا
٨ . وأقسمَ أن يَسْقي بدجلةَ خيلَهُ ... فما ورد الأردن إلّا مُصَفَّدا
٩ . فكمْ واثقٍ خجلان قهقه خصمه ... وكم سائق عجلان قهقر مقعدا

★ التخريج :

الأبيات في : الروضتين ٢/١١٧ ـ ١١٨.

★ ★ ★

(١) لم أعثر في المصادر التي أمكن الرجوع إليها إلا على هذه الأبيات الخمسة والعشرين، وضاعت أبيات عددها مائة وسبعة وعشرون بيتاً، أو أنها ما زالت مخبوءة في بطون الكتب التي لم نصل إليها.

(٢) الروضتين ٢/١١٧ ـ ١١٨.

★ ★ ★

(٣) القطين: الإماء، والحشم الأحرار، والحشم المماليك، والخدم الأمتاع.

(٤) في الروضتين: الندا.

(٥) الصوا: الصُّوة: حجر يكون علامة على الطريق، جمعها صُوى.

(٧) الكند: المقصود بها الكلمة الأنكليزية (Count) ، وهو ملك الافرنج كما يبدو في البيت الثامن عشر، وقد أُسر في معركة حطين، وهو الملك جفري لوزجنان.

(انظر: النوادر السلطانية/٧٧، الروضتين٢/٧٨، مفرج الكروب١/١٨٨(حاشية٢)، ٣/١٤٦، ٤/٩٨، تاريخ الحروب الصليبية ـ رنسيمان ٢/٨١٥، ٨١٦، شعلة الإسلام/ ١١٣، سياسة صلاح الدين/٢٩٣).

١٠ . أتى الكندُ من إسبانَ يحمي قمامةً ... فكان تقضّي مُلْكِه قبل يُبْتدى
١١ . فما عقدَ الراياتِ إلا مُحَلّلاً ... ولا حَلَّل الراياتِ إلا مُعَقّدَا
١٢ . ووقعة يوم التّل إذ قبضت به ... جبابرةُ الإفرنج حَيْرَى وشُرَّدا
١٣ . عليهمْ من البَلْوَى سُرادق ذلةٍ ... ومَنْ ذلَّ ماتتْ نفسه فتقيَّدا
١٤ . ترى المنسرَ الدّيوي يُلقي سلاحَهُ ... وينساقُ ما بين السبايا ملهدا
١٥ . يُباعون أسراباً شرائحَ أحْبُلٍ ... كَشلَّةِ عُصفورٍ من الريش جُرَّدا
١٦ . فتلقَى نصارى جلّقٍ في مَأتمٍ ... يُسرُّونها إلا شَجيّ وتَنهُّدا
١٧ . ألم تَر للسلطان صَدَّق نذره ... دم الغادر الإبرنْسِ فاقتيد أرْبَدا
١٨ . وباشره بالقتل وَسْطَ جنابه ... وعاينه الكند المليك فأرعَدا
١٩ . وضاقتْ بنفس القُمص الأرض مهرباً ... فأدركه الموتُ المفاجىء مكمدا
٢٠ . وما طرق الأسماع من عهد آدم ... كملحمة التّل التي تلت العِدا
٢١ . أتوْا وادياً ما زال ينفي خبائثاً ... ويصفى بعقبى الدار طائفة الهدى
٢٢ . به جثمتْ أصحابُ لَيْكةَ وهي في ... ذراه وذا فيه شعيب تأيَّدا
٢٣ . أرى الله فيه معجز النصر مخلصاً ... لأمر صلاح الدين في الناس مخلدا
٢٤ . وأعدى جنود الرُّعب يردي عداته ... وسلم جميع المسلمين مجندا
٢٥ . ومن عجب خمسون ألف مقاتل ... سبتهم جيوشٌ ليس فيها مَنْ ارتدى

---

(١٢) في الروضتين: إذا، وبذلك ينكسر البيت.

(١٤) ملهدا: لهدَه: أثقله: دفعه دفعة لذلة.

★ ★ ★

(١٩) القمص: أصلها لاتيني (Comes) بمعنى الرفيق، وترد بمعنى الأمير. كان يرافق الملك في حروبه وتنقلاته. وقد حُوِّرت اللفظة (Comes) إلى (Come) في اللغة الفرنسية.

(انظر: النوادر السلطانية/٧٧ (حاشية ١)، مفرج الكروب ١/٧٣ (حاشية ١)، مجلة الرسالة - العدد ٤١١ - سنة ١٩٤١ م: ألقاب الشرف والتعظيم عند العرب - بقلم أنستاس الكرملي).

(٢٢) أصحاب الأيكة: قوم شعيب، وقد كذبوه. قال تعالى: ﴿وأصحاب الأيكة وقوم تُبع، كُلٌ كذب الرسل، فحق وعيد﴾ (الآية: ١٤ من سورة ق). وقال تعالى: ﴿وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين﴾ (الآية ٧٨، من سورة الحجر).

(١١)

(من الطويل)

روى ابن الشَّعَّار الموصلي، قال:

«أنشدني شيخنا أبوالخير بن أبي المعمر التبريزي المحدث قال: أنشدني الحكيم أبوالفضل عبدالمنعم بن عمر بن حَسّان الغساني، رحمه الله، لنفسه يمدح الملك الناصر صلاح الدين، ويهنئه[1] بفتح بيت المقدس، وكان فتحه ليلة السبت، السابع والعشرين من رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمّائة، حرسه الله تعالى، وحَماهُ بمنّه ولطفه»[2]:

١ . لقد أوسَعَ الله الفُتوح بعامنا ... وَخيَّسَ منها المُصعبَ المتأبِّدا

٢ . أمُور نبتْ عنها العقولُ وأذعنتْ ... بأنَّ اختصاصَ الحظّ لله مُوجِدا

٣ . تحرَّك شخصاً حرَّك الأرضَ جائلاً ... وهزَّ من الشهب الذوائب مصعِدا

٤ . ولقبّه بالناصر الملك يوسُف ... ونقّبه نور المهابة سَيِّدا

٥ . وألهمه حُسنى الشمائل مُجملاً ... وفهّمه أسنى الفضائل مُحْمِدا

٦ . يزيدُ على عُظْم المرام تواضُعاً ... ويدنو على بُعد المقام تودُّدا

٧ . أتته وفودُ الخافِقين فعاينوا ... حُلى مالك قد أطلع البدر فرقدا

★ التخريج:

الأبيات في: عقود الجمان لابن الشعار الموصلي ٤/ق ٦٥ - ٦٦.

★★★

(١) في الأصل: يهنيه.

(٢) عقود الجمان ٤/٦٥.

★★★

(١) خَيَّس: الخيس (بالكسر) الشجر الملتف، وموضع الأسد.
خاسَ بالعهد - يَخيسُ: غدر. وخيَّسه تخييساً: ذلّله. (القاموس المحيط: مادة خيس).
المُصْعَب: الفحل. (القاموس المحيط: مادة صعب).
المتأبدا: تأبد بمعنى توحش، والمتأبد: المتوحش، والاوابد: الوحوش. (القاموس المحيط: مادة أبد).

(٥) في الأصل: الشمايل - الفضايل.

(٦) في الأصل: زيدنوا.

٨ . يُنوّع أثناء النهار سياسةً ... ويقطع آناء الدُّجى مُتهجّدا
٩ . ويَرْمُقُ أحوال المدائن حافظا ... وينفقُ أموال الخزائن منفدا
١٠ . أحاط بمُلك الأرض خُبراً وقوةً ... وحاط ضروبَ الخلق خيراً ومَرْفدا
١١ . فَوَفّى بفضلٍ من قضاياه مُترعَا ... وأصفى لكلٍ من عطاياه مَوْردا
١٢ . وأروت نفوسَ السائلين بنانُه ... فلم أدر بحراً مُدَّ للناس أم يَدا
١٣ . سقا بحسام واسْترق بأنعمٍ ... وما المجدُ إلا في الشجاعة والندى
١٤ . فنمدحُه حُبّاً ويعطي تبرعاً ... فيعجزُنا شكراً ويشأى مُحمَّدا
١٥ . رأيت عُلاه مالها حَلْيٌ مثلها ... بدائع نظمٍ وامتداحاً مُخلَّدا
١٦ . فقلدْتُه سلكاً عزيزاً وُجودُه ... كما لم نجدْ مليكاً يُضاهي المقلَّدا
١٧ . لذا فليكن صَوغُ القريض مُسمَّطا ... تفاصيلَ إعجازٍ وَوَشياً مُنجدا
١٨ . ولفظاً كما تُجلى الدراريُّ تحته ... معانٍ كما ترمي الأشعة أنْجُدا
١٩ . قرائنَ أحوالٍ وَمَعلَمَ سيرةٍ ... وحكمة أمثالٍ وعلماً مُنضَّدا
٢٠ . إذا الشعرُ لم يحكِ العلوم فقد ... حكى جَعاجِعَ أصواتٍ ولغواً مُفنَّدا
٢١ . ولولا اصطناعُ الحلم لم يكُ باقلٌ ... ليحضر في ميدان سحبان منشدا
٢٢ . لأوْجُه أربابِ السماح طَلاوة ... تُعلّمُ طُلَّاب النجاح التردُّدا
٢٣ . وقيمةُ قدر الشيء قيمةُ ذكره ... كما راق وصفاً لي وصيتاً مندَدا
٢٤ . وهذا مليكٌ أمرُه غيثُ عصره ... فسيرتُه تبقى حَياً مُتوردّا
٢٥ . فيسقى بها الظمآن للعلم مُسنِتاً ... ويرقى لها الديّان في الحكم مسندا
٢٦ . ينالُ الفتى بالصبر مَقسُوم حظه ... وكم جاهدٍ في الحرص ما نال مقصدا

---

(٨) في الأصل: أثنا ـ آنا.
(٩) في الأصل: المداين ـ الخزاين.
(١١) في الأصل: فوفّا ـ واصفا.
(١٢) في الأصل: السايلين.
(١٣) في الأصل: والندا.
(١٤) يشأى: يقصد.
(١٥) في الأصل: بدايع.
(١٦) في الأصل: مليكا.
(١٩) في الأصل: قراين.
(٢٥) في الأصل: مسدا.
مسنتا: جائعاً.
(٢٦) في الأصل: كماينا.

٢٧ . عجبتُ من الأيام تطوى كمـائناً إذا انتشرت أعيت نجيباً ومُنجدا
٢٨ . وكنتُ أرى ذا الفتح من قَسم يوسف فلله ذاك القَسمُ ما كان أسعدا
٢٩ . ولله يومٌ هَلَّ فيه ولادةً لقد طاب مولوداً وبُورك مولدا
٣٠ . كفى مطهراً منْ طهّر القدس واحتوى
بني أصفرٍ سبياً وقتلاً تعمُّدا
٣١ . هو المسجدُ الأقصى وهم شوكةُ الوَغى
فما كان لولا الله يَخلصُ مَعبَدا
٣٢ . هنيئاً لبيت القدس الآن طُهرُه وللناصر المنصور غبْطتهُ غدا
٣٣ . فيا خيرَ ممدوحٍ وأطهر مجتبى وأسعد ممنوحٍ وأبهر مجتدى
٣٤ . مديحك أحلى في فمي من جنا المُنى
ومن طعم بَرْد الماء عذبا على الصَّدى
٣٥ . وأشهى سماعاً مَن حديث حبائب
يذكرها عهد الصبا متجدِّدا
٣٦ . أسامرُ فيك الشعر مستمتعاً به فأبسطُهُ بَسْط الخميلة في الندى
٣٧ . أوَدُّ لوأنَّ البيت ألفُ قصيدةٍ
وكلُّ قصيد ألفُ حِزب تَرَدُّدا
٣٨ . وكيف اقتصادٌ في مدائح يُوسف وقد بَذَّ غايات السوابق في المدى
٣٩ . سَرَى وهو نورٌ قاهرٌ بلطافةٍ وحَلّ بنا صوتُ العُلى فتجسَّدا
٤٠ . ولولم يَلُح للناس ما علموا فتى سَمَا كلَّ عالٍ وهو يرتاد مُصعدا
٤١ . فكلُّ ابتداء في معاليه مُنتهى وكلُّ انتهاء في معاليه مُبتدا

---

(٣١) في الأصل: الوغا.

(٣٢) في الأصل: هنياً.

قطع الشاعر همزة الوصل لضرورة الشعر

(٣٣) في الأصل: مجتدا.

(٣٤) في الأصل. الما (عدنا على) الصدا.

(٣٥) في الأصل: حبايب. . . الصبى.

(٣٦) في الأصل: الندا.

(٣٨) في الأصل: مدايح. . . المدا.

(٣٩) في الأصل: العلا

(٤١) في الأصل: ابتدا. . . انتها.

(١٢)

(من البسيط)

قال[1] أبوشامة المقدسي، في حوادث سنة ٥٨٥ هـ، متحدثاً عن خروج الصليبيين، في حملة صليبية ثالثة، لاسترداد بيت المقدس[2]، بعد أن حررها المسلمون بقيادة صلاح الدين، في سنة ٥٨٣ هـ، وروى جزءاً من قصيدة قالها الحكيم أبوالفضل عبدالمنعم بن عمر بن حسان الجلياني، يصور الدعوة للحرب الصليبية الثالثة[3]:

١ . يامنقذَ القدس من أيدي جبابرةٍ ... قد أقسموا بذراع الرّب تَدْخُلُه
٢ . فأكذبوا كذبهم في وصف ربّهمُ ... وصدّق الوعد مأموناً مُحوِّلُه
٣ . أما رأيت ابن أيوب استقل بما ... يعيي الزمان وأهليه تَحمُّلُه
٤ . هاجَ الفِرَنجُ وقد خاروا الفتكته ... فاستنفروا كلَّ مَرهوبٍ تغلغُلُه
٥ . لما سبى القدس قالوا كيف نترُكُها ... والرَّبُّ في حفرةٍ منها تُمثِّلُه
٦ . فَكمْ مَليكٍ لهم شَقَّ البحارَ سرىً ... لينصُروا القبرَ والأقدارُ تخذلُه

★ التخريج:

الأبيات في: الروضتين ٢/١١٥.

★ ★ ★

(١) انظر: النوادر السلطانية/ ١١٥، ١٢٣، ١٣٦ - ١٣٧، ١٣٩ - ١٤١، الفتح القدسي/ ٣٣٠ - ٣٣١، مفرج الكروب ٢/٣١٧ - ٣٣٠، الكامل ١٢/٤٨ - ٥٠.

(٢) انظر: الروضتين ٢/١٥٠ - ١٦٤.

(٣) المصدر نفسه ٢/١٥١.

★ ★ ★

٧. وكم ترحَّل منهُم فَيلقٌ بفلاً إلى الخوامع ألقاه ترَحُّلُه

٨. استصْرخوا الأهلَ والعَدوى تمزقهُمْ واستكثرُوا المالَ والهيجا تُنفلُه

٩. هم الفراشُ لهيبُ الحرب تصرعُهُ وكلَّما لجَّ صَدماً جلَّ مقتلُه

١٠. سيفٌ أمامَ فلسطينٍ برى أُمماً خلفَ البحارِ لقد أمْهاهُ صيقلُه

١١. كمْ قد أعدوا وكمْ قد فلَّ جمعهمُ من غير ضَربٍ ولا طعنٍ يزيِّلُه

١٢. وإنما اسمُ صلاح الدين يذكر في جيش العدو فيَنْسيهم تَخيُّلُه

(٧) الخوامع: الضباع، جمع خامعة.

(١٠) أمهاه: أمهى الحديدة: أحدَّها وسقاها الماء.

الصيقل: شحَّاذ السيوف وجلاؤها.

(١٣)

(من الطويل)

روى ابن أبي أصيبعة عن والده، عن عبد المؤمن[1] بن عبد المنعم الجلياني، قصيدة لعبدالمنعم الجلياني، يقول: «ومن شعر حكيم الزمان عبدالمنعم الجلياني، مما نقلته من خطه، وهو أيضاً مما سمعته من أبي، قال: أنشدني الحكيم عبدالمؤمن المذكور، فمن ذلك قال يمدح الملك الناصر صلاح الدين أباالمظفر يوسف بن أيوب، ووجهها إليه من مدينة دمشق، إلى مخيمه المنصور بظاهر عكا، وهو محاصر للفرنج المحاصرين لمدينة عكا، فعُرضت عليه في شهر صفر سنة سبع وثمانين وخمسمائة، وهذه القصيدة تسمى «التحفة الجوهرية»[2]، ومطلعها[3]:

١ . رَفاهيَةُ الشُّهْم اقتحامُ العظائِمِ — طِلاباً لعزٍ أو غِلاباً لضائِمِ

ومنها[4]:

٢ . أفاتح بيتَ القُدس سيفُك مفتحٌ — لقفل الهُدى مغلاقُ باب المآثمِ

٣ . فحكمتَ في الضدين غيرَ معارض — فأحكمت في نفر الوغى المتخاصمِ

٤ . غداة قدحت البيضَ في آل أصفرٍ — فل يبقَ زَندٌ منهمُ في مَعاصمِ

ومنها[5]:

٥ . غسلتَ الطرازَ الأخضر الرقم منهمُ — بصوتٍ نجيع أحمر القطر ساجمِ

★ التخريج:

الأبيات في: عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ ٦٣٠، ٦٣٢.

★ ★ ★

(١) كان كحالاً، وخدم الملك الأشرف أباالفتح موسى بن الملك العادل بصناعة الكحل، وله شعر، وكان يعمل مدبجات. وكان أحد رواة شعر والده، وروى عنه ابن أبي أصيبعة من أشعار والده عبدالمنعم.

توفي بمدينة الرها بعد سنة ٦٢٠ هـ.

(انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ ٦٣٠).

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ ٦٣٠.

(٣) المصدر نفسه. (وانظر بقيتها/ ٦٣٠ ـ ٦٣٣، وتقع في واحد وثمانين بيتاً).

(٤) المصدر نفسه/ ٦٣٢.

(٥) المصدر نفسه/ ٦٣٢.

المدبجة القدسية

القصائد (١٤ ـ ١٧)

٥٨٩ هـ

قال الشيخُ الإمام العالمُ الأوحدُ الصَّدرُ الكاملُ الفاضلُ الورعُ الزاهدُ حكيمُ الزمان أبوالفضل عبدالمنعم بن عمر بن حسان الغسانيُّ الأندلسيُّ الجلياني، تغمدهُ الله برضوانه، وأسكنهُ أعلى غُرفِ جنانِهِ.

الحمدُ لله مجلي الحكم في آفاق البيان ومطالعه، ومُحلّي الكلم بإشراق البرهان من جوامعه، ومُسيم الخواطر في مراتع الاعتبار ومرابعه، ومُقيم البصائر في شوارع الاستبصار ومشارعه، كشف للناظرين لما سلكوا اللُّباب من أسرار بدائعه، وصَرف القاصرين فما أدركُوا الأسباب من آثار صنائعه، فالعارفُ مُقرٌّ بأن لا اطلاع له إلاّ بصانعه، والخائف مُصرّ على أن لا امتناع منه بل من مانعه، أيَّد الأسعدين في الوفود إليه بمشرقاته وسواطعه، وقيَّد المبعدين عن الورود عليه بموبقاته وقواطعه، فنعوذُ بعزته من صوارف مكره وصوارِعه، ونلوذُ بعصمته من مواقف قهره ومواقعه، ونستشفعُ برسولٍ به استبان الكتابُ بعد تحريفه عن مواضعه، وبَان الارتيابُ بتعريفه لشرائعه، النبي العربي محمد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ما بزغ شهابٌ وامضَّ بلوامِعه، وأفرغ سحابٌ فائض بهوامعه، وسلّم تسليما، أما بعد فإنه لما كانت الفطرُ[1] الناطقة مجبولةً على إيثار الحقائق، وإثارة الدقائق، ولم يكن زنْدها مُورياً من أوّل وهلة، ولا وردُها مُروياً لبارد[2] نهْلة[3]، والعلم كامنٌ فيها كمونَ الحرّ المسخن في الفلفُل، والصوتِ المستحسن في البُلبُل، وجَب أن ترتاض في رياض المعارف والآداب، وتعلق من فنونها بالأفنان والأهداب، لتصدع بصفيرها المستبطن، وتصدح على دوحاتٍ الفطن. ولما مُنح الإنسان العقل مميزا، وأضحى به مبرِّزا متميزاً، يطالعُ أغوار المعاني من أقاصيها، وينقلها إلى ذهنه فيحصيها، أُعطى العبارة آلةً

(١) في ب: الفطرة. (٢) في م وَس: لبادر.

(٣) نهلة: من النهل، وهو الشرب الأول، والمقصود الشربة الأولى.

وديواناً، ودلالة وعُنوانا، لكنها ذاتُ ألفاظ مقصورة، على معانٍ غير محصورة، فاشتركت الـدلالاتُ، واشتبكت المدلولاتُ إلى أن تبلجت قوانينُ الفصاحة والبلاغة، وصيغُ الإعراب المحكم الصياغة، وأجمع فيها أربابها والمجتنى[1] لهم لبابُها، على أنه كلَّما حصرت المعاني في قالب اللفظ، وأبرزت مداركها للتصور والحفظ، كان أقرب لمقاصدها، وأعذب لمواردها، ولما كانت النفسُ طُلعة إلى ما يُجلى عليها، ظمأى لما يجلب إليها، وكانت خُباةً[2] لِما استودع معدنُها، ضنينةً بكشفِ أثر قُواها تضمنها، حتى إذا نازلتها سَرايا الأقوال، وقابلتها مرايا الأمثال، سمحت بما به ضنتْ، وأبدت ما كانت أجنت، تأكد إذ ذاك فض الختم عن الكلم المحكمة، وبثها في النفوس القابلة المستعلمة، ولزم أولي الهمم أن يقتدوا بسننها، ويأخذوا بأحسنها، فتجذب قواهُم برسنها. ولما كان الإنسان مسؤولا[3] عما حَمل، معذولاً على ما أهمل، وكانت النصيحة والنفـع لخلق الله من القرب المزلفة، والوسائل المنعطفة تعيَّن أن أجمع مما حضـر ممـا قلتـه من كلام الحكمـة بإذن الله تعالى، مما يستبصر به المفكرُ اللبيبُ، ويستيقظ له المتذكرُ الأريب. وقد أطلق الله سبحانه، على لساني من جوامع الكلم، في منظوم ومطلق أصنافاً وفنونا، أبرزت من بدائع البلاغة نُخبا وعيونا، وكلُّ صنفٍ منها في ديوان، فهي عشرةُ دواوين:

أولها ديوانُ الحكم وميدان الكلم منظوماً[4]، يشتمل على الإشارة إلى كلّ غامض المـدرك من العلم، وإلى كلّ صادق المنسـك من العمل، وإلى كلّ واضح المسلك من الفضيلة.

الثـاني[5]: كتاب[6] أدب السلوك، وهو كلامٌ مطلقٌ يشتملُ على مشارع كلمات الحكمة المبصرات.

(١) في م وَس: والمجتنا. في ب: والمجتبا. (٢) في ن: خُبؤة.

(٣) في م، وس، وَب: مسئولا.

(٤) في عيون الأنباء (٦٣٥): وهو نظم.

(٥) في عيون الأنباء. الثاني: ديوان المشوقات إلى الملأ الأعلى، وهو نظم، بينما جاء ترتيبه الخامس في المخطوط.

(٦) في عيون الأنباء: ديوان. وجاء ترتيبه الثالث.

الثالث: كتاب تحرير النَّظر[1]، وهو كلام[2] مطلق يشتمل على [مشارع][3] معالـم كلمات حكمةٍ مفردات[6] في البسائط والمركَّبات، والقوى والحركات، [وما يتصل بذلك من المدركات][4].

الرابع[5]: ديوانُ المبشرات والقدسيات، وهو نظمٌ وتدبيج، وكلامٌ مطلقٌ، يشتمل على وصف الحروب والفتوح الجارية على يد صلاح الدين أبي المظفر يُوسف بن[6] أيوب فاتح مدينة البيت المقدس، بإذن الله تعالى في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، رحمه الله تعالى [7].

الخامس [8]: ديوانُ المشوقات الرقائق، تشوق إلى الملأ الأعلى، وهو نظم.

السـادس [9]: ديوانُ التدبيج، وهو يشتمل على أعاجيب من المدبجات المعجزة النظم.

السـابـع: ديوانُ الغزل والتشبيب[10]، والموشحات والدوبيتي، وما يتصل بها، وهو نظم[11].

---

(١) في عيون الأنباء: جاء ترتيبه الخامس. والرابع فيه «كتاب نوادر الوحي» وهو يشتمل على كلام حكمة مطلق، في غريب معان من القرآن العظيم، ومن حديث الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم (انظر: عيون الأنباء/ ٦٣٥).

(٢) في ب: كتاب.

(٣) إضافة من ب. ٦أ: في م: مفرد.

(٤) ما بين القوسين: ليس في ب.

(٥) في عيون الأنباء: جاء ترتيبه السابع.

(٦) في س: ابن.

(٧) في س وَب: رضي الله عنه.

(٨) في عيون الأنباء: جاء ترتيبه الثاني.

(٩) ذكر ابن أبي أصيبعة هذا الديوان بعد ذكره عشرة دواوين للجلياني. وذكره باسم كتاب «منادح الممادح وروضة المآثر والمفاخر من خصائص الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب.

(١٠) في ب: والنسيب.

(١١) في عيون الأنباء: منظوماً (بدل، وهو نظم). جاء ترتيب هذا الديوان الثامن في عيون الأنباء.

الثامن[1]: ديوانُ تشبيهاتٍ وألغاز [ورموز وأحاجي][2]، وأوصافٍ [وزجريات][3] وأغراضٍ شتى، وهو نظم[4].

التاسع[5]: ديوانُ ترسيل وفنونٍ من المخاطبات، وأنواع من الخطب، والصدور والأدعية[6]، ونحو ذلك.

العاشر[7]: كتاب أسرار البلاغة، وهو كلامٌ مطلقٌ يشتملُ على مطالع الحسن من صنائع البديع في فصل الخطاب.

وانّ جميع هذه الدواوين والكتب ليس في شيء منها كلمة من كلام أحد غيري، بل كُلها مما علمني ربي، فنور له بصيرتي، وأنطق بالعبارة عنه مقولي، وفضل الله عظيم، وعطاؤه عميم، لا إله إلا هو ربُّ العرش العظيم. وهذا الديوانُ منها هو ديوان التدبيج، يجمع جمهور ما قلته من المدبجات المعجزة النظم.

وبالله التوفيق فيما نفعل أو نقول، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

قال عبدالمنعم بن عمر بن حسان الغساني الأندلسي الجلياني رحمه الله[8]. هذا صدرٌ أنشأتُه ليكون توطئةً للمدبجة القدسية التي أنشأتها بإذن الله تعالى في غُرّة سنة تسع[9] وثمانين وخمسمائة، وسميتها:

---

(١) جاء ترتيبه في عيون الانباء: التاسع.

(٢) إضافة من عيون الأنباء (٦٣٥).

(٣) إضافة من عيون الأنباء (٦٣٥).

(٤) عيون الأنباء: منظوماً (بدل: وهو نظم).

(٥) جاء ترتيبه في عيون الأنباء: العاشر.

(٦) عيون الأنباء: «ديوان ترسل ومخاطبات في معان كثيرة، وأصناف من الخطب، والصدور، والأدعية» (٦٣٥).

(٧) جاء ترتيبه في عيون الأنباء: السادس، وذكره باسم «كتاب سر البلاغة، وصنائع البديع في فصل الخطاب» (٦٣٥).

(٨) هذه العبارة ليست في س وب.

(٩) في ب: سبع، وهو تصحيف.

«مدبجة رهان الأذهان في مدى ذكر الملك الناصر على مر[1] الأزمان»، أنّه لما كان الملك الناصر أبوالمظفر يوسف بن أيوب، نشر الله في الخافقين رايته، وجعل أقصى أمد السعادة غايته، أعظم الملوك قدرا، وأشرحهم[2] بالفهم والمعرفة صدرا، خصه الله بأنواع المعجزات في زمانه، تخليداً لذكره، وتنويهاً بشأنه، وقد أظهر الله تعالى على لساني في وصفه من بدائع المقول ما يبهت أصحاب الدعاوى ويبهر أرباب العقول في فنون الكلام، على أبلغ الأحكام، مما وصفتُ به تصرفات أمره العزيز من لدُن ولي الديار المصرية في سنة أربع وستين وخمسمائة التي أنشأت فيها القصيدة اللامية السياسية التي أولها:

لا تسأل[3] الدار عن ظعنٍ قد احتملوا

وهي أول ديوان المبشرات والقدسيات، ثم اني لم أزل أتابع ذكر غزواته، وقرائن أحواله بأصناف المنظوم والمدبج والمسجوع، ثم توالت حروبه وفتوحه في الساحل، فعبرت عنها بالقصائد القدسيات، وأودعتها من عجائب الأوصاف والأمثال، وغرائب[4] البلاغة ما سيشغل الأمم بعدنا عن النظر في غيرها، إقبالاً عليها، وعلى ما تضمنته دواوين كلامي في ضروب الحكم وأصناف الأغراض، بمشيئة الله وحسن عنايته. وقد كنت قدمت له مدبجاتٍ عجيبةً في كتاب «منادح الممادح» وغيره، ثم اني حضرتُ عنده في مدينة البيت[6] المقدس في سنة ثمان وثمانين وخمسمائة، فاستدعى[7] مني أن أنشىء له تدبيجاً، وكان الفصلُ مستقبل قيظٍ، فخفتُ من حدة الفكر فيه على مزاجي، فلما شتا الزمان أنشأتُ هذه المدبجة القدسية السعيدة بحول الله وقوته.

[وكتبتها في التاريخ بيدي، في غرة سنة تسعٍ وثمانين وخمسمائة، وعرضتها عليه في التاريخ، وهو بمدينة دمشق، بحمد الله ومنته][3].

★ ★ ★

(1) في م: ممر.
(2) في ب: وأسرحهم، وهو تصحيف.
(3) في م وَس: تسئل.
(4) في م: وغريب.
(5) في س وَب: بيت.
(6) في س: فاستدعا.
(7) ما بين القوسين المركنين: السطران ليسا في س وب.

ذكر خواص هذه المدبجة وأغراضها، وصفة العمل [بها] في قراءتها، وترتيب استخراجها، هي جميعها تدبيج نظم في نظم مشتبك مداخل من شعر مبسوط، ومضاعف، ومصدر، ومنهر، ومختمٍ، ومشمولٍ منجمٍ، وكلُّ صنفٍ منها قائم بنفسه، تام الصنائع، كاملُ أدوات البلاغة، وليس فيها ضرورةٌ من ضرورات الشعر التي استجازها الشعراءُ في مطلق الأشعار، ولا فيها تصحيفُ حرف من الحروف المشمولة(١) أو غيرها، ولا فيها تاءُ تأنيثٍ تُقرأ(٢) هاءً، ولا هاء ضمير تُقرأُ(٣) تاءً، على كثرة اشتراكها واشتباكها. ومن خواصها ان الدائرة المضاعفة منها التي هي ثمانيةُ أبياتٍ يُقرأ منها اثنان وثلاثون بيتا ليس في بيت منها تضمين، بل كل بيتٍ قائمُ المعنى بنفسه لقوة الكلام في ضبط التقدير بوجوه التصريف للإعراب، فسلمت من التضمين بتوفيق الله وهدايته.

فإذا أردت قراءة هذه المدبجة القدسية، فابدأ بالقصيدة المبسوطة الميمية التي أولها:

حبيبٌ تراءى وهو يأبى لثامُه ... ولاحَظَهُ صبٌّ يثورُ هُيامُهُ(٤)

فتقرأ حتى تنتهي إلى الدائرة المضاعفة، فتقرأ من المبدأ الذي أوله:

شَذا أرجٍ بالمكرمات افتخارُه ... فرى ندحاً إشراقُه وانتسَامُه

وتدور معها حتى تختم الدائرة المضاعفة، ثم تقرأ القصيدة المبسوطة الثانية إلى آخرها.

ثم تعودُ فتقرأُ القصيدة المصدرة الرائية، ومبدؤها عند مركز الدائرة المضاعفة وأولها: [ثم تعود فتقرأ](٥):

قديمٌ هواكم في الفؤاد قرارُهُ ... فكيف به إنْ شطَّ عنكمْ مزارُهُ

---

(١) في ب: و.

(٢) في ب: يقرأ.

(٣) في ب : يقرأ.

(٤) في م وس: تراءا وهو يأبى - في ب: يأبا.

(٥) إضافة من: س وّ ب.

وتصعدُ مع الشعر المُنهَّر إلى الشعر المختَّم، وتعود إلى المنهرّ ثم إلى الدائرة الضاعفة فتقرأ نصفها، وتجوزُ إلى المختَّم(1) المنهَّر من الشقّ الثاني، ثم إلى المختَّم، وتخرجُ إلى المُنهَّر ثم إلى الدائرة المضاعفة فتقطعها إلى الشعر الذي حول المركز، وتدورُ معه، [وتخرج](2) إلى المُنهَّر في الشقّ الثاني بعينه، ثم إلى المُختَّم، ثم تخرج على المُنهَّر إلى الدائرة المضاعفة، فتقرأ نصفها الآخر، وتصعدُ مع المُنهَّر من الشقّ الأول إلى المُختَّم، ثم ترجعُ إلى المنهَّر، وتقطعُ الدائرة الكبيرة(3) المضاعفة، وتدورُ إلى المبدأ عند مركز الدائر، فإذا انتهيت إلى «وأمرُك زاهٍ حيثُ أمَّ سفارُهُ» عَمدتَ إلى الشعْر المشمول المُنجم، ومبدؤه في وسط المختَّمة العليا، فتقرأ:

وَديباجُ سِحرٍ رقم أندلسٍ سَمَا ... وجِليَانَةٌ بين البلاد مَنارُهُ(4)
فما لِشامٍ أو عراقٍ بفهمه ... يَدٌ فبأقطاب العُلوم مَدارُهُ
وقد جَهلُوه صُورةً وقراءةً ... فماذا عسى إبداعُه وابتكارُهُ(5)
إذ خُصَّ شخصٌ في الأنام بمعجزٍ ... فَليس لثانٍ في مَداه اقتدارُهُ

وهذه الأبيات الأربعة مُنجمةٌ مفاصل المدبجة جميعها، تُقرأ من اثنين وثمانين مَفصلاً، وبها تمامُ القصيدة المُصدرة الرائية. ويبقى بعد ذلك للقراءة ستة عَشَر بيتاً في الدائرة المضاعفة، فثمانية منها حائية، من عروض البسيط، أولها:

جَلّا مُنيراً مَقَامُهُ سَنَى لَهجٍ ... أزهى مَداه ابتدارُهُ حُليُ مِدَحَا(6)

وتدور مع الدائرة حتى تختمها:

---

(1) ليست في س وَب.

(2) إضافة من: س وَب.

(3) ليست في س وَب.

(4) سما: سقطت من س وَب.

الرقم: ضرب مخطط من الوشي أو الخز أو البرود.

(5) في م وَس: عسا.

(6) في م وَس: أزها.

وثمانيةٌ منها جيميةٌ، من عروض البسيط أيضاً، أولُها:

مُسـتـنِقـذُ القُـدس ثارُهُ حَبْـا منحـاً   واسـتـشـعَـرَ الأمْنَ شامُـهُ بلا حَرَج[1]

وتـدور مع الـدائـرة أيضاً حتى تختمها، فتكمل[2] في هذه الدائرة اثنان وثلاثون بيتاً. وأعلم أن أبيات القصيدة المصدرة[3] بمالها من الدائرة المضاعفة [ستـة وثـلاثـون بيتـاً. وأبيات القصيدة المُصـدَّرة بمـالهـا من الـدائـرة المضاعفة][4]، ومن الشعر المشمول المُنجم ستون بيتاً، وبقية الدائرة ستة عشر بيتاً، فجملة أبيات هذه المدبجة مائة بيت واثنا[5] عشر بيتاً، كُلُّها مُداخلٌ نظماً في نظم، بحول الله وقوته، هو حسبنا ونعم الوكيل.

وقد أبْرزتُ أبياتها أيضاً في ذيل المدبجة لتبين قراءتها إن شاء الله تعالى.

وهذه صورة مدبجة رِهانِ الأذهانِ في مدى[6] ذكر الملك الناصر على مَرّ الأزمان رضي الله عنه، [ورحم أسلافه بمنه وكرمه][7]، وهي المدبجة القدسية بإذن الله تعالى، والحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده[8].

نورد ههنا، إن شاء الله تعالى، القصائد التي اشتملت عليها هذه المدبجة، لتظهر للعيان، وليستعين بها مستخرجها من المدبجة، إن شاء الله تعالى، فلنبدأ بالقصيدة المُصدَّرة، بعون الله تعالى[9].

---

(١) في م وَس: جنا (وهي: حبا في م ق ١٥، س ق ١٤)، في ب: جنى.

(٢) في س: فتكمل.

(٣) ليست في س وَب.

(٤) إضافة من: س.

(٥) في ب: واثنى.

(٦) في م وَس: مدا - في ب: مراكز.

(٧) ليست في: س وَب.

(٨) جاء في س: «وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحابته أجمعين» (ق ٥).

(٩) انظر: ديوان التدبيج: م/٢- ١٢. س/٢ - ١١. ب/٢ - ١٠.

«مدبجة رهان الأذهان»

في مدى ذكر الملك الناصر على مر الزمان

(القصائد ١٤ ـ ١٧)

(١٤)

(من الطويل)

١ . قَدِيمُ هواكُمْ في الفُؤاد قَرارُه ... فكيف به مُذْ شَطَّ عنكُمْ مَزارُهُ

٢ . يُرى حُسْنكُمْ والصَدُّ أظلم لَيْلُه ... فَهل لِوصال أنْ يُضيء نهارُهُ

٣ . تَركتُم حَشاهُ من أسىً وتَذبذُبٍ ... جناحَ قطاً خَفقاً فبانَ اصطبارُه

٤ . وما لِبلى ذا الجسم وَجْدي وإنما ... يُباحُ حِمى راجٍ لكم وَجُوارُه

٥ . وحالي عَلى ما سَرَّ أو ساءَ منكُمُ ... كَحالَةِ مَخمورٍ زَهاهُ خُمارُه

٦ . ألَذُّ اهتياجِ الشوقِ بي سَحَراً إذا ... تفاقَمَ ما ألقى وثارَ أُوارُه

٧ . أما والذي أعلَى بيُوسُف ديننا ... برغمٍ لشانيه الملُوم ازورارُه

٨ . لقد قَدحت آلاؤه زنْدَ خَاطري ... بنظمٍ سَمَا وصَفَا جليّا كُبارُه

٩ . لملكٍ مُريدٍ للعويص بفهمِه ... فيعبرُهُ وَعْر المَساق اعتبارُه

١٠ . رأيتُ جَليّاً من مَعونةِ ربّنا ... لَهُ دائماً يَزهو البلادَ افترارُه

١١ . فلله دهرٌ قد أمِنّا شُرورهُ ... وقد ذبَّ عن نهجِ العُلوِّ شِرارُه

★ التخريج :

الأبيات في : ديوان التدبيج : م/١٢ ـ ١٤، س/١١ ـ ١٣، ب/١٠ ـ ١١.

والأبيات : ١ ـ ١٤، ٤٩ ـ ٦٠ في : ظ/١٤٦ ـ ١٤٧.

★ ★ ★

(٣) في م وَ س : أساً.

(٤) في م وَ س وظ : لبلا ـ في م وَ س : جِمَا.

(٥) في ظ : ساءَ أو سَرَّ.

(٧) في ظ : أعلا.

(٨) كباره : من كَبُر يكبُر إذا عظُم فهو كبير. يقال كبير وكُبَار وكُبّار (بالتشديد)، إذا أفرط.

(١١) في ب : سراره.

١٢ . وقـامَ صلاحُ الـدِّين بالشِّرك فاتِكاً وأطـواقُ أعـنـاق الـمُـلوك شِفـارُه
١٣ . مُدير رَحيً للحـرب صادٍ حُسـامُهُ إلـى مُهـج يُلقـى الـشَـرّار غِرارُه
١٤ . غَداة طَحـا بالمشـركين اقتحـامُهُ أخـو دُلَـجٍ مُستنقِـذُ القُـدس ثارُهُ
١٥ . خَبَـا مِنحـاً واستشعـر الأمنَ شامُهُ بلا حَرَجٍ والـنـاصـرُ الـمـلْكُ جارُهُ
١٦ . سَطا مَرَحـاً صَولاً تَلاهُ ابتسـامُـهُ على فَرجٍ أبْـدى فأحـيا انـتـشـارُه
١٧ . أعَـزَّ مكـانـي إذ أزالَ ضَرُورتَـي ومـا ذِلَّـةُ الإنـسـان إلّا اضـطرارُه
١٨ . ولا عِزَّةٌ إلّا وَلاءٌ وقُـربَـةٌ تَحـلَّى بهـا شَخصٌ مُوفـي فَخـارُه
١٩ . ومـا الإفكُ من ناسٍ عمُوا بمعجِزٍ لشَـهـمٍ فليسَ الـوهـمُ يَعـلو مُثـارُه
٢٠ . ومَن أبْـدأ النُّعمى عسَـاهُ يُتمُّها بألـطافِ ذي جَدوى مُفـاضٍ سِتـارُه
٢١ . يجـودُ فليس الأعـظمُ الثـائر الثُبا لِيوفـي على مُعـطىً أُمِـدَّ احـتـقـارُه
٢٢ . لقد مُدَّ للإسلام أقوى عُرى الهُدى وتَـمَّ اقـتـداء ثم عمَّ اشـتـهـارُه
٢٣ . بِمـا خصَّ مَلْكـاً ذادَ جَيشَ فَرنـجةٍ وفـاجـأه يُلمـى عليهـم إسـارُه
٢٤ . عطاءٌ قضـاهُ ربُّـنـا بتـكـافُـؤٍ وأودعـه خلقـاً تسـاوى افـتـقـارُه
٢٥ . فَلا قَتـدٌ إلّا شواهُـمْ سُتـورُه ولا مَسـدٌ إلا طُلاهُـمْ شِعـارُه
٢٦ . وسيقُـوا فمـا تَدري الفتـاةُ بإلفهـا قريبـاً ولا يدري الـفـتـى ما انـتـظارُه
٢٧ . سَرَى قَدرٌ فاغتـال إفـرنجَ ساحلٍ بمـا لَمْ يَغُـلْ طاغـي ثمـودَ قُدارُه
٢٨ . فقـدْ علمـوا تحقيقَ ما جَهلُوه مِنْ نَكـيرٍ قديرٍ لا يُطاق حِذارُه

(١٢) في ب: سفاره.
(١٣) في م وس وب وظ: رحا ـ في ب: السرار.
(١٤) دلج: مفردها دُلْجة (بالضم والفتح): السير من أول الليل.
(١٩) في س وَب: عمو ـ في ب: بشهم ـ في س: يعلوا ـ في ب: تعلو.
(٢٠) في م وَ س: النعما ـ جدوا.
(٢٢) في م وَ س وب: معطاً.
(٢١) يختلف ترتيب الأبيات في م عنه في س وَب: البيت٢٢ في م هو٢٣ في س وَب ـ البيت٢٣ في م هو ٢٥ في س وَب ـ البيت ٢٤ في م هو ٢٢ في س وَب.
(٢٦) في م وَس وَب: الفتا.
(٢٧) قداره: قُدار بن سالف الذي يقال له أحمر ثمود، وهو عاقر ناقة صالح عليه السلام (اللسان: مادة قدر).

٢٩ . وعَـزمُ صلاح الـدين إذ جهلوه قدْ تسـلَّطَ فيهـمْ صَوتُـه وانـتـصـارُه

٣٠ . بَني أصفـرٍ ألقُـوا السلاحَ ووَجِدُّوا وإلاّ دهـاكُـم مَن سَبـاكُـمْ بِدَارُه

٣١ . فيوسُف أجـلاكم من الأرض عَنوةً ويُجـلى فمـا يُبـقـي عليكـم نفـارُه

٣٢ . وكم رامَ صَعبـاً جاءَ فيه بمعجـزٍ يقـوم لثـاءٍ في الـشـؤون انـتـشـارُه

٣٣ . وكم واجمٍ من رَوعـه في مُلوككُمْ عسـى الـفـتـحُ إبـداءً بهم مُستشـارُه

٣٤ . فأشْبـانُ مَنْ إثخانـه في تنافُـرٍ ترى جُنـده داهٍ لهـا مُسـتـطارُه

٣٥ . ورايتُـهُ الـصَّفـراءُ زاهٍ زفـافُهـا إلـيهـا ابـتـكـاراً حيثُ رَادَ ازديارُه

٣٦ . وأبنـاؤهُ أهـلُ المعـالي تنوَّرُوا هُداهُ فُروعـاً راقَ فيهـا ثِمـارُه

٣٧ . الأفضـلُ في الأمـلاك شخصُ فضـائل إذا عُدَّ ما قد خُصَّ عَزَّ انـحـصَـارُه

٣٨ . تَجـلَّى بُنـور الـدين مَاتَاهَ عصـرُنـا به نامـياً كهـل التَّمـام وَقـارُه

٣٩ . يلوحُ بدَارِ الـعـدل ذا أريحـيَّةٍ برأيٍ رَوَاهُ عبـرةً مُسـتـشـارُه

٤٠ . دمشقُ لهـا منهُ شمـائل يوسُف سَمَـاحـاً وإقـدامـاً حمى مستجـارُه

٤١ . عُلى سُرحـاً جلاّ مُنيرا مقـامُـهُ سَنـى لهـجٍ أزهـى مَداه ابـتـدارُه

٤٢ . حُليّ مِدحـاً يُسمى فينمى اعْتيامُهُ شذا أرجٍ بالـمـكـرمـات افتخـارُه

٤٣ . فَرى نُدحـاً إشـراقُـه وانتسـامُـه لمـبـتـهـجٍ يوم الـهـيـاج خِطارُه

٤٤ . يرى وَضَحـاً والنَّقـعُ داجٍ ظَلامُـهُ لدى لجُـجٍ يُزجـي الـكُمـاة شِعـارُه

٤٥ . مُداعسُ أبـطالٍ تَنازتْ فقـادها مَطايا أبّـيٍ لا يُرامُ قِطارُه

---

(٣٠) بدارُه: مبادرته. ابتدروا السلاح: تسارعوا إلى أخذه (القاموس المحيط مادة بدر).

(٣٢) في م وَ س: الشؤن.

(٣٣) في م: عسا.

(٤٠) في م: حَمَا.

(٤١) في ب: علا - في م وَ س: ازها.

(٤٢) اعتيامه: من عام يعيم ويَعام، والعيمة شهوة اللبن والعطش، والعيمة (بالكسر) خيار المال.

(٤٤) في م وَ س: يرا.

(٤٥) مداعس: الدعس، وهو شدة الوطء. والمداعسة المطاعنة. والمدعاس. الطعان.

٤٦ . لِعُلو المقامـاتِ استطال بفهمه | فتـىً هُويَدري أيْن يسمـو اختيارُه
٤٧ . فيوسف بين المُلك والدّين واقفٌ | بسيفٍ وشرعٍ دائرٍ حيثُ دارُه
٤٨ . مُحيّاه نُور المعتفى مُطلعٌ مُنىً | وأمنـاً وللعـادي على الرُّعب نارُه
٤٩ . وكـم صَادذا مُلكٍ يبـاهـي بجيشـه
فأسحـر حتـى ارْفضَّ عنـه اعتكـارُه
٥٠ . وأمَّ ديارَ الشـائدين ضَلالـةً | فبـادوا وشِيدتْ بالأمـانِ ديارُهُ
٥١ . أفاتـح دَار القُدس قُم لمعاندي | هُدىً وآلسَ السحـاكـي ذويه خيارُه
٥٢ . أُرقْ دَم أعـداءٍ من العلم والتُّقى | وقـد لبسُـوا ما آب وصمـاً عَوارُه
٥٣ . وجالس عُداةً من سَما وَضعتْ له | خيانـةَ عهـدٍ بيّنٍ فيه عارُه
٥٤ . ومـانتْ فبـانَتْ حيثُ أقطارُهـا دَنَتْ
ودانَ لك الأطـغـى مُبينـاً صغـارُه
٥٥ . وأيسُـوفيا ترجـوك مثـلَ قيامـةٍ | فذا الفتـحُ يعلُو العـالميْن جهـارُه
٥٦ . عدوُّك واهٍ حيثُ تمَّ سُفـورهُ | وأمْـرُك زاهٍ حيث أمَّ سفـارُه
٥٧ . وديباجُ سِحرٍ رقمُ أندلُسٍ سَمَا | وجـليَانَـةٌ بين البـلاد مَنارُه
٥٨ . فَمـا الشـآم أوعِراقٍ بفهـمـه | يَدٌ فبـأقطاب العُلوم مَدارُه
٥٩ . وقـد جهلوه صُورةً وقـراءةً | فمـاذا عسـى إبـداعُـه وابتكـارُه
٦٠ . إذا خُصَّ شخصٌ في الأنام بمعجِز | فليس لثـانٍ في مداه اقتـداره

تمت القصيدة المصدّرة الرائية .

---

(٤٨) في م وَس وَب: مُناً.
(٤٩) اعتكاره: اعتكر: كَرَّ وانصرف، واعتكروا: اختلطوا في الحرب. واعتكر العسكر: رجع بعضه على بعض فلم يُقْدَر على عَدّه.
(٥١) في م وَس وَظ: هُداً ـ والس: الولس: والموالسة: الخيانة والخديعة والمداهنة، توالسوا: تناصروا في خبٍ وخديعة.
(٥٣) في م وَظ: وخالس.
(٥٥) وايسو.
(٥٩) في م وَس: عسا.

(١٥)

(من الطويل)

(وهذه القصيدة المبسوطة الميمية):

١ . حبيبٌ تراءى وهو يأبى لِثامُهُ	ولاحظهُ صَبٌّ يثُورُ هُيامُهُ
٢ . رآه فلم يُسلم هَواه لشِركةٍ	وأربى عليه ما جَلاَهُ قَوامُه
٣ . بقدٍ رهيفٍ شارَكَ الغُصن مُزهراً	أعاليه إذ أجنى وأحيا غَمامُه
٤ . وخدٍّ نَهارٍ في بَهارٍ وفاترٍ	من الطَّرْف يأسُو ما يسوءُ اجترامهُ
٥ . ووعدٍ يُضيءُ الداجياتِ تَكاءَدَتْ	مِطالاً فَوافى عافياً مُسْتَهامُه
٦ . كما دَانَ هذا النَّاصِرُ المَلك وَفْده	بما هالَ إذ تَرْقى التِلالَ قيامُه
٧ . أَحالَ مُناويه وأنْمَى ولِيَّه	ودارَ عليهمْ جُودُه واعتزامُه
٨ . فيا صائدَ الأقماط طَوْلُكَ زَنْدُهُمْ	فَقَاتِلْ فريقَ الشّرك يَخْبُ اضطرامُه
٩ . لديك لواءُ الحمد واقٍ بيقظةٍ	شِماتَ عِدىً لا مِثْلَ لاوٍ مَنامُه
١٠ . فُديتَ فهل بعد الصَّحابة آمِرٌ	سواكَ ازْدِراعُ الباقياتِ مَرامُه
١١ . ومَنْ لَيْلُهُ فكرٌ وصدقُ عنايةٍ	تناهى ليُحْيي أُمةً مُسْتَدامُه
١٢ . فإن أظلمَ الإسلامُ أشرقَ منك ما	أجالَ به شَمْساً فذابَ ارتكامُه

★ التخريج: الأبيات في: ديوان التدبيج: م/١٤ - ١٥، س/١٣ - ١٤، ب/١١ - ١٢، ظ/١٤٧ - ١٤٩.

★ ★ ★

(١) في م وَ س وَ ب وَ ظ: ترآء وهو يأبا.

(٢) في ظ: وأربا. (٣) في م وَ س وَ ب وَ ظ: أجنا

(٥) في م وَ س وَ ظ: فوافا -

تكاءدت: صعبت، ادلهمت.

(٨) الأقماط: من قمط. يقال: قمط الأسير جمع بين يديه ورجليه بحبل. والقماط: الحبل ونحوه يقمط به.

(٩) في ب: وافٍ.

(١٠) في س وَ ب: امرُءٌ.

(١٢) ارتكامه. من الركْم، وهو جمع شيء فوق آخر حتى يصير ركاماً مركوما. ومنه السحاب المتراكم.

(١٣) في م وَس وَب وَظ: مُزْخاً.

١٣ . فبالصِّدْقِ ينقادُ المُلوي مُسابقاً بطاعتـه والفتحُ مُرْخيً زمامُه
١٤ . وما وارثُ الأملاكِ غيْرُ أخي وغىً أفاضَ يَداً يَعْلو الأنامَ حسامُه
١٥ . شذا أرَجٍ بالمَكْرُمات افتخارُهُ فَرى ندحاً إشراقه وانتسامُهُ
١٦ . لمبتهجٍ يومَ الهياج خطارُهُ يُرى وَضحاً والنَّقعُ داجٍ ظلامُه
١٧ . لدى لجج يُزجي الكُماة شعارُه مُديرُ رحىً للحرب صادٍ حُسامُه
١٨ . إلى مُهجٍ يُلقي الشّرار غِرارُهُ غداة طَحا والمشركين اقتحامُهُ
١٩ . أخو دُلجٍ مستنقذُ القدس ثارُهُ خَبا منحاً واستشعَر الأمن شامُه
٢٠ . بلا حَرَجٍ والنّاصرُ الملكُ جارُهُ صَطا مَرحاً صَولاً تلاه ابتسامُه
٢١ . على فَرجٍ أبدى فأحيا انتشارُه عُلى سُرحاً جَلّا مُنيرا مَقامُه
٢٢ . سنى لهجٍ أزهى مَداهُ ابتدارُه حُليّ مدحاً يُسمى فيُنمي اعتيامُه
٢٣ . به طالَ بيتُ القُدس يُدنى له الهُدى
ويبني حماهُ حيثُ أعيا مصامُه
٢٤ . وَمنْ يغلُ في التطلال إذكالهُ وغىً
رمى زرْعهُ فاصفرَّ بذراً حُطامُه
٢٥ . وكمْ لمَّ اشتاتاً على أزْمِ حالـه
وراد لورْدِ القوم حيث جهامُهُ
٢٦ . فضاهى بما أبْداهُ آل مُحمدٍ وقد أمَّ ما يُرضي السّلام ختامه

---

(١٤) في م وَس وَب وَظ: وَغاً.
(١٧) في م وَس: لدا ـ في م وَس وَب وَظ: رحاً.
(١٨) في س: مُبهج.
(٢٠) «صطا» وردت في البيت السادس عشر من القصيدة الرائية السابقة: «سطا».
(٢١) في م وَس وَظ: أبدا.
(٢٢) في ب وَظ: سنا ـ في م وَس وَظ: أزها.
(٢٣) في ب : أعمى -
مصامه: المصام: مقامه وموقفه. يقال: مصام الفرس، ومصامته، مقامه وموقفه.
(٢٤) في م وَس وَب وَظ: وغاً.
(٢٦) في م: فضاها.

٢٧ . لقــد جلّ ما قد جَلَّ من ضرر الــعِــدا
وإضْــرِ الــرَّدى إذ ساح وخــداً لهــامُــه
٢٨ . وقــد سارَ من حشــد وراءَ بحــارهــم
بفُــلكٍ وبَــرْكٍ مَوجُــهُ وقَــتَــامُــهُ
٢٩ . والافــرنـج منْ أسـرى ومـوتى ويُوسفٌ
أجــال عليهــم حَدّ وارٍ ضرامُــه
٣٠ . وكــم أكــثــروا جدّاً ومــا قاومُــوا يداً
لأمــرٍ سمــا جَداً ووالــى تمــامُــهُ
٣١ . وذلَّ إلــيهــم ذلّــة وَتَــرتْــهُــمُ وآسـف منـهـمْ من أذلَّ اعـتـصـامُــه
٣٢ . أيا باغتاً قُدساً والافـرنـج صلبوا لجـيش يُوافـي ما تَنـاهـى خيامُــه
٣٣ . إليك أفـاءَ المَـدْحُ نَسَّاجُ حكمتي غلائــلَ دُرٍ ما عَداكــم نِظامُــه
٣٤ . بمعجــرَرقمٍ عنــد إذن بصُنعِـهِ ألانَ شِمــاســاً فيه مَنْ ذا كلامُــه
٣٥ ومــا قَدْرُ قولي عنــد حُبّي إذا انـتـمـى
ومــنــه لقــلبــي ما سَبــاه لِزامَــه
٣٦ . فؤاد سَرَى تتـيمُــهُ لأنــذاً بكُــمْ لهــذا تعــاصــى في هواكــم فطامُــه
تمت القصيدة المبسوطة الميمية .

---

(٢٧) اللهامه : الكثير العظيم . يقال : الجيش اللهام أي الجيش الكثير كأنه يلتهم كل شيء.
(٢٨) برك : جماعة الإبل الباركة أو الكثيرة.
(٢٩) في م وَس وَب : ظرامه.
(٣٠) في م وَس وَب وَظ : ووالا.
(٣٢) في م وَظ : تناها.
(٣٥) في ظ : انتما.

(١٦)

(من البسيط)

وهذه الثمانية الأبيات الحائية من الدائرة:

١ . جَلاَّ مُنيراً مَقامُهُ سَنى لهجٍ	أزهى مداه ابتداره حُليٌ مِدحَا
٢ . يُسمي فَيُنمي اعتيامُهُ شَذا أرَجٍ	بالمكرُماتِ افتخاره فَرى نُدحا
٣ . إشراقُهُ وانتسامُه لمبتهجٍ	يومَ الهياجِ خِطارُهُ يُرى وَضَحا
٤ . والنَّقعُ داجٍ ظَلامُهُ لدى لجَجٍ	يُزجي الكُماة شعارُهُ مُديرُ رَحى
٥ . للحرب صادٍ حُسامُهُ إلى مُهجٍ	يُلقى الشَرارَ غِرارُهُ غداة طَحا
٦ . بالمشركين اقتحامُهُ أخو دلجٍ	مُستنقذُ القُدس ثارُهُ حَبَا مِنحا
٧ . واستشعرَ الأمن شامُه بلا حَرَجٍ	والنّاصِرُ الملكُ جارُه صَطا مَرحا
٨ . صولاً تلاهُ ابتسامُهُ على فَرَجٍ	أبدى فأحيا انتشارُهُ عُليً سُرُحا

★ التخريج:

الأبيات في ديوان التدبيج: م/١٥، س/١٤، ب/١٢، ظ/١٤٩ - ١٥١.

★★★

(١) في ب: «جلا مقاماً منيراً مقامه سنى لهج» بإضافة الكلمة «مقاماً»، وبذلك ينكسر الوزن. ويقارن هذا البيت مع البيت الحادي والأربعين في القصيدة الرائية السابقة في ب، فقد ورد فيها دون إضافة الكلمة «مقاماً».

في م وَس وَظ: أزها.

(٢) في م وَس وَب وَظ: شذى.

(٣) في م وَس وَب: يُرا.

(٤) في م وَس: لدا - في م وَس وَب وَظ: رحا.

(٦) في ظ: للمشركين. ويقارن هذا مع البيت الرابع عشر في القصيدة الرائية السابقة، فقد وردت: «بالمشركين». ويقارن أيضاً مع البيت الثامن عشر في القصيدة الميمية السابقة، فقد وردت: «والمشركين».

(٧) «صطا» وردت في البيت السادس عشر من القصيدة الرائية السابقة: «سطا». وانظر البيت ذي الرقم العشرين من القصيدة الميمية السابقة.

(٨) في س وَب وَظ: أبدا.

في م وَس وَب و: علا.

ويقارن هذا مع ما ورد في البيت الحادي والأربعين من الرائية السابقة، وما ورد في البيت الحادي والعشرين من الميمية السابقة.

(١٧)

(من البسيط)

وهذه الثمانية الأبيات الجيمية من الدائرة.

١ . مُستنقِـذُ القُـدس ثارُهُ حَبا مِنحـا واسـتـشـعـرَ الأمـن شامُـه بلا حَرَجِ
٢ . والنـاصـرُ الملكُ جارُهُ سَطا مَرِحـاً صَولاً تلاه ابـتـسـامُـهُ عَلى فَرجِ
٣ . أبْـدى فأحيا انتشـارُه عُليّ سُرحـا جَلّا منـيراً مقـامُـه سَنـى لهـجِ
٤ . أزهـى مَداهُ ابـتُـداره حُلى مدحـاً
يُسـمـى فينـمـي اعـتـيامُـه شذا أرجِ
٥ . بالمكـرُمـاتِ افتخـارُه فَرى نُدحـا إشـراقُـهُ وانـتـسـامُـهُ لمـبـتهـجِ
٦ . يَومَ الـهـياجِ خِطارُه يُرى وضحـاً والـنـقـعُ داجٍ ظلامُـه لدى لُجُجِ
٧ . يُزجي الكمـاة شِعـارُه مُديرُ رحيً للحـرب صادٍ حسـامُـه إلى مُهـجِ
٨ . يُلقـي الـشـرَّار غِرارُه غداة طحـا بالمشـركين اقتحـامُـه أخـو دُلـجِ

★ التخريج :

الأبيات في ديوان التدبيج : م/١٥، س/١٤، ب/١٢ ـ ١٣، ظ/١٥١.

★ ★ ★

(٢) في ظ : صطا. ويقارن هذا البيت مع البيت السادس عشر من القصيدة الرائية، والبيت العشرين من القصيدة الميمية، والبيت السابع من القصيدة الحائية.

(٣) في م وَ س وَ ظ : أبدا.

في ب : عُلا ـ في م : سنا.

ويقارن هذا مع البيت الحادي والأربعين من القصيدة الرائية، والبيت الثاني والعشرين من القصيدة الميمية، والبيت الأول من القصيدة الحائية.

(٤) في م وَ س وَ ظ : أزها ـ في ب وَ ظ : حُلًا.

في م وَ س وَ ب : (اعتيامه) لمبتهج.

(٦) في م وَ س وَ ب : يُرا.

في م وَ س وَ ب : لَدا.

(٧) في م وَ س وَ ب وَ ظ : رحا.

(٨) في ظ : للمشركين. ويقارن هذا مع البيت الرابع عشر من القصيدة الرائية، فقد وردت «بالمشركين».

ويقـارن أيضاً مَع البيت الثـامن عشـر في القصيدة الميمية، فقد وردت : «والمشركين»، ويقارن مع البيت السادس من الحائية، فقد وردت «بالمشركين».

تمت القصـائد التي اشتملت عليها المدبجة القدسية المسماة مدبجة[٩] رهان الأذهان.

(٩) ليست في: س وَب.

المدبجة العزيزية

بهر الأحلام بسحر الكلام

(القصيدتان ١٨، ١٩)

(٥٩٠ هـ)

قال[١] عبدالمنعم بن عمر بن حسان الغساني الأندلسي الجلياني [رحمه الله][٢]:

هذا صدرٌ أنشأته ليكون توطئةً للمدبجة العزيزية المسماة[٣] «بهر الأحلام، بسحر الكلام»، أنشأتها في سنة تسعين وخمسمائة.

الحمد لله الذي أظهر دينه، وشهر توطئته وتهدينه، وحمى أهله من الشرك أن يدينه، بالراية السعيد رأيُها، الحميد رعيها، السديد وعيها، المنشورة لإقبال الفتوح بين يدي الملك العزيز عماد الدين أبي[٤] الفتح عثمان بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، شيَّد الله دولته بالتأييد، والنصر المديد، والإسعاد العتيد، كما جبر به الأمور وقد هيضت[٥]، وأجرى ينابيع المكارم وقد غيضت[٦]، وذلّل الجنود الصعبة إذ ريضت، فاطمأنت[٧] القلوبُ الواجفة[٨]، واستكنت الجنوب الراجفة، وأمنت الثغر الخائفة، وأذعنت الزمر الجائفة، بعزم الملك العزيز، أهل التقدم والتبريز، والأقدام والتنجيز، الذي جلا بلألائه زمانه، فعرف الخلائقُ من الفضل مكانه، فانساق إلى خدمته من أقدر، واشتاق

(١) نشرت هذه المدبجة في مجلة (Islamica) عدد (٢) - سنة ١٩٢٧م/ ٥٦٧ - ٥٧٣.

(٢) ما بين القوسين المركنين إضافة من: س. وهي موجودة في مجلة (Islamica).

(٣) في ظ: التي تلقب.

(٤) في م وَس وَظ: أبو، وهي كذلك في مجلة (Islamica).

(٥) هيضت: انكسرت.

(٦) غيضت: قلت ونقصت.

(٧) في م: فاطمَنّت.

(٨) الواجفة: المضطربة

إلى رؤيته من أُحصر، واني قد صغتُ للبة جلاله، حلية سنية من جوهر خلاله، وبعثت بها إلى المقام العالي، معبرةً عما خص به من المعالي، وكنت مذ نقل المـرحـوم الملك النـاصـر، نضر الله وجهه في المقربين، وأعلى درجاته في عليين، أمسكت عن صياغة النظم لسواه، أو محاضرة ذي أمر لنجواه، حتى تبلج هذا الأمر الرشيد، والملك المشيد، فاعتقدت فرضا أن أصف مفاخره، بمبتكرٍ يغبط آثره، ويخلد في الأجيال مآثره، مشتملٍ على قصيدة نظمٍ مطلقةٍ موسـومةٍ باسمه، ذات حكم علميةٍ، وأمثالٍ سياسيةٍ، وعلى مدبجة عزيزيةٍ، فريدة[10] معجزة اسمها «مدبجة بهر الأحلام بسحر الكلام».

---

(١٠) ليست في س. وهي غير موجودة في (Islamica).

(١١) انظر: ديوان التدبيج: م/٢١ - ٣٠. س/٢١ - ٣٠. ظ/١١٩ - ١٢٩.

(١٨)

(من البسيط)

وأول قصائد هذه المدبجة القصيدة المسماة الواصفة العزيزية الموسومة ذات الحكم العلمية، والأمثال السياسية، استفتاحها، على بركة الله تعالى»[1]:

١ . هي العَزائم لا بيضٌ وخرصانُ بها استباحَ العُلى الأيقاظُ أو صانُوا

٢ . الملكُ دعوى إذا ما العزم صَدَّقها أتتْ فُتوحٌ لها في الخلق بُرهانُ

٣ . فالصدْق في القول والأفعالِ قاعدةٌ لكلِّ أمرٍ له في الناس بُنيانُ

ومنها[2]:

٤ . يا ابن الذي طَهَّرَ البيت المُقدس من جيلٍ تعبدهُمْ رجسٌ وأوثانُ

٥ . أنت المرُادُ لطهرِ السَّاحلين معاً سَارع إليه تُطعك الرُّوم واللاّنُ

★ التخريج:

الأبيات في: ديوان التدبيج: م/٢٢، ٢٤، س/٢١، ٢٣، ظ/١٠٧، ١١٠، Islamica / ٥٦٨، ٥٧٠.

★ ★ ★

(١) انظر: ديوان التدبيج: م/٢٢، س/٢١، ظ/١٠٧.

(وانظر بقية القصيدة في م/٢٢ ـ ٢٤، س/٢١ ـ ٢٣، ظ/١٠٧ ـ ١١١، Islamica / ٥٦٨ ـ ٥٧٢.

وتقع في اثنين وستين بيتاً).

(٢) انظر: ديوان التدبيج: م/٢٤، س/٢٣، ظ/١١٠، Islamica / ٥٧٠.

★ ★ ★

(١) في س: ولا (خرصان).

(١٩)

(من الطويل)

وثاني قصائد هذه المدبجة، قصيدة ميمية أولها[1]:

١ . أفاضَ النَّدى فوق الغنى للمُسالمِ وأفنى العِـدا تحت القَنـا والصَّـوارِمِ

٢ . عمادُ الهُدى الملك العزيز الذي به نَمت معـظمـاتٌ في فروع المكـارِمِ

ومنها[3]:

٣ . عمـادُ الهُـدى الملكِ العـزيزبن فاتـح الـ ـمُـقـدس والأفـرنـج أدهـى معـاقـمِ

٤ . أفـاضَ النَّـدى فوق الغنى للمُسالم وأفـنـى عوادي من نبـا نبـوَ قاحِـمِ

★ التخريج:

الأبيات في: ديوان التدبيج: م/٢٩، س/٢٨، Islamica / ٥٧١، ٥٧٣.

والبيتان الثالث والرابع في: ديوان التدبيج: ظ/١١٣.

★ ★ ★

(١) انظر: ديوان التدبيج: م/٢٩ ـ ٣٠. س/٢٨ ـ ٢٩. ظ/١٣ Islamica / ٥٧١ ـ ٥٧٣.

(وتقع في أربعين بيتاً في م وَ س. وهي في ظ سبعة عشر بيتاً فقط، فقد وقع خرم في هذه النسخة من المخطوطة)، وسقطت منها الأبيات السبعة الأولى، وسقطت الأبيات الأخيرة الستة عشرة، ولم يذكر فيها سوى البيتين الثالث والرابع).

(٣) انظر: ديوان التدبيج: م/٢٩، س/٢٨، ظ/١١٣، Islamica / ٥٧١، ٥٧٢.

★ ★ ★

(١) في م وَ س: الغنا ـ وأفنا.

(٤) في م وَ س: الغنا.

المدبجة ذات الأنهار الأربعة

في الملك الظاهر بن صلاح الدين

(القصائد ٢٠ ـ ٢٢)

(من الطويل)

قال[١] عبدالمنعم بن عمر[٢] بن حسان الغساني الأندلسي الجلياني في سنة ٦٠٢ هـ. الحمد لله الذي جعل الملوك صفوة الأنام، وجلوة الأيام، وقدوة الأحكام، وأسوة الأحكام، فهم نورٌ لدى الأظلام، ونارٌ على الأعلام، إلى فَنائهم[٣] يرتجل أربابُ الأحلام، وفي ثنائهم[٤] يرتجلُ أصحابُ الأقلام، فكم فيهم من ذي هممٍ يرتاد جذب الخبير الماهر، وذي شيمٍ يقتادُ قلب البصير الطاهر، كمثل شمائل الملك الظاهر، لأنه أكمل الملوك النظار فهما، وأنفذهم في رمايا الأسرار سهما، فنظرهُ إذا فوق إلى أغراض المشكلات أصمى[٥] وفضَّ عُرى الحوادث المعضلات فصما، فنواصل الحمد لله الذي اختص هذا الملك بما لم يجر مثله في الأوهام، ويسر لنا تحبير ذكره بسابق الإذن منه والإلهام، وصلواته على سيدنا محمد أفصح ناطقٍ بجوامع الكلام، وأنصح صادق يدعو إلى دار السلام، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، دراريّ آفاق الإسلام. أما بعد، فإنه لما أذن الله تعالى[٦] لي بالحركة إلى المقام الظاهري الأرفع، قادماً عليه بأعجب التحفة من المقال المبدع، من مدبجة خرقت العوائد صياغتها، واستغرقت الأوابد بلاغتها، وما يساوقها مما يعجب مملوحهُ ومسموعُهُ، ويعجز المعتاضين منظومه ومسجوعه، فتلقاه باعتبار المطلع الألمعي، وأدرك منه ما

---

(١) هناك خرم في ب، وَ ظ، فقد سقطت مقدمة هذه المدبجة وصورتها من ب (انظر م ٩٣ ـ ٩٩، وَ س ٨٧ ـ ٩٣). وسقطت مقدمة المدبجة وصورتها، وكيفية قراءتها، والأبيات الستة الأولى منها، من ظ.

(٢) ليست في س.

(٣) في م: فناءيهم.

(٤) في م: ثناءيهم.

(٥) في م وَ س: أصما.

(٦) ليست في: س.

يعـزب عن الأصمعي، ثم أسـال نائله سيل الوابل الربيعي، جوداً تعدى حدَّ العـرضي فيضاً والطبيعي، فعاينت من دقائق اطلاعه، وجلائل اصطناعه، ما يضيق الوصف عن اتساعه، ولو طال في البلاغة امتداد باعه. وهذه المدبجة ذات الأنهار المضاعفة، ذات الأنهار الأربعة، أولها الدوحة الغضراء[1] «سرحة الأحكام وأُعجوبةُ الكلام»، وهي صورة شجرتين ملتفتين تشتمل على أربعين بيتاً عينيـه، لزومية، مزدوجة اللزوم، متناظرة، متقابله، الذي على اليمين مثله عن اليسار في مثل موضعه وشكله، مفرعاً من الأصل على هيئة الآخر، فاعتبر ذلك»[2].

وقال عبدالمنعم الجلياني، في أول مدبجته هذه، قصيدته العينية الموسومة بـ «الدوحة الغضراء، سرحة الإحكام، وأعجوبة الأنام، وأولها[3]:

١ . سَبـا بالحُسـام العضبِ كُلَّ منازعٍ وأورد بحـر الجـودِ صفـو المشـارع

ولـمـا فرغ من القصيدة العينية، انتقـل إلى القصيدة الـرائية، من قصـائـد هذه المدبجة، وأولها[4]:

٢ . سَبـا الـقـلبَ مني مُوقـداً أواره غَزالٌ ثواهُ باغـياً في جوارِه

---

(١) الغضراء، الأرض الطيبة.

(٢) انظر: ديوان التدبيج: م/٩٣، ١٠٠، س/٨٧، ٩٤، ب/٤٧.

(٣) انظر: المصدر نفسه: م/١٠٠، س/٩٤، ب/٤٧.

(وانظر بقيتها في م/١٠٠ - ١٠١، س/٩٤ - ٩٥، ب/٤٧ - ٤٨، ظ/١٦١ - ١٦٣. وتقع في أربعين بيتاً في كل من م وَس وَب، وتقع في أربعة وثلاثين بيتاً في ظ، فقد سقطت الأبيات الستة الأولى منها).

★ التخريج:

البيت الأول من القصيدة العينية في: ديوان التدبيج: م/١٠٠، س/٩٤، ب/٤٧.

★ ★ ★

الأبيات ٢ - ٥ من القصيدة الرائية في: ديوان التدبيج: س/٩٥، ٩٧، ظ/١٦٣، ١٦٥، ١٦٧.

والبيت الثاني منها في: ديوان التدبيج: م/١٠١، ب/٤٨.

★ ★ ★

(٤) انظر: ديوان التدبيج: م/١٠١، س/٩٥، ب/٤٨، ظ/١٦٣.

(وانظر: بقيتها في م/١٠١ - ١٠٢، س/٩٥ - ٩٧، ب/٤٨ - ٤٩، ظ/١٦٣ - ١٦٦. وتقع في

ومنها(١):

٣. تباشرَ حزبُ الظاهر الملكِ إذ رأوا سُلوكَ مُعانٍ راشدٍ في افتقارِه

٤. كدأب أبيه الفاتحِ القُدس حوْله صَنادِيدُ شِركٍ وهي خَشوُ جداره

ومنها(٢):

٥. وجدٌّ فبان الكفرُ إذ بانَ أهلُهُ من الشام مطروداً جلا عن قراره

ولما فرغ من القصيدة الرائية، انتقل إلى أربعة أبيات منها(٣)، ثم انتقل إلى القصيدة اللامية(٤) من قصائد هذه المدبجة، وأولها(٥):

١. حَمى المسجدَ الأقصى فطالَ مطهراً وأودعهُ جمعاً كباراً رجالُهُ

٢. بذُولاً لفانٍ شرف الخلق نائلاً فعولاً لباقٍ شارف الأفق نالهُ

٣. فواتحُ نعماهُ بها قَرَّوُدُه وإكرامُ مثوى عهده واشتمالُهُ

٤. ففي القلعةِ الشَّهباء من بعده ابنه بقوّة عزم كلُّ مصرٍ عيالُه

واحد وستين بيتاً، كما في س و ظ، ونقصت ثلاثين بيتاً في الأصل (م)، وهي الأبيات الواردة في س/٩٦ب، ٩٧أ. وذكرت (ب) ثلاثة وعشرين بيتاً منها، وسقط منها بذلك ثمانية وثلاثون بيتاً، وهي الأبيات الواقعة في س/٩٦أ.

(٢) انظر: ديوان التدبيج: س/٩٧.

(٣) انظر: المصدر نفسه: س/٩٧، ظ/١٦٦.

(٤) انظر: المصدر نفسه: م/١٠٢، س/٩٧، ظ/١٦٦، ١٦٧.

(٥) انظر: المصدر نفسه: م/١٠٣، س/٩٨، ظ/١٦٧، ١٦٦.

★★★

★ التحريج.

الأبيات ١ ـ ٤ من القصيدة اللامية في: ديوان التدبيج: م/١٠٣، س/٩٨، ظ/١٦٧، ١٦٨.

★★★

(وانظر بقيتها في المصدر نفسه: م/١٠٣، س/٩٨، ظ/١٦٧، ١٦٨، وتقع في أربعة عشر بيتاً في كل نسخة من نسخ المخطوط).

★★★

الملحق

(أ)

(من الطويل)

قال حكيم الزمان أبوالفضل عبدالمنعم بن عمر بن حسان الغساني الجلياني الأندلسي، في سنة ٥٦٢ ه، مناجاة، يذكر فيها المسجد الأقصى[1]:

١ . سألتُك يا وهَّابُ بالآية الكُبرى ... وبالساحة الغبراء والقبة الخضرا

٢ . وبالمسجد الأقصى، وبالحبل، والعصا ... وبالنشأة الأولى، وبالنشرة الأخرى

٣ . وبالنور، والبرهان، والفيض، والبها ... وبالصبغة العظمى، وبالحكمة الغرّا

٤ . أنِلني ما شوَّقتني لمنالِه ... وأسعد به جدي، وزدني به فخرا

٥ . وأوجد فؤادي منه روحاً وراحةً ... تطيبُ لي نفساً، وتشرح لي صدرا

★ التخريج:

الأبيات في: ديوان الحكم وميدان الكلم (تحقيق كتاني)/ ٨٤، ديوان الحكم وميدان الكلم (تحقيق الثقفان)/ ١٦٧.

★ ★ ★

(١) انظر: بقيتها في: ديوان الحكم.

(١) الآية الكبرى: إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فأراه الآية الكبرى﴾ (النازعات الآية رقم ٢٠)

الساحة الغبراء: الأرض.

القبة الخضرا: السماء.

(٢) إشارة إلى العصا التي قلبت حية في يد موسى عليه السلام. وإشارة إلى قصص سيدنا موسى عليه السلام، حين تجمع السحرة.

(ب)

(من الخفيف)

وقال الحكيم أبوالفضل عبدالمنعم بن عمر بن حسان الغساني، الجلياني، الأندلسي، نفحة عُلوية، في سنة ٥٩٦ هـ، وذكر فيها القدس وسلوان[١]، ومنها[٢]:

١. كُن عزيزاً أو عزَّ عمَّا يعزُّ ... سترِحْ من قِران همٍ يلزُّ
٢. واسرح القلب في المقدس بالمسـ ... ـجد الأقصى، هناك للجذع هزُّ
٣. واسقِهِ كلما اشتكى غلةً من ... عين سلوان، حيثُ بورك نزُّ
٤. فبسلوان ريُّهُ، لا سِواه ... وهو ينفي عنه كُلوماً تحزُّ
٥. فاغسل القلب بالسُّلوِّ إلى أنْ ... لا تراه بحادث يُستفزُّ

★ التخريج:

الأبيات في: ديوان الحكم وميدان الكلم (تحقيق كتاني)/٤٧٣.

★★★

(١) قال ابن البّناء البّشاري المقدسي: سلوان محلّة في ربض بيت المقدس تحتها عين عذبة تسقي جناناً عظيمة، وقفها عثمان بن عفان، رضي الله عنه، على ضعفاء بيت المقدس. ويقال: عين سلوان عين نضّاخة يتبرك بها، ويستشفي منها بالبيت المقدس.

(انظر: معجم البلدان ٣/٢٤١).

(٢) ديوان الحكم وميدان الكلم/ ٤٧٣.

(جـ)

(من الطويل)

وقال الحكيم أبوالفضل عبدالمنعم بن عمر بن حسان الجلياني الأندلسي قصيدة مناجاة، في سنة ٥٩٧ هـ، ويتحدث فيها عن القدس[1]:

١ . إلهي أجرني من شُرور بني نوعي ... فهم كالأفاعي تنفثُ السُّمَّ بالطبعِ
٢ . فكم يرقبون الحرَّ، يبغون وصمةً ... وكم يجلبون الضرَّ للبيِّن النفع
٣ . وكم يقلبون الصُّبح في الفضل ظلمةً ... وكم ينسبون القبح للحسن الصُّنع
٤ . أُطاوعهم جهدي ، فيهوون مُكرهي ... وأوسعهم رفدي ، فيسعون في منعي
٥ . وأدنو إليهم للتآلف ، إذ بهم ... كأنجرةٍ خضراء تسبق باللذع
٦ . وجدتُ لألف الوحش والطير حيلةً ... ولا حيلةً في أُلفةٍ من بني نوعي
٧ . فياربِّ أنت المستغاثُ ، فلا تدع ... لهم كفَّ بغيٍ ، أو تُكافيه بالقطع
٨ . ولا تبق منهم مُنكراً ألفضيلةٍ ... ولا حاسداً يرمي الأكابر بالوضع
٩ . ولا ذا رياءٍ ينصُبُ الدين مجمعاً ... ليأكل لحم الأتقياء على الشبع
١٠ . ولا مُغرياً بالسُّوء، يصغي تحسباً ... ولا مُطرياً في السُّوْل يبغيه بالخدع
١١ . دعوتك يارحمن في بعض مكرهمْ ... وعلمُك فيهم فوق ما ناله وسعي
١٢ . فشرِّدْهُم عني بكيدك ، إنهم ... قد انخلعوا من ربقة العقل والشَّرع
١٣ . وفي الملأ الأعلى ، فحقق تألُّفي ... بخير رفيقٍ للوحيد وللجمع
١٤ . مقيماً بضاحي ربع قُدسك عاكفاً ... عُكوف تجافٍ عن سوى ذلك الرَّبع
١٥ . أُراقبُ من آفاق جودك نفحةً ... تُثبتُ ما يلقى على القلب والسَّمع

★ التخريج :

الأبيات في : ديوان الحكم وميدان الكلم (تحقيق كتاني)/ ٥١٧ - ٥١٨ .

★ ★ ★

(١) ديوان الحكم وميدان الكلم ٥١٧ - ٥١٨.

(٥) الأنجر: كلمة فارسية، ومعناها: مِرْساة السفينة، وقيل: خشبات يفرغ بينها الرصاص المذاب، فتصير كأنها صخرة، ورؤوس الخشب نائتة تشد بها الحبال، وترسل في الماء.

والأنجرة: اسم جنس من النبات، وهو بالفارسية أنْجورة وبالعربية قُرّاص. والقراص نبت ينبت في السهول. والقيعان، والأدوية، وهو حامض يقرص إذا أُكل منه شيء. واحدته قُرّاصة. ويقال بالعامية: قُريص.

(انظر: اللسان: مادة نجر، المعرب/٧٥).

فهرست المصادر والمراجع

المخطوطات

- ديوان أدب السلوك - عبدالمنعم بن عمر بن حسان الغساني الجلياني الأندلسي - نسخة مخطوطة برلين.
- ديوان التدبيج أو ديوان المدبجات أو ديوان منادح الممادح وروضة المآثر والمفاخر في خصائص الملك الناصر - الحكيم أبوالفضل عبدالمنعم بن عمر بن حسان الغساني الجلياني الأندلسي:
  - نسخة مخطوطة مانشستر.
  - نسخة مخطوطة أُبسالا.
  - نسخة مخطوطة أحمد الثالث.
  - نسخة مخطوطة الظاهرية
    (وهي مأخوذة عن نسخة الخالدية في بيت المقدس).
  - نسخة مخطوطة المكتبة الأهلية بباريس.
- ديوان الحكم وميدان الكلم - أبوالفضل عبدالمنعم بن عمر الغساني الأندلسي الجلياني:
  - تحقيق فخري كتاني - رسالة ماجستير - جامعة القاهرة.
  - تحقيق عبدالله علي ثقفان - رسالة ماجستير - جامعة الرياض.
- عقود الجمان في شعراء هذا الزمان - ابن الشعار الموصلي، كمال الدين أبوالبركات المبارك بن أبي بكر أحمد... (ت ٦٥٤ هـ). نسخة مكتبة اياصوفيا - استانبول.
- ملخص تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام - شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.
  (نسخة مصورة بمكتبة الجامعة الأردنية).

المطبوعات

ـ الإحاطة في أخبار غرناطة ـ لسان الدين بن الخطيب.
حقق نصه، ووضع مقدمته وحواشيه محمد عبدالله عنان ـ الطبعة الثانية ـ مكتبة الخانجي بالقاهرة ـ ١٣٩٣ ـ ١٣٩٧ هـ، ١٩٧٣ ـ ١٩٧٧ م.

ـ الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان المسماة بالمآخذ الكندية من المعاني الطائية ـ ضياء الدين بن الأثير ـ تقديم وتحقيق د. حفني محمد شرف ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ ١٩٥٨ م.

ـ الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ـ ابن شداد، عزالدين أبوعبدالله محمد بن علي بن إبراهيم (ت ٦٤٨ هـ)،

★ تاريخ مدينة دمشق ـ عني بنشره وتحقيقه ووضع فهارسه د. سامي الدهان ـ المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ـ ١٣٧٥ هـ/١٩٥٦ م.

★ تاريخ لبنان والأردن وفلسطين ـ عني بنشره وتحقيقه ووضع فهارسه د. سامي الدهان ـ المعهد الفرنسي للدراسات العربية ـ دمشق ـ ١٣٨٢ هـ/١٩٦٢ م.

ـ الأعلام ـ خير الدين الزركلي ـ دار العلم للملايين ـ الطبعة الرابعة ـ بيروت ـ ١٩٧٩ م.

ـ البداية والنهاية ـ أبوالفداء، الحافظ بن كثير.
(ت ٧٧٤ هـ) ـ مكتبة المعارف ـ بيروت.

ـ البديع في نقد الشعر ـ أسامة بن منقذ ـ تحقيق د. أحمد بدوي، ود. حامد عبدالمجيد ـ مراجعة إبراهيم مصطفى ـ مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر ـ القاهرة ـ ١٣٨٠ هـ/١٩٦٠ م.

ـ بلادنا فلسطين ـ مصطفى مراد الدباغ.

★ في بيت المقدس ـ دار الطليعة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٩٥ هـ/١٩٧٥ م.

★ ديار الجليل ـ دار الطليعة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٩٤ هـ/١٩٧٤ م.

ـ تاريخ الأدب العربي ـ بروكلمان.

- تاريخ إربل (المسمى نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل) - شرف الدين أبوالبركات المبارك بن أحمد اللخمي الإربلي، المعروف بابن المستوفي (ت ٦٣٧ هـ) - حققه وعلق عليه سامي بن السيد خماس الصقار - دار الرشيد للنشر - منشورات وزارة الثقافة والإعلام - ١٩٨٠ م.
- تاريخ الحروب الصليبية - رنسيمان - نقله إلى العربية د. السيد الباز العريني - دار الثقافة - بيروت - الطبعة الأولى.
- تاريخ قضاة الأندلس - الشيخ أبوالحسن بن عبدالله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي - منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت - ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م.
- تاريخ المزة وآثارها - شمس الدين محمد بن علي بن طولون (ت ٩٥٣ هـ) - تحقيق محمد عمر حمادة - دار قتيبة - دمشق - الطبعة الأولى - ١٤٠٤ هـ/١٩٨٣ م.
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب (نقد الشعر) من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري - د. إحسان عباس - دار الأمانة - مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى - بيروت - ١٣٩١ هـ/ ١٩٧١ م.
- تذكرة الحفاظ - أبوعبدالله، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - دار إحياء التراث العربي - ١٣٧٤ هـ.
- ترويح القلوب في ذكر الملوك من بني أيوب - المرتضى الزبيدي - (ت ١٢٠٥ هـ) - تحقيق د. صلاح الدين المنجد - دمشق - ١٣٩١ هـ/ ١٩٧١ م.
- تكملة إكمال الاكمال في الأنساب والأسماء والألقاب - جمال الدين أبوحامد محمد بن علي المحمودي، المعروف بابن الصابوني (ت ٦٨٠ هـ) - حققه وعلق عليه د. مصطفى جواد - مطبعة المجمع العلمي العراقي - ١٣٧٧ هـ/ ١٩٥٧ م.
- تهذيب تاريخ دمشق الكبير - الحافظ أبوالقاسم علي بن الحسن بن هبة الله، المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١ هـ) - هذبه ورتبه الشيخ عبدالقادر بدران

(١٣٤٦ هـ) ـ دار المسيرة ـ بيروت ـ ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩ م.
ـ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ـ كمال الدين أبوالفضل عبدالرزاق بن الفوطي البغدادي ـ مطبعة الفرات ـ بغداد ـ ١٣٥١ هـ.
ـ خريدة القصر وجريدة العصر ـ العماد الأصفهاني (ت ٥٩٧ هـ) ـ قسم شعراء ـ المغرب والأندلس ـ تحقيق د. عمر الدسوقي، ود. علي عبدالعظيم ـ دار نهضة مصر للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٦٤ م، ١٩٦٩ م
★ قسم شعراء المغرب والأندلس ـ تحقيق آذرتاس آذرتوش ـ نقحه وزاد عليه: محمد المرزوقي، ومحمّد العروسي المطوي، والجيلاني بن الحاج يحيى ـ الدار التونسية للنشر ـ ج ١: النشرة الثانية ـ ١٩٧٣ م، ج ٢: ١٩٧١ م، ج ٣: ١٩٧٢ م.
ـ الخطط المقريزية (أو المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) ـ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ـ دار صادر للطباعة والنشر ـ بيروت.

ـ الدارس في تاريخ المدارس ـ عبدالقادر بن محمد النعيمي الدمشقي ـ (ت ٩٢٧ هـ) ـ عني بنشره وتحقيقه جعفر الحسني ـ مطبعة الترقي بدمشق ـ ج ١: ١٣٦٧ هـ/ ١٩٤٨، ج ٢: ١٣٧٠ هـ/١٩٥١ م.
ـ ديوان أبي تمام ـ تحقيق د. محمد عبده عزام.
ـ ديوان أبي الطيب المتنبي ـ شرح العكبري.
ـ ذيل تاريخ بغداد ـ الحافظ محب الدين بن محمد بن محمود بن الحسن المعروف بابن النجار البغدادي (ت ٦٤٣ هـ) ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان.
ـ الذيل على الروضتين في أخبار الدولتين (أو تراجم رجال القرنين السادس والسابع للهجرة) ـ أبوشامة المقدسي، عبدالرحمن بن اسماعيل (ت ٦٦٥ هـ) ـ عرف الكتاب، وترجم للمؤلف، وصححه محمد زاهد بن الحسن الكوثري ـ عني بنشره، وراجع أصله عزت العطار الحسيني ـ دار الجيل ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٧٤ م.

- الـذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ـ أبوعبدالله محمد بن محمد بن عبـدالملك الأنصاري الأوسي المراكشي (ت ٧٠٣ هـ) ـ السفر الخامس ـ تحقيق د. إحسان عباس ـ نشر وتوزيع دار الثقافة ـ بيروت.
- ذيل مرآة الزمان ـ قطب الدين أبوالفتح موسى بن محمد بن أحمد اليونيني البعلبكي الحنبلي (ت ٧٢٦ هـ) ـ الطبعة الأولى ـ حيدر آباد الدكن ـ الهند ـ ١٣٧٤ هـ/١٩٥٤ م، ١٣٨٠ هـ/١٩٦١ م.
- رايات المبرزين وغايات المتميزين ـ ابن سعيد الأندلسي ـ تحقيق د. النعمان عبدالمتعال القاضي ـ القاهرة ـ ١٣٩٣ هـ/١٩٧٣ م.
- الروض المعطار ـ في خبر الاقطار ـ محمد بن عبدالمنعم الحميري ـ حققه د. إحسان عباس ـ مكتبة لبنان ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٨٤ م.
- (كتاب) الروضتين في أخبار الدولتين ـ أبوشامة المقدسي:
الجزء الأول: تحقيق د. محمد حلمي محمد أحمد، مراجعة د. محمد مصطفى زيادة. القاهرة. القسم الأول: ١٣٧٦ هـ/١٩٥٦ م، القسم الثاني: ١٩٦٢ م/ القاهرة.
- (كتاب) الروضتين في أخبار الدولتين ـ أبوشامة المقدسي ـ دار الجيل ـ بيروت.
- السلفي، الحافظ أبوطاهر ـ د. حسن عبدالحميد صالح.
- سياسة صلاح الدين الأيوبي في بلاد الشام ومصر والجزيرة (٥٧٠ ـ ٥٨٩ هـ/ ١١٧٤ ـ ١١٩٣ م) ـ د. دريد عبدالقادر نوري ـ مطبعة الإرشاد ـ بغداد ـ ١٩٧٦ م.
- سير أعلام النبلاء ـ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.
ج٢١: حققه د. بشار عواد معروف، ود. محيي هلال السرحان ـ مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الأولى ـ بيروت ـ ١٤٠٤ هـ/١٩٨٤ م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ ابن العماد الحنبلي، أبوالفلاح عبدالحي (ت ١٠٨٩ هـ) ـ منشورات دار الآفاق الجديدة ـ بيروت.

- شعلة الإسلام - هارولد لامب - ترجمة محمود عبدالله يعقوب - مراجعة د. جمال الدين الشيال - مكتبة المثنى - بغداد - ١٩٦٧ م.
- شفاء القلوب في مناقب بني أيوب - أحمد بن إبراهيم الحنبلي (ت ٨٧٦ هـ) - تحقيق ناظم رشيد - من منشورات وزارة الثقافة والفنون - الجمهورية العراقية - ١٩٧٨ م.
- صلة الصلة - أبوجعفر أحمد بن الزبير. مكتبة خياط - بيروت.
- طبقات الشافعية الكبرى - تاج الدين أبونصر عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي السبكي (ت ٧٧١ هـ) - تحقيق محمود محمد الطناجي، وعبدالفتاح محمد الحلو - الطبعة الأولى، مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- العبر في خبر من عبر - شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - تحقيق فؤاد سيد.
- علاقات بين الشرق والغرب - عبدالقادر يوسف - منشورات المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - ١٩٦٩.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه - ابن رشيق القيرواني - حققه وعلق حواشيه محمد محيي عبدالحميد - مطبعة حجازي - الطبعة الأولى - القاهرة - ١٣٥٣ هـ/١٩٣٤ م.
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء - ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي - شرح وتحقيق د. نزار رضا - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - ١٩٦٥ م.
- الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة - ابن سعيد أبوالحسن علي بن موسى الأندلسي (ت ٦٨٥ هـ) - تحقيق إبراهيم الأبياري - الطبعة الثانية - دار المعارف بمصر - ١٩٦٧ م.
- غوطة دمشق - محمد كرد علي - دار الفكر - دمشق - الطبعة الثالثة - ١٤٠٤ هـ/١٩٨٤ م.
- الفتح القسي في الفتح القدسي - العماد الأصفهاني.
تحقيق وشرح وتقديم محمد محمود صبح - الدار القومية للطباعة والنشر.

- فوات الوفيات - محمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤ هـ) - تحقيق د. إحسان عباس - دار صادر - بيروت. ١٩٧٣ - ١٩٧٤ م.
- في رحاب دمشق - محمد أحمد دهمان - دار الفكر بدمشق - الطبعة الأولى - ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م.
- القاموس المحيط - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي - مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر - الطبعة الثانية - ١٣٧١ هـ/١٩٥٢ م.
- القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية - محمد بن طولون الصالحي (ت ٩٥٣ هـ) - تحقيق محمد أحمد دهمان - مطبعة دار أبوبكر.
القسم الأول: ١٤٠١ هـ/١٩٨٠ م. القسم الثاني ١٤٠١ هـ/ ١٩٨٠ م.
- الكامل في التاريخ - عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) - دار صادر - دار بيروت - بيروت.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة - منشورات مكتبة المثنى ببغداد - بيروت.
- لسان العرب - ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت ٧١١ هـ). مصورة مطبعة بولاق - الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر.
- مجلة الرسالة - العدد (٤١١) - ١٩٤١.
- مجلة المجمع العلمي العربي - دمشق.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - ضياء الدين بن الأثير - قدم له وحقق عليه د. أحمد الحوفي، ود. أحمد بدوي - مكتبة نهضة مصر - الطبعة الأولى - القاهرة.
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان - اليافعي، عفيف الدين أبوالسعادات عبدالله بن أسعد (ت ٧٦٨ هـ) - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان. الطبعة الثانية - ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م.

- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ـ سبط بن الجوزي، شمس الدين يوسف بن قزأوغلي بن عبدالله (ت ٦٥٤ هـ) ـ ج ٨ ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد الدكن ـ الهند ـ ١٣٧٠ هـ/١٩٥١ م.
- معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ـ دار صادر ـ دار بيروت ـ بيروت ـ ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧ م.
- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ـ جمال الدين محمد بن سالم بن واصل الحموي (ت ٦٩٧ هـ) ـ نشره د. جمال الدين الشيال.
- المقتضب من تحفة القادم ـ أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر... القضاعي ـ تحقيق ابراهيم الأبياري ـ دار الكتاب اللبناني ـ ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣ م.
- منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ـ عبدالقادر بدران (ت ١٣٤٦ هـ) ـ المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ـ دمشق ـ ١٣٧٩ هـ/١٩٦٠ م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ـ حازم القرطاجني ـ تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ـ دار الكتب الشرقية ـ تونس ـ ١٩٦٦ م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ جمال الدين أبوالمحاسن يوسف بن تَغْري بَرْدي الأتابكي (ت ٨٧٤ هـ).
دار الكتب المصرية ـ المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والنشر.
- نزهة الأنام في محاسن الشام ـ أبوالبقاء عبدالله البدري ـ دار الرائد العربي ـ بيروت ـ ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ـ أحمد بن محمد المقري التلمساني ـ تحقيق د. إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت. ١٣٨٨ هـ/١٩٦٨ م.
- النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية ـ نجم الدين أبومحمد عمارة بن أبي الحسن الحكمي اليمني ـ اعتنى بتصحيحه هرتويغ دورنُبرغ ـ طبع في مدينة شالون ـ ١٨٩٧ م.
- النقد الأدبي الحديث ـ د. محمد غنيمي هلال ـ دار النهضة العربية ـ الطبعة الرابعة ـ القاهرة ـ ١٩٦٩ م.

- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ـ بهاء الدين بن شداد (ت ٦٣٢ هـ) ـ تحقيق د. جمال الدين الشيال ـ الطبعة الأولى ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ـ ١٩٦٤ م.
- هدية العارفين بأسماء المؤلفين وآثار المصنفين ـ إسماعيل البغدادي ـ استانبول ـ ج ١ : ١٩٥١ م، ج ٢ : ١٩٥٥ م ـ مكتبة المثنى ـ بغداد.
- الوافي بالوفيات ـ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي.
- الوساطة بين المتنبي وخصومه ـ القاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني ـ تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي ـ دار القلم، بيروت ـ ١٣٨٦ هـ/١٩٦٦ م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ـ أبوالعباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت ٦٨١ هـ) ـ تحقيق د. إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت.

- Islamice - Vol. 2. 1927.

- Catelogue of the Arabic Manuscripts is the John Rylande library - Manchester. by; A. Mingama.

- Geschichte Der Arabischer hitteratur - Prof Dr. C. Brockelman.

الفهارس الفنية

فهرس الآيات القرآنية

مرتبة حسب ورودها

قال تعالى: ﴿وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين، فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين﴾.

(الآيتان ٧٨، ٧٩ من سورة الحجر): ٨٣.

قال تعالى: ﴿كَذّب أصحاب ليكة المرسلين، إذ قال لهم شعيب ألا تتقون. إني لكم رسول مبين. فاتقوا الله وأطيعون﴾.

(الآيات ١٧٦ ـ ١٧٩ من سورة الشعراء): ٨٣.

قال تعالى: ﴿وأصحاب الأيكة وقوم تبع، كل كذب الرسل فحق وعيد﴾.

(الآية ١٤ من سورة ق): ٨٣.

قال تعالى: ﴿قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض، فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سدا. قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً﴾.

(الآيتان ٩٤، ٩٥ من سورة الكهف): ٨٣، ١٣٣.

قال تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم، إذ هَمَّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم، فكف أيديهم عنكم، واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون.

الآية ١١ من سورة المائدة): ١١٤

قال تعالى: ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروه الوثقى، وإلى الله عاقبة الأمور.

(الآية ٢٢ من سورة لقمان): ١٢٩

فهرس الأعلام

(أ)

(ب)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(م)

(ن)

(و)

(ي)

فهرس الجماعات والأقوام

(أ)

(ب)

(خ)

(د)

(ر)

(ص)

(ع)

(غ)

(ف)

(ل)

(م)

(ي)

فهرس الأماكن والبلدان

(أ)

(ب)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ل)

(م)

فهرس آثار الجلياني
وشذراته وقصائده ومدبجاته

(أ)

(ت)

(ج)

(د)

(ش)

(ق)

(م)

(ن)

فهرس الأشعار

أول البيت	آخرء البيت	الوزن	الصفحة	الرقم
		(ت)		
أباالمظف	بخبرته	البسيط	١٣٥	٨
		(ج)		
مستنقذ	حرج	البسيط	١٦٤	١٧
		(ح)		
جلا	مدحا	البسيط	١٦٣	١٦
		(د)		
لقدأوسع	المتأبدا	الطويل	١٤٢	١١
تصاريف	تمردا	الطويل	١٤٠	١٠
		(ر)		
وبالمسجد	الخضرا	الطويل	١٧٣	أ من الملحق
في باطن	يعتبر	البسيط	١٣٧	٩
سبا	جوارُه	الطويل	١٧١	٢١



الفهرس

طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية
وحدة الرغاية - الجزائر
2010
Achevé d'imprimer sur les presses
ENAG, Réghaïa
- Algérie -
Bp 75 Z.I. Réghaïa Tél: (021) 84 85 98 / 84 86 11


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



احتفاء بالقدس، مدينة الله والإنسان، وخلال احتفالية "القدس عاصمة أبدية للثقافة العربية 2009"، صدر هذا الكتاب من سلسلة مائة كتاب، اهتمت الجزائر الشقيقة بإنجازها من بين فعاليات متعددة فكرية، فنية، ثقافية وسياسية.

لقد كان هذا قرار القيادة الجزائرية متمثلة بفخامة الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، والتي اشرفت على بعثه للنور وزارة الثقافة الجزائرية بإخلاص وإيمان، وعلى رأسها السيدة خليدة تومي وزيرة الثقافة وطاقم الوزارة الذين أعطوا وقتهم وجهدهم لانجاز هذا العمل النبيل بالتعاون مع سفارة دولة فلسطين بالجزائر، حبا وإيمانا بالقدس عاصمة لفلسطين، قضية العدالة والحرية في زمننا المعاصر.

- سفير دولة فلسطين / ممثل منظمة التحرير الفلسطينية :
- **محمد الحوراني**

ISBN : 978-9947-24-757-0





صدر هذا الكتاب بمناسبة
«القدس عاصمة الثقافة العربية 2009»
بدعم من وزارة الثقافة - الجزائر.